جامعة طرابلس

كلية اللغات

قسم اللغة العربية

شعبة الدراسات العليا

رسالة ماجستير بعنوان :

فن المعارضات الأدبية في النثر الأندلسي في القرن الخامس الهجري

"دراسة وصفية تحليلية"

قُدِّمت استكمالًا لمتطلبات نيل الإجازة العالية الماجستير في الدراسات الأدبية

إعداد الباحثة : مضية محمد عبد الصمد الفويلدي

إشراف الدكتور: عبد السلام أحمد البوميشي

العام الجامعي 2013/ 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: 11]

الإهـــــداء

إن وراء هذا العمل من كانت تمد صاحبته بنبض الحياة, وتحثها على مواصلة السير فيه , وتحاول جهدها تخفيف التعب الذي تلقاه... إلى **أمـــي** أقدِّم كلّ العرفان بجميلها على هذا العمل .

إلى روح **والـدي** عند بارئها في أكرم مثوى أُقدم هذا العمل جزاءً وعرفانًا ما أولاني به من حُسن تربية ورعاية.

وإلى أفراد أسرتي جميعًا إلذين بذلوا كلَّ ما يُمكِن؛ كي يُوفِّروا لي أسباب لبحث والمُطالَعة.

إلى كلّ من يهوى الأدب بعامة والأدب الأندلسي بخاصة, إلى كلِّ من يؤمن بحضارة العرب هناك , ويشتاق لزيارة (الفردوس المفقود) أهديكم هذا العمل.

الباحثة

شكر وتقدير

من باب نسبة الفضل إلى أهله, وإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقُّه , مع يقيني أني لن أستطيع أنْ أُوفيَ حقًا , أو أردَّ جميلاً, لكن يبقى الاعترافُ به طوقًا في العنق, فأشكر الله آناء الليل وأطراف النهارعلى أن قيض لي أستاذي الجليل: الدكتور عبد السلام أحمد البوعيشي - حفظه الله - , الذي كان لي موجهًا تربويًا, ومعينًا مخلصًا, بتشجيعه المستمر على البحث والدراسة. وأسأل الله الحي القيّوم أن يجزيه عني وعن جميع طلابه الخيرالعميم , والجزاء الوافر، ولمن تفضَّل مشكورًا وقَبِلَ الدعوة للمُشاركة مُناقِشًا, الأستاذان عضوي لجنة المناقشة لما بذلاه من جهد في مراجعة هذا البحث , أقدِّم لهما كلَّ الشُّكر والتقدير مقرونًا بخالص الدعاء وصادق الرجاء , أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما

وأتقدم كذلك بالشكر الجزيل , والاعتراف بما نالني من صنيع وجميل , وغمرني من مساعدات وإرشادات يعجزعن حصرها العدّ الطويل, إلى كل من أعانني على إنجاز عملي هذا : أساتذتي في مرحلة الدراسات العليا، وأصدقائي وزملائي من المتفضلين عليّ بالعلم ، أو الخبرة ، أو التجربة ، أو النصيحة ، أو الكلمة الحافزة...

الرموز المستعملة في البحث

ت : توفي.

هـ : هجري.

م : ميلادي.

ق : قسم.

ص : رقم الصفحة.

تح : تحقيق.

ط : طبعة.

... : حذف جملة أو أكثر من النص المنقول.

/ : للفصل بين القسم والمجلد.

د.ط : دون طبعة.

ف : فرنجي.

المقدمة

الحمد لله حقَّ حمده كما ينبغي لجلال وجهه, وعظيم سلطانه, وشمول رحمته, وسبوغ نعمه, والصلاة والسلام على نبيّه الفصيح اللسان الطاهر الجنان, وعلى آله، وصحبه, ومن نهج نهجهم في إنارةٍ طريق الإصلاح, وسلك سبيلهم في إقامة دعائم الثقافة والتفكير السليم .

أما بعد :

فلما كان الأدب الأندلسي ثرّاً في مضامينه غزيرًا في اتجاهاته, وجدتُ هوى في نفسي لدراسته, وكان ميلي أشد إلى دراسة النثرالأندلسي لاتساع مجالاته, وهناك بعض الجوانب لم تدرس . فقد قصرت هذه الدراسة في فن من فنون النثر,هو(**فن المعارضات**)، وهو قسمان المعارضات الشعرية التي ازدحمت بها معظم الدراسات, ووفَّتها حقها بحثًا ومعالجة, والمعارضات النثرية.

أسباب اختيارالموضوع :

حين كنت بصدد اختيار موضوع لرسالتي، وجدتُ فن المعارضات النثرية، وهي نمطان : الأول معارضة أعلام النثرالمشرقي، وتسمى(المعارضات الخارجية)، والثاني: فتجسد في عدد النصوص النثرية الأندلسية, وتسمى(المعارضات الداخلية) ، وهي موضوع البحث .

آثرتُ أن أدرس حقبة خصبة رغم ما يكتنف البحث من صعوبات, ويواجهه من مشكلات حين يختار هذا المضمار, ويتحول الدرس الأدبي إلى التطبيق عندما يتحدد بفكرة (فن المعارضات النثرية الداخلية) ، التي لم تأخذ حقها بالدراسة والنقد والتحليل, فتراءت ليِّ الصورة في حاجة ملحة إلى اختيار مثل هذا الموضوع الذي يبحث فن المعارضات النثرية في القرن الخامس الهجري .

ثم استقرالرأى على تسجيل **فن المعارضات النثرية في الأدب الأندلسي في القرن الخامس الهجري**, موضوعًا للدراسة, وأمّا تحديد الدراسة في هذا القرن الخامس

الهجري ؛ فعائد إلى تطور النثر الأندلسي حين طرق مجالات كانت وقفًا على الشعر.

هدف البحث وأهميته :

يهدف هذا البحث إلى رصد تقاطعات النثر الفني فيما بين الأندلسيين, والعمل على دراسة النصوص المعارَضة، والمعارضة عن طريق الدراسة الوصفية والتحليلية لاستجلاء مظاهرها الفنية والإبداعية, ووضع الإصبع على مواضع القصور والتجاوز .

أما أهمية البحث؛ فيتمثل في كشف نصوص النثرالفني الأندلسي في القرن الخامس الهجري, ونفض الغبارعن نصوص للمعارضات النثرية الأندلسية, لم تلق بعد من التداول والدراسة ماهي حقيقة به وجديرة، وتأتي أهميته في محاولة تتبُّع نشأة ظاهرة فن المعارضات الداخلية النثرية، وتكتمل أهميته عند سدِّ النقص في المكتبة الأندلسية .

وتناولتُ الموضوع باعتباره ظاهرة أدبية لها من القدرة على العمومية ما يدفع بها بعيدًا عن الاستثناء, أوالسماح بالاتهام بالضعف في نتاج المعارضات النثرية الأندلسية. لاسيما أن هذا الموضوع, لبنة في باب المعارضات النثرية, واستعراض المقدرات الأدبية والأرصدة المعرفية, ضمن سياق وفواصل تخلب الألباب. **دراسات سابقة :**

نجد الدارسون الذين عنوا بدراسة فن المعارضات كثرٌ، منهم الدكتور: محمد محمود قاسم نوفل في كتابه(تاريخ المعارضات في الشعرالعربي)، حيث أفرد المبحثين الأول والثاني من الفصل الثالث لدراسة المعارضات الشعرية الأندلسية.

ومبحث للدكتور منجد مصطفى بهجت، الذي جاء بعنوان(المعارضات), ضمن الفصل الرابع من كتاب(التجديد في الأدب الأندلسي)، والدكتورعبدالله التّطاوِيِّ في كتابه(المعارضات الشعرية, أنماط وتَجَاربٌ). والدكتورة إيمان الجمل في كتابها (المعارضات في الشعرالأندلسي)، هذا ما يختص بالقريض.

أمّا الذين اهتموا بالمعارضات النثرية في تاريخها للفنون الأدبية كافة , فنذكر منهم ما ضمَّنه الدكتور عليّ بن محمد في كتابه (النثرالأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري, مضامينه وأشكاله)، الذي اكتفى بذكرأنماط المعارضات النثرية.

إسهامًا أيضًا من الدكتور فوزي سعد عيسى في كتابه(الزرزوريات – نشأتها وتطورها في النثرالأندلسي)، وهي نمط من أنماط المعارضات النثرية.

والدكتورأيمن محمد ميدان في كتابه (الحوارالأدبي بين المشرق والأندلس- المتنبي والمعري..نموذجين)، فقد أفرد المبحث الثالث للمعارضات النثرية الخارجية والداخلية.

ومع تناول كثير من الباحثين لجوانبِ مختلفةٍ من دراسة النثرالفني, لم يُولوا المعارضات النثرية الاهتمام الذي تستحقه, لاسيما في القرن الخامس الهجري, فاكتفُوا بإشاراتٍ أو تلميحاتٍ إليها دُون التَّعمق فيها , فكان جُلُّ اهتمامهم بالشعر الذي حظي بالنصيب الأكبرمن الدِّراسات الأدبيةِ قديمًا وحديثًا.

حسب اطلاعي لم أعثر على أية دراسة تناولت المعارضات النثرية الداخلية في الأدب الأندلسي، إلا إشارات تذكر في ثنايا بعض الدراسات الأدبية, ممّا زاد حرصي على هذه الدراسة والخوض في غمارها , وبذل الجهد في دراستها وتحقيقها.

المنهج المتبع :

اتبعتُ في ثنايا هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ لمباشرة المادة النصية قراءة وبناء ومعالجة وتحليلاً , بهدف الانتقال مما هو موجود موصوف إلى ما هو مفقود ومكتشف مدروس .

وتتألف الرسالة من مقدمة و تمهيد وثلاثة فصول وخـاتمة .

المقدمةِ فتناولتُ فيها ملخصًا موجزًا لموضوع الرسالة , مظهرةً أهميته, مستعرضةً منهج البحث ووسائل العمل ,لأختم بوصف عام لتصميم الرسالة ومراحلها.

أما التمهيد ، تناولتُ فيه دراسة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للأندلس, ووقفتُ على الأحداثِ السياسيةِ المعقدة , التي انعكستْ آثارها على حياةِ الأندلسيين،

كما كانت لي وقفة متأنية عند روافد الثقافة الأندلسية المتنوعة.

وبعد التمهيد جاء الحديث في الفصل الأول عن مفهوم المعارضات ونشأتها, وعوامل ظهورها, وتطورها, ومصادر توثيقها في ثلاثة مباحث : الأول عن مفهوم المعارضة, لغة واصطلاحًا , وتاريخها، وأصل نشأتها ، وأشهر كُتَّابها في الأندلس.

والثاني للعوامل التي ساعدت على نشأة فن المعارضات، أوضحتُ فيه أثر البيئة الأندلسية، وتيارالإعجاب بالأثارالمشرقية, ثم انتقلتُ للحديث عن الحركة الفكرية وتيارالتعبيرعن الذات الأندلسية,وبيّنتُ فيها الخيوط الأولى لمعارضة الأندلسيين في ميادين الحياة الثقافية ، والاجتماعية، والحضارية، ثم وقفتُ على الدواعي الحقيقية التي دعت إلى المعارضة النثرية وجعلت منها ظاهرة أدبية تستحق الدرس .

وفي المبحث الثالث تناولتُ الفرقَ بين المعارضة وفنون أدبية أخرى تلتقي معها من قريب أو بعيد, كالنقيضة, والمراجعة , والمناظرة .

واختص الفصل الثاني بمعارضة الأندلسيين فيما بينهم, التي كانت نابعة من أصولهم, ونتاجهم الإبداعي, حيث تعمقتْ جذورها. مراعية في ذلك الزمن، حيث عرضتُ لاغلب أدباء القرن الخامس الهجري تجذيرًا للظاهرة الأدبية, التي كانت وفقًا لموضوعات المعارضات, وهي مجموعة أعمال أدبية ، بمعنى مجموعة النصوص التي تدور في فلك المعارضة حول أنموذج معارَض واحد, تحدثتُ فيه عن مفهوم كل نوع في اللغة, ومضمونها, ثم روادها, وقد رأيت أن تكون مباحث هذا الفصل في أربعة مباحث وفق موضوعات المعارضة, فتصدرتها الزهريات, ثم المطريات, ثم الزرزوريات , وختمتُ بالمبحث الرابع : بالمعتضديات .

وخروجًا عن الوصفية يأتي الفصل الثالث الذي خصصته لتحليل المعارضات النثرية، فجعلت المبحث الأول : البناء الخارجي للمعارضات, والثاني: للغة والأسلوب, والثالث: السمات البلاغية.

قمتُ بتحليل نصوص المعارضات النثرية وفق المنهج البلاغي, فكانت وقفتي عند الزهريات وتلتها المطريات, ثم الزرزوريات وأخيرًا المعتضديات, وركزت في

الجانب الصوتي والايقاع، والجرس الموسيقي المرافقين لتشكيل البنية الفنية للنص النثري.

كما جعلتُ الصورالفنية غرضًا لهدفي, بما حوته من أساليب بديعية ومحسنات زخرفية خلّابة, تبين المخزون الذي تحويه الذاكرة الأندلسية, ومدى الإفادة والانتفاع منه, إضافة إلى توضيح ما اعتمد عليه الأديب في صقل نصه النثري بما يعينه من شواهد أو إفادات بالمعنى أواستدعاءات معرفية وثقافية وتاريخية, وكل ما مِنْ شأنه بناء النص النثري وتعزيز فنيته.

ختمتُ بالنتائج التي توصلتُ إليها من هذه الدراسة, بالفصل في نتيجة المعارضة من حيث التوفيق والمجاراة, أوالإخفاق والقصور, معززة بالملاحق الإحصائية.

أمّا مصادرالبحث التي اعتمدتُ عليها فمن أهمها: كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة, لابن بسّام الشنتريني, الذي استقيتُ منه المعارضات النثرية, وكتاب قلائد العقيان, لابن خاقان, وكتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب, للمقري التلمساني ، كما استمدتُ المعلومة في التعريف بالأماكن والمدن، من كتاب الروض المعطار في خبرالأقطار، للحميري[1].

كما استعنتُ ببعض المراجع ذات الصلة بالأدب لأندلسي, وكتب اللغة, والمعاجم, وفي الترجمة اعتمدت على كتاب الأعلام وبعض الكتب الأخرى, وكل ما من شأنه أن يخدم البحث, أو أحصل منه على ما يثريه ويغنيه .

أخيرًا , فإنني لا أستطيع أن أدعي بأني قد بلغت الغاية في بحثي, والكمال في هدفي الذي أصبو إليه ؛ لأن الكمال لله وحده والنقص مستولٍ على الإنسان لا محيص عنه, أسأل الله أن يتقبل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم, والحمد لله أولاً وآخرًا, والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وصحابته النجباء, ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

([1])لأن المؤلف شخصية أندلسية؛ فهو أقرب من غيره.

التمهيد

عصر ملوك الطوائف

(400هـ ـ 493هـ = 1091م ــ1009م)

أولاً : الإطار السياسي.

ثانياً : الإطار الاجتماعي.

ثالثاً : الإطار الثقافي .

التمهيد

أولا ـ الإطارالسياسي.

انتاب الأندلس انقلاب جذري طال مختلف جوانب الحياة , خلال مدة لم تتجاوز النصف قرن, إذ تقلبت بين مرحلتين متباينتين كل التباين, وهي في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشرالميلادي, وحتى أواخر القرن الخامس, تبلغ ذروة قوتها ووحدتها وتقدمها, في ظل رجال عظام, أمثال عبد الرحمن الناصر(300-350هـ/612-961م) [1] والحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م)[2]والحاجب المنصور(366-392هـ/976-1001م)[3]، فهى منذ مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي تشهد بتغيرات سياسية خطيرة على الخارطة السياسية الأندلسية؛ نظراً لما شهده هذا القرن من صراع وتطاحن وفتن مدمرة واضطراب في الأحوال السياسية, لتخرج من غمارها أشلاء ممزقة متناحرة[4]،وآلت الخلافة الأموية للضعف والهوان فنجم عن ذلك أفول الخلافة في الأندلس بعد وفاة الحكم المستنصر,وغياب سلطانها, وقد تتابعت الأحداث بصورة سريعة, وتولى ولده هشام(المؤيد)[5]عرش الخلافة[6]ما أتاح الفرصة للحاجب من السيطرة على مقاليد الأمور في دولته, بعد أن حجزعليه في قصره[7], وبلغ الأمر مداه حين تطلعوا إلى

([1])هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله, تَسمَّى بأمير المؤمنين, ولقب بالناصر لدين الله , مات في رمضان . ينظر ترجمته في بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: للضبي, تح, إبراهيم الأبياري, ط1, 1989م, دارالكتاب المصرية، ط1، 1989م : 1/ 39.

([2])هوالحكم بن عبد الرحمن,تولى الخلافة بعد أبيه عبد الرحمن, يلقب بالمستنصر بالله, كان محبًا للعلوم,جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله هنالك. ينظربغية الملتمس: 40/1، 42.

([3])هوعبد الرحمن محمد(أبوعامر)المنصورابن أبي عامر المعافري أبو المطرَّف,ويلقب بشنجول: حاجب الخليفةهشام بن الحكم بقرطبة ,أخرالعامريين, ولى الحجابة بعد وفاة أخيه المظفر(عبد الملك) لقب بالناصر ثم بالمأمون، ينظرالبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ابن عذاري المراكشي, تح : إحسان عباس, دارالثقافة- بيروت،ط5،1998م :3/ 38 وما بعدها،50-52، والأعلام، قاموس تراجم لأشهرالرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين,خيرالدين الزركلي,دار العلم للملايين- بيروت- لبنان,ط5, 1980م: 3/ 325.

([4])ينظردولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني"دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، محمد عبد الله عنان, ط1, 1960م :ص1- 3.

([5])هوهشام المؤيد تولى الخلافة بعد أبيه الحكم المستنصر, وكان له حينها عشرة أعوام وأشهر, يكنى أبا الوليد, كان ضعيف لا ينفذ له أمر, قيل قُتل, وقيل فرَّ هاربًا. ينظر ترجمته في بغية الملتمس: 43/1، و الأعلام :8/ 85.

([6]) ينظر بغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس: 43/1.

([7]) ينظر البيان المغرب : 16/3.

الاستحواذ على مناصب الخلافة؛ إذ أرغم الحاجب[1] ,عبد الرحمن(شنجول)الخليفة المؤيد على تلقيبه بالمأمون, وأن يعهد إليه بولاية العهد[2]، وقد سُمَّى هذا العهد عهد "الفتنة" الذي يبدأ من(399-422هـ)، وأُطيح بأكثر من رأس من الأمويين, منهم هشام المؤيد الذي أُختلف في أمر موته سنة(403هـ)، فقيل أنه قضي عليه عند دخوله القصر,وقيل أنه فرَّ بين يديه, وفي السنة ذاتها قدم سليمان المستعين بالله علي بن حمَّودعلى سبته, وقَسَّم بعض بلاد الأندلس على رؤساء قبائل البربر, فأعطى صنهاجة إلبيرة[3] بقيت بيد حبوس وذرّيّته[4]نحوالمائة سنة. وأعطى منذربن يحيى[5]سرقسطة[6] وأعطى بني برزال وبني يفرن جيَّان[7] وذواتها،وأعطى بني دُمّر وأزداجة شذونة[8]وموروره[9]وغيرذلك من الحصون[10].

([1]) لقب الحاجب في الأندلس يقول ابن خلدون: ((أما بني أمية في الأندلس فأبقوا اسم الوزيرفي مدلوله أول الدولة،ثم قسموا خطته أصنافًا وأفردوا لكل صنف وزيرًا، فجعلوا لحسبان المال وزيرًا،وللترسل وزيرًا، وللنظرفي حوائج المتظلمين وزيرًا، وللنظر في أحوال الثغور وزيرًا، وجُعِل لهم بيت يجلسون فيه على فرش ممنضدة لهم وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له. وأفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت، فارتفع مجلسه عن مجلسهم وخصوه باسم الحاجب)). ينظر مقدمة العلامة ابن خلدون, تح: حُجر عاصي, منشورات: دار مكتبة الهلال – بيروت، ط 1991م : الفصل الثالث من الكتاب الأول في الدولة العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية,ص158، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م : 1/216– 217 .

([2]) ينظر البيان المغرب : 3/38– 43, 44– 48.

([3])هي مدينة جليلة القدر,وقاعدة أندلسية, نزلها جند من دمشق وكثير من موالي الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وهوالذي أسسها وأسكنها مواليه, منها أبو إسحاق ابن مسعود الإلبيري. ينظرالروض المعطار في خبرالأقطار،محمدعبد المنعم الحميري,تح :إحسان عباس, مكتبة لبنان– بيروت, ط1974م: ص28– 29.

([4])هوحبوس بن ماكس بن زيري بن مناد الصنهاجي(428هـ),صاحب غرناطة في أيام ملوك الطوائف بالأندلس. ينظرالبيان المغرب: 3/264، والأعلام : 2/291.

([5])هوأبوالحكم مندربن يحيى التجيبي,يلقب بالحاجب المنصور ذي الرياستين,صاحب سرقسطة,كان فارسًا، عُمرتْ سرقسطة في أيامه حتى أشبهت بقرطبة . ينظر الأعلام : 7/295- 296.

([6]) تقع في شرق الأندلس، وتسمى المدينة البيضاء لكثرة جصّها وجيارها, اسمها مشتق من اسم قيصر, وهوالذي بناها, تقع على ضفة نهر كبير, من خواصها أنها لا تدخلها حية البتة وإن جلبت إليها ماتت , أخذها النصارى من يد المسلمين سنة اثنين وخمسمائة بعد أن حاصروها تسعة أشهر. ينظرالروض المعطار: ص317.

([7])هي مدينة أندلسية، بينها وبين بياسة عشرون ميلاً, لها أقاليم عدة، ومن جيان الحافظ أبوعلي الحسين بن محمد بن أحمد الغَسّاني الجياني الأندلسي إمام في الحديث والأدب. ومن أمثال العامة فيها:(يذكرالبلدان ويسكن جيان).ينظرالروض المعطار:ص183،184، ووفيات الأعيان وأبناء الزمان:لابن خلكان، 2/180.

([8])وهي كورة متصلة بكورة مورور,من الكورالمجندة, نزل بها جند فلسطين من العرب, لجأ إليها أهل الأندلس سنة ست وثلاثين ومائة, عندما أصيبت بقية مدن الأندلس بالقحط. ينظر الروض المعطار: ص339.

([9])هي كور متصل بأحواز قرمونة من جزيرة الأندلس,تقع في غرب شذونة، وقاعدة من قواعد الأندلس, بها دار الولاة. ينظرالروض المعطار: ص564.

([10]) ينظرالبيان المغرب:3 / 50-52،113, ونفح الطيب: 1/429.

كان انهيارالخلافة الأموية وإلغاء السلطة المركزية في قرطبة في مستهل القرن الخامس الهجري/الحادي عشرالميلادي[1] قد اقترن بالفوضى الغامرة للأندلس, فكانت فرصة سانحة لظهور دويلات أندلسية متعددة تصل إلى نحوعشرين دويلة يحكمها ملوك الطوائف, وقد شُغل كل هؤلاء الملوك في الكيد والدس بعضهم لبعض، مع أن بعض هذه الطوائف فقدت تماسكها, ولم تقدرعلى الدفاع عن نفسها, وأصبحت خاضعة لمملكة أخرى أوتهيئة الفرصة أمام العدو النصراني المتربص بهم[2].

دام عصرالطوائف قرابة سبعين أو ثمانين عاماً[3], وامتد عمربعض الدويلات إلى ثلث قرن كدولة بني هود, ومنها مادام نحو ربع قرن كدولة بني مُزّين, أما مدة الحكم في بقيتها فيزيد أو ينقص قليلاً عن نصف القرن[4].

وبعد أن فقدت الأندلس وحدتها السياسية، انقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة مستقلة، أطلق عليها المؤرخون اسم(دويلات الطوائف), وهم ما بين زعيم قبيلة, أو صاحب نفوذ, أوحاكم لإحدى الكور، أو وزير سابق، أوشيخ قضاة, استغل هؤلاء حالة البلاد السياسية، فبسطوا نفوذهم على المناطق التي تواليهم, وعملوا جميعاً على تأسيس هذه الكيانات والحفاظ عليها[5],هذه الدويلات الصغيرة هي: قرطبة وأحوازها من المدن والمناطق الوسطى, وإشبيلية[6]وما يلحق بها من مناطق غرب الأندلس، وبطليوس[7],وغرناطة[8], وبلنسية[9]وما يلحق بها, وسرقسطة ،أو

([1]) ينظرالبيان المغرب : 150/3,ودولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني:ص120.

([2]) ينظر نفح الطيب: 438/1 ، ودراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس,أمين توفيق الطيبي, الدارالعربية للكتاب, ليبيا - تونس, ط 1984م : ص156.

([3])ينظرالأدب العربي في الأندلس،عبد العزيزعتيق, دارالنهضة العربية, بيروت، ط2, 1976م :ص9. ودراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس: ص156، ودولة الإسلام في الأندلس - العصرالثاني: ص418.

([4]) ينظرالأدب العربي في الأندلس: ص93 ,94

([5]) ينظردولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني : ص 14– 15.

([6]) مدينة أندلسية جليلة, أصل تسميتها أشبالي ومعناها المدينة المنبسطة, يقال الذي بناها يوليش القيصر,دخلها العدو في سنة 646هـ بعد حصار دام عدة أشهر . ينظرالروض المعطار, ص58– 60.

([7]) إقليم من أقاليم ماردة بالأندلس,وهي حديثة، بناها عبد الرحمن بن مروان الجليقي بإذن الأمير عبد الله، تقع على ضفة نهرالكبير المسمى الغؤور. ينظرالروض المعطار. ص93.

([8])مدينة أندلسية,ومعناها رُمانة بلسان عجم الأندلس, من كورة البيرة ,تمتاز بكثرة الخيرات فيها, ووفرت المياه فيها. ينظر الروض المعطار,ص 45– 64.

([9])هي مدينة تقع في شرق الأندلس،وقاعدة أندلسية, لها أربعة أبواب, تعتبر من أمصار الأندلس الموصوفة وحواضرها المقدمة, لها أقاليم كثيرة. ينظرالروض المعطار,ص97–101.

الثغرالأعلى, وطليطلة[1], أوالثغرالأوسط, ودانيــة[2]، وجزرالبليار[3].

هذه الدويلات منها، ما كان مشهوراً وهي : دويلة بني جهور في قرطبة[4],ودويلة بني عباد في إشبيلية, ودويلة بني الأفطس في بطليوس, ودويلة بني ذي النون في طليطلة, ودويلة سرقسطة, ودويلة دانية والجزائرالشرقية[5] .

أمّا الدويلات المغمورة ؛ فهى الإمارات التي تقع في جنوب الأندلس, فتكتل إمارة قرمونة[6], واجتماع الممالك الصغيرة في هذه المنطقة يرجع إلي عوامل جغرافية وعسكرية, فتأتي أهمية ذكرها في أنها كانت محورًا يثيرالنزاع بين الدويلات الأخرى, كدويلة بني طاهر في مرسية[7]، ودويلة بني دُمّر في مورور, ودويلة بني خزرون في آراكش[8],ودويلة بني يفرن في رندة[9], ومن الواضح أن السلطة المركزية فقدت تأثيرها على الأقاليم والمدن الأندلسية[10].

نجم عن هذا الانقسام، ظهور نهضة أدبية بلغت بها أقصى درجات ازدهارها في تاريخ الأندلس الإسلامي, لاسيّما القرن الخامس الهجري الذي سُمَّى بالعصرالذهبي, وانتشرالأدباء والعلماء في كامل الأندلس، وقامت منافسة في جميع الميادين العلمية والأدبية؛ اختلفت هذه الدويلات أيضًا في المساحة وعدد السكان, كما اختلفت في

([1])هي مركز لجميع بلاد الأندلس, وتمتاز بكثرة عدد سكانها, حصينة لها أسوار,كانت دار الملك حين دخلها طارق, وجد أهل الإسلام فيها ذخائرعند افتتاح الأندلس, وجدت بها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام . ينظر الروض المعطار, 393 –394.

([2])مدينة بشرق الأندلس على البحر, منها كان يخرج الأسطول إلى الغزو,وهي دار إنشاءالأسطول, ومن دانية أبوعمرو الداني المقرئ المعروف بابن الصيرفي,له تواليف في القراءات.ينظر الروض المعطار, 232،231 .

([3])ينظر تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس,إبراهيم السامرائي وآخرين, دار الكتب الإسلامي- بنغازي- ليبيا، ط1،1999م : ص219.

([4])هي قاعدة الأندلس وأم مدائنها, ومستقر خلافة الأمويين,كان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء, وبها الجامع المشهور جامع قرطبة, وقد تغلب عليها النصارى سنة 633هـ. ينظر الروض المعطار, ص 456– 459.

([5]) ينظرنفح الطيب :438/1 -442، وتاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس : ص220 - 245.

([6]) مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية, تقع في سفح جبل, وبها جامع حسن البناء, وبها آثار,فيها قرى كثيرة ذات مياه غزيرة وعيون وآبار . ينظر الروض المعطار :ص 461.

([7])هي من مدن الأندلس, وقاعدة تدمي, بناها الأميرعبد الرحمن بن الحكم, وتقع في مستوٍ من الأرض على النهرالأبيض, ومن مرسية أبوغالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني اللغوي المرسي صاحب" الموعب" . ينظرالروض المعطار: ص539– 540.

([8])حصن بالأندلس على وادي لكة،وهو مدينة أزلية,خربت تكرارًا وعمرت. ينظرالروض المعطار,ص28،27 .

([9]) مدينة قديمة، من مدن تاكرنا, بها آثار كثيرة, تقع على نهر ينسب إليها. ينظرالروض المعطار:ص 269.

([10]) ينظردولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني: ص147، والتاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، عبدالرحمن علي الحجي، دارالاعتصام،القاهرة، ط1, 1983م :ص354 .

الأهمية السياسية, والعسكرية، والاجتماعية, والأدبيّة, وكانت هذه الدويلات على حال من الضعف والقوة[1].

هذا الظرف الجديد من الانقسامات والتشتت، جعل العدو الإفرنجي في الشمال يتربص محاولاً التوسع على حساب الدول المتنازعة, وبشكل أكثر جدية من قبل؛ حينما بدأت تتحد الإمارات الإفرنجية تحت ظل فرديناند الأول، ثم واصلها من بعده ابنه الفونسوالسادس(أدفونش بن فرديناند)[2], محاولاً التوسع نحوالجنوب، واستنزاف قوى الدويلات الإسلامية الصغيرة.

إنّ الفونسو لم يكن همّه في البداية الحصول على المبالغ الطائلة(الأتاوات)من ملوك الطوائف, ولم يكن ميّالاً لاستخدام القوة معهم, إنّما كان مكتفياً بالتهديد في حالة تأخرهم لدفع هذه المبالغ .

فحالة التداعي المستمرة والضعف التي دبّ دبيبها في جسم الدويلات الإسلامية شجّعت الفونسوالسادس بفضل ما امتلكه من قوة وغرور، أن يهجر سياسته الأولى في جمع(الأتاوات)،ويلجأ إلى سياسة أكثر وحشية, وهي سياسة القوة والبطش بدول الطوائف، وانتزاع المزيد من المعاقل والحصون الإسلامية, وتنصر بعضهم, واختلفت أهواءهم, وهذا ما حصل للأندلس من الخارج, أمّا في الداخل، فالتناحر قائم,وعمّت الفتن والحروب حتى شملت معظم الأندلس[3]،وأصبحوا عاجزين عن مقاومة أعدائهم، لذلك تساقطت مدنهم الواحدة تلو الأخرى بيد الإفرنج، مثلما حصل لمدينة بربشتر[4]سنة456هـ[5].

([1])ينظرتاريخ الفكر الأندلسي،آنجل جنثالث يالنثيا,تح :حسين مؤنس, مكتبة الثقافة الدينية, بور سعيد ـ القاهرة، ط1955م :ص13 ,17, ودولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني: ص434 ,435.

([2])هو ابن فرديناند الأول, ولد سنة 1030م, تولى الملك سنة 1085م,انهزم في وقعة الزلاقة سنة1086م، ثم في اقليش سنة 1108م, حيث مات ابنه الوحيد"سانشو"ومات الفونسوعلى أثره سنة 1109م. ينظرالأعلام: 6/ 181.

([3])ينظرالذخيرة في محاسن أهل الجزيرة, ابن بسّام الشنتريني,تح:إحسان عباس,الدارالعربية للكتاب,ليبيا-تونس, ط1975م : ق4/ م1 /166- 169, ق1/ م1/35-36، ودولة الإسلام في الأندلس,العصرالثاني: ص419، 420.

([4])هي مدينة من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع بالأندلس. ينظر الروض المعطار:ص 90 .

([5])ينظرنفح الطيب: 449/4,وتاريخ الأدب الأندلسي"عصر الطوائف والمرابطين"إحسان عباس,دارالثقافة- بيروت- لبنان,ط8 ,1998م: ص9.

احتل الفونسوالسادس مدينة طليطلة سنة 478هـ[1], وكان لسقوطها أعمق الآثار في ميزان القوى في شبه الجزيرة, فاتخذ ملك قشتالة لقب الإمبراطور, ومن الآثار أيضًا النصرالسياسي والعسكري الذي أحرزته إسبانيا النصرانية, ثم دخلت سياسة الاسترداد, وهي الحركة التي استهدفت استغلاب البلاد وطرد المسلمين منها, وإرغامهم على التنصر,وأدراك ملوك الطوائف حقيقة موقفهم, وعاقبة بغيهم, وخطورة تفرقهم, وجنحوا عندئذ إلى الاستعانة بإخوانهم فيما وراء البحر,واستجاب أميرالمسلمين القائد يوسف بن تاشفين[2]إلى نصرتهم، وأوقع بالفونسو هزيمة ساحقة[3].

توالى سقوط الدويلات الأندلسية في يد العدو النصراني فسقطت بلنسية على يد القمبيطور[4],وحفّت المخاطر بملوك الطوائف، وهم لاهون في نعيمهم، وأخذتهم الخيلاء بألقابهم, فصار أمرهم إلى أن تلقبوا بنعوث الخلفاء, وترفعوا إلى طبقات السلطنة العظمى,لهم في أسباب الترقّه والفخامة ما أعانهم على ذلك, فتلقب عَبّاد بن محمد بن عبّاد بالمعتضد, وتلقّب ابنهُ محمد بن عبّاد بالمعتمد, واقتفى سيرة المعتضد العباس أميرالمؤمنين، ولذلك سخرمنهم بعض الشعراء[5]،منهم ابن رشيق القيرواني قائلاً:[6]

ممّا يبغّضني في أرض أندلسٍ *** سمَـاعُ مُقتدرٍ فيـــها ومُـعتضـــدٍ

ألقابُ مملكةٍ في غير موضِعها *** كالهرّ يحكي انتفاخاً صورَةَالأسد[7]

([1]) ينظرنفح الطيب :352/4,والبيان المغرب: 225/3، 226, وتاريخ الأدب الأندلسي عصرالطوائف والمرابطين :ص23, 24.

([2])هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتون الحميري(ت 500هـ),أمير المسلمين, سلطان المغرب الأقصى(...)كان حازمًا ضابطً لمصالح مملكته, توفى بمراكش, ينظر الأعلام: 8/ 222.

([3]) ينظر الذخيرة : ق4 /م1/167،168،ودولة الإسلام في الأندلس ،العصرالثاني: ص398، ودراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس،أمين الطيبي:ص160،161.

([4]) قمط من أقماط النصارى يقال له القنبيطور،ومعناه صاحب الفحص،واسمه لذريق، فطمع في أخذ بلنسية فضايقها مضايقة شديدة,وقد ألف ابن علقمة كتاباً في أمرها وحصارها يُبكي القارئ ويُذهل العاقل. ينظر البيان المغرب:305/1, 306,ونفح الطيب : 4 /454.

([5])ينظرنفح الطيب: 213/1،214،وتاريخ الأدب الأندلسي- عصر الطوائف والمرابطين: ص23،24.

([6])هوأبوعلى الحسن بن رشيق القيرواني(390هـ),أديب وناقّد،قال الشعر,من مؤلفاته "العمدة في صناعة الشعر ونقده- ط","قراضة الذهب"في النقد وغيره. ينظر الأعلام: 191/2.

([7])ينظر الذخيرة : ق 4 / م1/ 172 .

لم يحاول ملوك الطوائف استغلال هذه الفرصة في جمع الكلمة, وتوحيد الصف لردع عدوهم المشترك, كما أن سياستهم الداخلية لم تترك مجالاً لتحسين الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، لمواجهة الخطرالصليبي, فاتبع بعضهم سياسة البطش والقوة مع رعاياهم, فكثرالنفي والتشرد والقتل، وامتلأت السجون[1].

فيجب أن لا تنصرف الأذهان إلى أن الضعف والهوان أخذ مأخذه واستسلم جميع الأندلسيين لحالة التردي, بل كانت هناك قوى تحاول جادة في توحيد الجمع, وكان هاجس الوحدة يتأجج في نفوس الأندلسيين رداً على الفرقة والتشتت اللذين شهدتهما الأندلس, وأشار الباحثون إلى أن الدعوة إلى توحيد الأندلس بدأت قبل سقوط مدينة طليطلة سنة 478هـ[2].

سارت جهود التوحيد في الدعوة إلى توحيد الأندلس في ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول: محاولة عدد من المسؤولين المخلصين حتى سنة 422هـ إبقاء الخلافة الإسلامية في الأندلس على سابق عهدها, وقد بذلوا في سبيل هذا المطمع, جهوداً جبارة، لكنها لم تفلح في تحقيق غايتها[3], فحصل في الأندلس ما لا يُتمنى حيث انهار صرح الخلافة الأموية عندما أعلن أبوالحزم بن جهور[4]إلغاء الخلافة في قرطبة, وأسند أهلها أمرهم إلى"شيخ الجماعة " الوزير ابن جهور في منتصف ذي الحجة سنة 422هـ[5].

الاتجاه الثاني: الجهود التي اعتمدت القوة العسكرية والسياسية, وعلى رأس هذا الاتجاه بنوعبّاد وخاصة ملكهم القوي- المعتمد بن عبّاد-[6] فقد حاول بنوعبّاد توحيد,

---

([1])ينظرالذخيرة: ق4 /م1/ 164،ودولة الإسلام في الأندلس: العصر الثاني: ص399.

([2]) ينظردولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني: ص111.

([3])ينظرتاريخ الأدب الأندلسي- عصر الطوائف والمرابطين ،إحسان عباس :ص7

([4])هو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور الكلبي, كان من موالي بني أمية ومن وزراء الدولة العامرية، موصوفاً بالدّهاء والسياسة, توفي سنة 435هـ ،ينظرترجمته في جذوة المقتبس: 188/5،والأعلام: 6/ 74.

([5])البيان المغرب:3/150-152, 187-185، 232- 234،والتاريخ الأندلسي،عبد الرحمن الحجي:346،345، وتاريخ إسبانيا الإسلامية أوأعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، لسان الدين ابن الخطيب, تح: ليفي بروفنسال،دار المكشوف- بيروت، ط2، 1956م: ص139- 147.

([6])هو محمد أبو القاسم بن محمد بن عباد بن إسماعيل اللخمي,المعتمد على الله, صاحب إشبيلية وقرطبة,كان لايستوزر وزيراً إلا أن يكون أديباً شاعراً,أخر ملوك الدولة العبادية,ينظرنفح الطيب:242/4، والأعلام: 181/6.

الممالك المتعادية والسيطرة على الفرق المتنازعة ولكنهم فشلوا؛لأن الظروف أقوى منهم وسيطرعليهم المرابطون[1].

الاتجاه الثالث: الجهود التي اعتمدت الدعوة الفكرية وتزعمها العلماء والفقهاء والشعراء، فعندما تطاول إذفونش إلى الثغور, ولم يقنع بضرائب المال, طلب المتوكل بن الأفطس[2]أمير بطليوس من القاضي أبي الوليد الباجي(74هـ)[3] الطواف على أمراء الطوائف، ودعوتهم للاتحاد(403- 474هـ), يدعوهم لانقاد بلاد الأندلس من براثن النصرانية[4].

يخبرنا ابن بسّام عن جهود القاضي أبي الوليد الباجي في التوحيد حيث يقول: ((...لأول قدومه رفع صوته بالاحتساب ومشى بين ملوك أهل الجزيرة بصلة ما أنبت من تلك الأسباب فقام مقام مؤمن آل فرعون لوصادف أسماعاً واعيةً, بل نفخ في عظام ناخرة, وعكف على أطلال دائرة بيد أنه كلما وفد على ملك منهم في ظاهر أمره لقيه بالترحيب, وأجزل حظه بالتأنس والتقريب, وفي الباطن يستجهل نزعته ويستثقل طلعته, وما كان أفطن الفقيه ـ رحمه الله ـ بأمورهم، وأعلمه بتدبيرهم، لكنّه كان يرجو حالاً تتوب, ومذنَباً يتوب))[5] .

إنّ رحلة الباجي الطويلة إلى المشرق في سبيل الحصول على العلم والمعرفة بوّأته مكاناً مرموقاً في نفوس ملوك الطوائف خاصة والأندلسيين عامة, وأشارالمقري إلى هذه المكانة بقوله:((وكان لمّا رجع إلى الأندلس فشا علمه, وتهيأت الدنيا له، وعظم جاهه,وأجزلت له الصلات, فمات عن مال وافر,وترسل للملوك وولى القضاء بعدة مواضع رحمه الله تعالى))[6].

([1]) ينظرالبيان المغرب: 3/ 150، 152, ودولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني:ص109، 110.

([2])هوعمرالمتوكل بن محمد المظفر ابن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي، كان رجلاً شجاعاً ،أديبًا،وهو أخر ملوك بني الأفطس. ينظرترجمته في البيان المغرب:4 / 122، والأعلام: 5/ 60.

([3])هوأبوالوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب(403هـ)،أحد أقطاب المذهب المالكي،وصاحب المؤلفات الفقهية،ولى القضاء في الأندلس, توفي بألمرية في 474هـ . ينظرالذخيرة: ق2/ م1/94, والأعلام: 3/ 126.

([4]) ينظردولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني : ص111

([5])الذخيرة : ق4 /م1 / 95 –97 .

([6]) نفح الطيب : 2 / 72.

أخذت دعوة الباجي مكانةً، بعد أن أحدقت الأخطار بملوك الطوائف، تسير بخطى أكثر رسوخاً وثقةً بمستقبل نجاحها, ونضجت بعد سقوط طليطلة[1].

ومهما كانت النتائج التي توصلت إليها دعوة الباجي، فإنّها كانت بدايةً حسنةً أتمها من بعده عدد من العلماء والفقهاء، منهم ابن حزم الأندلسي(ت456هـ)[2]الذي بذل محاولات عديدة من أجل توحيد الأندلس من خلال نقده لملوك الطوائف مستهجناً فرقتهم والحال التي وصلوا إليها, ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل[3].

وكانت لابـن حيان جهـود مماثلة لجهود ابـن حزم في إلقاء اللوم على أمراء السوء في دول الطوائف, وحكامها الذين انحرفوا عن النهج الإسلامي, أورد لنا ابن عذاري المراكشي لوم ابن حيان لعامة الناس، فكانت هذه النتيجـــة:((الاغترار بالأمل والاستناد إلى أمراء الفرقة الهمّل الذين هم منهم ما بين فشل وَكَلْ, يصدونهم عن سواء السبيل ويلبسون عليهم واضح الدليل))[4].

وظف الشعراء الأندلسيون آنذاك شعرهم لخدمة التوحيد في الأندلس, فكانت لأبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الآلبيري(ت460هـ)[5] أشعارٌ حث فيها الناس على التوحد, في كلمة واحد[6], وللكُتّاب دور في الدعوة إلى توحيد الأندلس أيضاً, ويمثل هذا الدور الوزيرالكاتب أبو محمد عبد الله بن عبد البرّ،له رسالة في ذكرالجهاد يقول: ((ورد كتابك يحض على ما أمر الله به من الألفة واتفاق الكلمة, وإطفاء نار الفتنة, وجمع شمل الأمة في هذه الجزيرة المنقطعة من الجماعة))[7]، وله رسالة على ألسنة أهل بَرْبَشْترُ,عنوانها :((من الثغورالقاصية, والأطرافِ النائية, المعتقدين للتوحيد,

---

([1]) ينظر دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني : ص111.

([2])علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري,عالم الأندلس في عصره, وأحد أئمة الإسلام, انتسب إلى مذهبه الكثيرمن الناس,ولد بقرطبة, كانت له ولأبيه رئاسة الوزراء وتدبير المملكة, من مؤلفاته(الفصل في الملل والنحل),و(طوق الحمامة),انتقد كثيرًا من العلماء والفقهاء. ينظرالأعلام : 59/5.

([3])ينظرالتاريخ الأندلسي،عبد الرحمن الحجي:ص345 ومابعدها.

([4])البيان المغرب : 3 /254.

([5])هوأبوإسحاق إبراهيم بن سعيد التجيبي الإلبيري(460هـ)، شاعر أندلسي أصله من أهل حصن العقاب, شعره كله حكم ومواعظ . ينظر الأعلام: 73/1, 74.

([6])ينظر التاريخ الأندلسي،عبد الرحمن الحجي: ص 346 .

([7])الذخيرة : ق 3/ م1 /173.

المترفين بالوعدِ والوعيد, المستمسكين بِعُرْوَةِ الدين))[1],وللعلماء دورمشهود في الدعوة إلى توحيد الأندلس, ومنهم المحدّث أبو حفص عمربن الحسن الهوزني الإشبيلي(ت460هـ)[2]، بعث رسالة إلى المعتضد[3]بعد نكبة بربشتر يحثه فيها على الجهاد[4].

ولكن هذه الجهود لم تثمر شيئاً بسبب ما شَهِدَه عهد الطوائف من تداع وانهيار, لذلك فكر المرابطون بخلع ملوك الطوائف، حرصاً منهم على وحدة المسلمين، والقضاء على الفُرْقَةِ والتشتت من ناحية، وللوقوف في مجابهة مع الأسبان الذين كثرت تدخلاتهم في أوضاع ملوك الطوائف من ناحية أخرى, وكانت هناك مخاوف عند المعتضد بن عباد من قوة المرابطين المتزايدة في أفريقية كما يشير بالنثيا[5].

ثانياً ـ الإطار الاجتماعي .

إنّ إطلاق تسمية(الأندلسيين)على المجتمع الأندلسي تدل على تركيبه المعقد؛ لأنه يتكون من تلك الأجناس الكثيرة ؛ فهو مجتمع معقد في التركيبة الاجتماعية, وقد تواثرت على تعقيده جملة أمور، تعزى إلى كثرة أجناسه وتعدد أصنافه, منهم السكان الأصليين بأصولهم المختلفة من العرب، فكان عندهم إحساس قوي بالغلبة على الأسبان والبربر، وإدخالهم في الإسلام, وتفوق لغتهم التي سادت بعد ذلك, أما البربرالذين يشاركون العرب في البداوة والإسلام والشجاعة والعصبية القبلية, فمنهم من اعتنق الإسلام وسمي بـ(الأسالمة)أو(المسالمة)،وأبناؤهم(المولدون)،كما ضمّ (الصقالبة)الذين يؤتى بهم من مختلف بلاد الإفرنجة أطفالاً وذكوراً وإناثاً, ويربون برعاية الدولة. أما(الفاتحون)فمن عرب يمنية وأخرى قيسية, وبربر في شمال أفريقية, ومن عناصره أيضًا البلديون والشاميون والأمويون إلى جانب ذلك أهل

([1])الذخيرة: ق3/ م1/ 173،174.

([2])هوأبوحفص عمر الهوزني, من رجال السياسة, أندلسي من أهل اشبيلية, وكان زعيمًا لها قبل رئاسة عباد (المعتضد). ينظر ترجمته في الصلة : لابن بشكوال,تح: إبراهيم الأبياري, دارالكتاب المصري- القاهرة، ط1،1989م : 7/ 585، والأعلام : 5/ 44.

([3])هوعبّاد بن محمد بن إسماعيل ابن عباد اللخمي, من ملوك الطوائف، تولي الأمر بعد وفاة أبيه(سنة 433هـ) فتلقب كأبيه بالحاجب. ينظر الأعلام : 3 / 257-258.

([4]) الذخيرة : ق2 /م 1 /83،84.

([5]) ينظر تاريخ الفكرالأندلسي، آنخل جنثالث بالنثيا : ص 100.

الذمة اليهود والنصارى, ومن لم يسلم منهم تركوا لهم حرية العقيدة وحرية التنظيم الداخلي, والتسامح يسود الطابع العام للسياسة بالأندلس[1].

يرى أحد الباحثين أن التكوين المعقد للمجتمع الأندلسي يضعنا أمام مشكلات مهمة صعبة الحل, فقد جاء العرب ومن معهم إلى بلاد الأندلس واستوطنوها، على الرغم من قلتهم لم يفقدوا مميزاتهم الخاصة بهم، لذلك نراهم يشيدون حضارة تُعدّ جزءاً لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية ، فأضحت قرطبة خلال قرون طويلة المركز الثاني للحضارة الإسلامية بعد بغداد[2].

إنّ هذه التركيبة المعقدة للمجتمع الأندلسي أورثت ما يعرف بالانحلال الاجتماعي، الذي اختلف الباحثون في أسبابه, فمنهم من رأى بأن هذا التفكك نتيجة طبيعية للانحلال السياسي الذي أصيبت به الأندلس بعد سقوط الخلافة، وتطاحن دول الطوائف, فانحازالصقالبة إلى الشرق الأندلسي واستبدوا به, وبقي الأندلسيون(الزعماء العرب)مسيطرين على جزء كبير من غرب الأندلس, أما البربر فتجمعوا في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة, وراجعٌ أيضًا إلى تلك الحرية التي أباحها ملوك الطوائف في شتى نواحي الحياة الاجتماعية بما فيها الناحية الدينية[3] .

أما الرأي الثاني: فهو بخلاف الأول حيث يقول: ((لم يكن الانحلال السياسي لدولة قرطبة ظاهرة من ظواهرالانحلال الاجتماعي أوالفكري, فقد صاحبه على العكس من ذلك ازدهار فكري, ونتاج فكري من شعر ونثر له خاصية صادقة التعبير للأدب الأندلسي, بل وتطور اجتماعي نضج إثره المجتمع الأندلسي واكتسب صفاته المميزة وشخصيته الخاصة))[4] .

إن الاختلاف في التركيبة الاجتماعية، لا يمكن ترجيحه سبباً في الانحلال الاجتماعي, لاسيما وقد مضت على الفتح العربي الإسلامي للأندلس قرون طـويلة, كان لها أبرز الأثر في انصهارالأندلسيين في بوثقة واحدة. إن النـزاعات السياسية

([1]) ينظرنفح الطيب : 21/3،22، وإشبيلية في القرن الخامس الهجري : صلاح خالص, دار الثقافة، بيروت، د.ط 1965م : ص31 -34

([2]) إشبيلية في القرن الخامس الهجري : 34.

([3]) ينظر قرطبة الإسلامية في القرن الخامس الهجري :ص 234، وتاريخ الفكرالأندلسي،آنخل بالنثيا: 13.

([4]) إشبيلية في القرن الخامس الهجري : ص25- 35.

التي مرت بها الأندلس التي وقفتُ عندها في عرضي للإطار السياسي، أبان عهد الطوائف وما ترتب عليها من انقسامات سياسية, تركت آثارها السلبية على الحياة الاجتماعية في الأندلس، إلى حالة التمزق النفسي التي عاشها الشعب الأندلسي المتمثلة في اليأس نتيجة النكبات التي تعرضت لها الأندلس في هذا العصر, وضعف التمسك بمبادئ الدين الإسلامي. أما تمسكهم باللغة العربية، فقال عنها ابن سعيد:((وأهل الأندلس يحافظون على قوام اللسان العربي,لأنهم إمّا عرب أو متعربون))[1].

كانت هناك دواعٍ وراء حالة التداعي بسبب انهيارالنفس الأندلسية، وعدم ثقتها بملوك الطوائف الذين سمَّتهم بعض الروايات أمراء(الفرقة الهَمّل)[2]هذا من ناحية، وبسبب حقد العامة على في بداية الفتنة من ناحية أخرى، حتى أصبح من كان بينه وبين أحد الناس عداء اتهمه بأنه بربري فيقتل[3] .

أشارإحسان عباس إلى ذلك، وأطلق عليها ظاهرة(الجلاء)التي أوجدت حالة من الاستياء من ملوك الطوائف عبَّرعنها شعراؤهم . هؤلاء الملوك كانوا وراء حالة التردي في البلاد نتج عنها إصابة المجتمع الأندلسي بتموجات متحركة كانت أحياناً تخل من بتوازنه ، وإلى جانب بضعف سلاطينهم الذين حرصواعلى ابتياع مناصبهم بمختلف الوسائل, فقد فرضوا الضرائب الباهظة على الرعية, ثم قدموا هذه الأموال إلى أعدائهم بغية الإبقاء على عروشهم[4].

ظهرالتباين الكبيرفي المستوى المعيش بين الأندلسيين بشكل واضح نتيجة لابتزاز الملوك لأموال الناس, عانى عامة الأندلسيين وهم الأكثرية, من عيشة الفقر والفاقة على الرغم من الخيرات الكثيرة التي امتازت بها الأندلس, وقد فصّل المقري القول فيها[5], وتكلم عن احتقار الأندلسيين لمن يتعاطى الكدية ويعمل بيديه, وبذلك كانت الهوة كبيرة بين طبقات المجتمع الأندلسي, فازداد ضجر العامة الأندلسيين من الفوارق الطبقية التي آلمتُهم، ومن الضرائب التي فرضها الأمراء على الناس لسد

([1]) نفح الطيب : 125/1.

([2]) ينظر نفح الطيب:453/4,والبيان المغرب :245/3.

([3]) ينظرالبيان المغرب :3 /97, وتاريخ الأدب الأندلسي- عصر الطوائف والمرابطين : ص 32, 33 .

([4]) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي- عصر الطوائف والمرابطين : ص32، 35، 39.

([5]) نفح الطيب: 1 / 253.

ثغرات فتحوها على أنفسهم, وأكبرالثغرات الضريبة السنوية التي يتقاضاها الأذفونش, ومقدارها خاضع للمساومة متأثر بحال الرضى والغضب، لكنّها على أي حال ضريبة ثقيلة تثقل كاهل العامة من الناس, وتُحصّل من الرعية توا غالباً, ففي بعض السنوات فُرِضَ على عبد الله بن بلقين[1], مبلغ عشرة آلاف دينار، وهناك الضريبة المفروضة لدفع مرتبات الجند, وهكذا انتشرت الكدية على نطاق واسع, والإيقاع بملوك الطوائف, والاستيلاء على المعاقل وضم الأراضي, إلى أن استولى آخرالأمرعلى مدينة طليطلة(478هـ)[2].

عرف هذا العهد بانتشارالمغامرين، فكان لبعض الفقهاء والقضاة دور بيّن في المغامرة، وهم خيرعون لهؤلاء الملوك, حيث كانوا يهادون الأمراء ويبررون أخطاءهم حرصاً منهم على مواقعهم السياسية الممتازة وعلى عيشهم الرغيد في كنف الأمراء, فهم شركاء مع الأمراء في تحملهم مسؤولية ضياع الأندلس[3]. يقول ابن حيان:((ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا في صنفين هم كالملح فيهم: الأمراء والفقهاء, لم تتنافر أشكالهم بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يفسدون, فقد خص الله سبحانه هذا القرن الذي نحن فيه من اعوجاج هذين الصنفين لدينا, بما لا كفاء له ولا مخلص منه, فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق ذيادا عن الجماعة, وجرياً إلى الفرقة...))[4]. ولكن هذه الصفة السلبية لم تك ملازمة لفقهاء الأندلس كافة, بل كان هناك دور إيجابي تمثل بجهود التوحيد, وقد سبق القول في ذلك .

هكذا كانت حياة الأندلسي، تتأثر بكل مظاهرالحياة الجديدة التي امتازت بالقلق والاضطراب، والتنقل بين القوة والضعف، والرخاء والضيق, والعزة والهوان .

([1])هوالأميرعبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس الصنهاجي,آخر ملوك غرناطة من بني زيري, توفي بأغمات سنة483هـ, وقد كتب مذكراته أثناء إقامته في منفاه بمدينة أغمات. ينظرالمغرب في حلي المغرب،ابن سعيد المغربي، تح :شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1964م: 108/2

([2]) ينظرتاريخ الأدب الأندلسي- عصرالطوائف والمرابطين: ص39،40،ودراسات وبحوت في تاريخ المغرب والأندلس، أمين الطيبي:ص173.

([3]) ينظرتاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين : ص 37 -38 .

([4]) البيان المغرب: 254/3

ثالثاً ـ الإطار الثقافي .

شهد العرب المسلمون في الأندلس، ظروفاً فريدة من المتغيرات الحضارية، وفي وسط مناخ سياسيّ شديد التقلب عاشت الأندلس نتيجة سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، واستعر لهيب الفتنة أمام حدود لا تعرف معنى الاستقرار،وسط هذا المناخ وفق مبدعوالأندلس في القرن الخامس الهجري إلى الرقي بحياتهم الأدبيّة، فقد أنشأوا نثراً كثيراًغزيرالمادة لا يقل في أغراضه، ولا تنوع أشكاله، ولا في عمق معانيه، ولا في جماله عما نظمه الشعراء من القريض[1]كلُّهذا في ظرف زمني وجيز، وفي بيئة مهددة دوماً بالغزو، وهي تشيد صرحاً ثقافياً متيناً؛ لأنه على الرّغم ما أحدثه الفتح من تغيرات في النفسية الأندلسية، وفي بعض الأوضاع السّياسية والاجتماعية، فإنّ الأندلس من الوجهة الثقافية والأدبية قهرت فاتحيها[2].

ومن الملاحظ أن النثرالأندلسي لم يخرج طيلة القرنيين الثاني والثالث الهجريين عن دائرة الكتابة الديوانية ذات الطابع الرسمي التي تصدرعن الولاة أو الأمراء أو كُتّاب الدواوين أو عامة النّاس من المتأدبين؛ لبسط أخبار الفتن والثورات، وبيان سياسة الحكم في البلاد، وتنظيم شؤونه، وما يتعلق بحقوق الرّعيّة وواجباتها، أو التعبيرعن همومها، ورفع شكاواها إلى الحاكم . لذلك انحصر النثر الفنيّ على امتداد هذين القرنين ـ وما فيهما من تفاوت في مستواه الفني ـ في معالجة موضوعاته: الوصايا والعهود والرسائل، والتوقيعات، والمحاورات الشفهية, والخطب في حدود ضيقة, كما اتسم في عمومه بخصائص النّثرالمشرقي المعروفة في بني أمية آنذاك, ولم ينهض النثرالأندلسيّ إلّا في القرن الرّابع الهجري، حين بلغت الدولة الأموية ذروة قوتها ونفوذها السياسي وأوج حضارتها، وأصاب التعقيد كثيراً من نواحي الحياة, وبخاصة بعد إعلان الناصرلدين الله الخلافة سنة(316هـ)؛ ما استوجب وجوها من التنظيم والتشريع داخل البلاد، الأمرالذي ترتب عليه زيادة عدد الوزراء, وكثرة الدواوين والاهتمام بالكُتّاب حتى نجد أحد الوزراء، وهو ابن شهيد

([1])ينظرالنثرالأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري "مضامينه وأشكاله"،علي بن محمد , دار الغرب الإسلامي, بيروت، ط1، 1990م : 7/1.

([2])ينظرتاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين : إحسان عباس :ص 9 .

(ت426هـ)[1]، حين يهدي إلى الناصرهدية عظيمة لم يُهاد بمثلها أحدٌ من الملوك مرفقاً معها رسالة حسنة يعترف فيها للخليفة بنعمائه ومآثرهُ. وما ساعدعلى ذلك تعدّد مراكز الحضارة الإسلامية في الأندلس بعد انقسام الدولة الكبيرة إلى دويلات صغيرة يتنافس أصحابها في اجتذاب العلماء ورعاية العلم تنافساً حامياً[2].

إنّ النهضة الأدبيّة والفكرية التي امتاز بها عصر ملوك الطوائف، تبرز قوية مع الانحلال السياسي والاجتماعي في هذا العصر, غير أنهم كانوا حماة العلوم والآداب، ومعظمهم من أكابرالأدباء والشعراء والعلماء, وكانت قصورهم منتديات زاهرة بالعلوم والآداب والفنون, كما حفل هذا العصر بجمهرة كبيرة من العلماء والكُتّاب والشعراء , وانتشار دورالعلم[3].

لقد لاحظتُ على الحياة السياسية التي اتسمت بالانقسام والتفتت الذي أدى إلى الانهيار والتشتّت ؛ لكن مع هذا وجدتْ حركة أدبية وفكرية . أليس من الغريب أن يظهر كل هذا في عصر الانقسام؟ قد يزدهرالفكر والأدب في عصور الضياع والانهيار, كما قد يخبو الفكر والأدب، ويتراجع في عصورالاستقرار السياسي .

إنّ صورة الأدب الأندلسي في هذه الفترة- القرن الخامس الهجري- اكتملت، وبلغت مرحلة من التطورالفنيّ، فقد اتسع النطاق المكاني لهذا الأدب، وتعددت أسماء الأدباء والكُتّاب[4].

ويمكن القول : إنّ كتب التراجم الأندلسية عامرة بأسماء لمعت في ميدان الكتابة, وجمعت بين النظم والنثر، ومن هؤلاء المبدعين ابن شهيد(ت426هـ),الذي وصفه ابن بسّام، قائلاً: ((كان أبوعامر شيخَ الحضرةِ العظمى وفتاها، ومبدأ الغاية القصوى ومنتهاها، وينبوعَ آياتها، ومادةَ حياتها))[5]. ومن المبدعين أيضاً الجزيري(ت394هـ)

([1])هو أبوعامر أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شُهيد, كان شاعراً, وناقدًا, له رسائل كثيرة في فنون الفكاهة و أنواع التعريض,والأهزال, له مؤلفات كثيرة ينظر بغية الملتمس: 240/1،239، وجذوة المقتبس في ذكرولاة الأندلس،الحميدي: أبو عبدالله محمد بن فتوح(ت488هـ)، دارالكتاب المصري،ط3، 1989م: 233/7 .

([2]) ينظرتاريخ الفكر الأندلسي،آنخل بالنثيا: ص13، والفن ومذاهبه في النثر العربي،شوقي ضيف،دار المعارف،مصر، ط5، 320-321.

([3]) ينظر دولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني: ص423.

([4]) ينظرالنثرالأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري،على بن محمد : 1 / 107 .

([5]) الذخيرة : ق1/ م1/ 191، 192.

أحد المولعين بالبحث عن صيغ جديدة[1]وابن حزم(ت456هـ)، والكَلاعِي(ت531هـ) وابن أبي الخصال(ت540هـ), الذي يتأتى ويتأنق في نثره، ومن هنا غلبت شهرته في النثر، وعلا ذكره في الترسل[2].

فهذا التطورشمل نواحي مختلفة في القرن الخامس الهجري، فقد اتسعت مجالات النثر اتساعاً لم يسبق لها نظير، وامتدت أغراضه، لتشمل كل مناحي التعبير، حتى لم يكد يخلص شيء منها للشعر ينفرد أو يتميز به دونه. فالشعرالذي يشهد التحول الكبيرالمتمثل في نشأة الموشحات، لم يحدث فيه بعد ذلك من التطور والتغير ما يضارع التطورات والتغيرات البعيدة الأثر, التي عرفها النثر في القرن الخامس الهجري[3], وهذا التفوق للنثر يرجع إلى الرفعة الذهنية، والتقدم الحضاري، فضلاً على أن النثر أداة طيعة لدى الكُتّاب الذين جلّ أثرهم في العهد الطائفي[4], وكان في الأندلس، كما كان في المشرق عدد كبير من الكُتّاب المجيدين المبدعين الذين رق أسلوبهم وراق نهجهم, وأمسكوا من الكتابة بخيرالأمور,وملكوا منها ناحية الإتقان وضروب الإبداع، غير أن كبار كُتّاب الأندلس هم أنفسهم كبار شعرائها المرموقين من أمثال:ابن بردالأكبر(ت418هـ)[5]،وابن برد الأصغر(ت440هـ)[6]، وابن زيدون (ت463هـ)[7] ، وابن شهيد ، وابن حزم ، وأبي عبد الرحمن بن طاهر (ت507هـ)[8] وغيرهم[9].

([1]) ينظرالبديع في وصف الربيع:الحميري, مكتبة الثقافة الدينية, بور سعيد, مصر،ط1، 2002م: ص78.

([2])ينظررسائل ابن أبي الخصال،أبوعبد الله بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي،تح : محمد رضوان الداية،دار الفكر،دمشق،ط1،1988م : ص14 .

([3]) ينظرالنثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري،علي بن محمد:1 /207 – 208.

([4]) ينظرأدب الفكاهة الأندلسي، رياض قزيحة,المكتبة العصرية,بيروت،ط1 ,1998م:ص 45،46.

([5])هو أبو حفص بن برد, شاعراً, وكاتباً من كُتّاب النظم والنثر, تقلد ديوان الإنشاء في الدولة العامرية, كتب عن الخليفة سليمان المستعين, توفي بسرقسطة, له رسائل مشهورة .ينظر المغرب :1/ 205 .

([6]) له ترجمة لاحقة، الفصل الثاني، المبحث الأول .

([7])هوأبوالوليد أحمد بن زيدون الخزومي,كان شاعراً وكاتباً, وزّره المعتضد بن عبّاد,ولقب بذي الوزارتين, وله رسائل مشهورة, ينظر قلائد العقيان ومحاسن الأعيان،لابن خاقان,تح : حسين يوسف خريوش, مكتبة الميار-الزرقاء – الأردن, ط1, 1989م : 2/ 209, والأعلام : 1/ 158 .

([8])هوأبوعبد الرحمن محمد بن طاهرالأندلسي(507هـ),من أكابرالكُتّاب بالأندلس,وحبس في" منت قوط", دفن بمرسية. ينظر الأعلام : 6/ 172.

([9])ينظرالأدب الأندلسي- موضوعاته وفنونه- مصطفى الشكعة,دارالعلم للملايين,بيروت، ط1975،8م: ص569.

فإن الأدباء الذين ذكرناهم من نجوم الشعر في الأندلس, يثيرون الدهشة بجمعهم بين نوعي الشعروالنثر، والإجادة فيهما على حدٍ سواء[1], وتعود شهرة الكُتّاب في الأندلس إلى ارتباط خطة الكتابة بالرئاسة والسلطان[2].

معظم ملوك الأندلس في القرن الخامس الهجري, يحبون العلم والعلماء, فقرّبوا أهله ورفعوا مراتبهم, وأغدقوا الصلات بمثابة مجامع للعلوم والآداب والفنون يأتي إليها كلُّ طالب للعلم، وراغب في الأدب[3].

ويمكن القول: إنّ الأدب الأندلسي في اندفاعه نحو المتعة أقبل على الكثير من الموضوعاتِ، سواء أكان التعبيرعنها يمثل ظاهرة علمية أو حُلماً غايته إبراز المقدرة الفنية، ومن ذلك وصف الطبيعة بما فيها، ووصف القصور،هذا الوصف يمازج الكثيرمن الأغراض المتصلة بحياة اللهو والفراغ، والتفنن في حياكة الشعر،والرّسائل النثرية على ألسنة الأزهار، وفي الشفاعات، وفي هذه الموضوعات كان الأندلسي يجد منطلقه الواسع، ورضاه الذاتي، وتضافرت على تشجيع ذلك عدة عوامل في مقدمتها البيئة الأندلسية نفسها، وبنية المجتمع الأندلسي, فقد كان الأديب أو الشاعر يستلهم كتاباته من الطبيعة الجميلة؛ ولهذا اختلف أهل الأندلس عن أهل المشرق, فبيئة الأندلس الطبيعية والاجتماعية مختلفة عن بيئة المشرق في كثيرمن الشؤون, وبذلك اختلف النتاج الأندلسي عن النتاج المشرقي[4] .

تعددت فنون النثرالعربي وطرائقه في الأندلس، حتى أصبح يضم كلّ فنون النثر التقليدية التي عرفها المشارقة من خطب، ورسائل، ومقامات، ومناظرات إلى جانب ما أضافه الأندلسيون عليها، وهم في هذا أضفواعلى نثرهم طابعاً مميزاً، كان وليد أمزجتهم وثقافتهم، وأوضاع مجتمعهم، وطبيعة بلادهم[5].

([1]) ينظر الأدب الأندلسي ، الشكعة : ص569, وتاريخ الأدب الأندلسي- عصر الطوائف والمرابطين:ص82.

([2]) ينظرالذخيرة : ق1/م1/22 وما بعدها.كيفية إضفاء الألقاب : ذوالوزارتين ,الوزير الكاتب,الوزيرالفقيه.

([3]) ينظردولة الإسلام في الأندلس، عبد الله عنان : ص 423.

([4]) ينظرتاريخ الأدب الأندلسي – عصرالطوائف والمرابطين، إحسان عباس : ص193- 194. والنثرالأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري،علي بن محمد : ص455/1 .

([5])ينظر الفن ومذاهبه في النثرالعربي، شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر، ط5، 1960م:ص320، والأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق:ص437.

ولاحظتُ- بحسب متابعتي- للدراسات الأدبيّة التى عنيت بدراسة الأدب الأندلسي أن الازدهار الثقافي قد تمّ في بداية القرن الخامس الهجري، مع قيام الإمارات المستقلة، كان أكثرما يميزها أجواء التحررالتام من السيطرة على الأفكار، وتمكن أهل العلم والأدب من اختيارالبيئات السياسية التى تلائمهم، فالحضارة الأندلسية في بدايتها كانت مشرقية ، ثم بظهورالجيل الجديد تعلم وتثقف ثقافة عربية أصيلة, استقلت الثقافة واستوى عودها في الأندلس، وكثرت الينابيع الثقافية بين العلماء والمفكرين والمكاتبات، وبلاطات أدبيّة، ورحلات علمية[1]، لقد فطن ابن بسّام في مقدمته بهذه العبارة: ((إلاّ أنَّ أهل هذا الأفق، أبَوْا إلاّ متابعة أهل الشرق, يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوعَ الحديث إلى قتَادة؛ حتى لونَعق بتلك الآفاق غراب، أو طَنَّ بأقصى الشام والعراق دُباب، جَثَوْاعلى هذا صنما، وتلَوْا ذلك كتاباً مُحْكَما؛ وأخبارُهم الباهرة، وأشعارُهم السائرة مرمى القصّية، ومناخ الرذية))[2].

الارجح أن هذه الصرخة التي أطلقها ابن بسّام ضد التقليد، وترك ماهو موجود في الأساس، كانت المنطلق الأساس لتحويل أدب بلاده من(أدب معرفي)إلى(أدب إيثارة)، ليثيرمن خلاله اهتمام الآخرين، ويؤثر فيهم بعد أن كانوا متأثرين بغيرهم.

والغالب أن بعض الباحثين في الميادين الأدبيّة الأندلسية يجمعون على أن ابن بسّام أقر بتقليد الأندلسيين للمشارقة، ولم يذكر للأدباء الأندلسيين من تجديد وإبداع .

ومن خلال مطالعتي لكتاب الذخيرة، وجدتُ أن ابن بسّام أحد الغيورين على الهوية الأندلسية ،والغاضبين من توشيحها بوشاح مشرقي . لم يصرخ ابن بسّام الصرخة العظيمة إلاّ بعد أن وثق من أهل بلاده، وهم أحق بأهل العلم والأدب، آخذ يُشدد النكيرعلى مواطنيه الذين رفضوا متابعة إلا أهل المشرق، محاولاً أن يظهر ما لدى الأندلسيين من تراث حضاري يستحق البعث والإشادة.

هل كان ابن بسّام محقاً في ذلك ؟ لعله كان محقاً، فلولا شعوره بالثقة في فكر أهل بلاده لما قدم على تأليف كتابه النفيس"الذخيرة" وجمع فيه ما وجده من حسنات

([1])ينظرتاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين:107- 108.والأدب العربي في الأندلس،عبد العزيزعتيق: 432 ومابعدها، والنثر الأدبي الأندلسي،علي بن محمد:207/1

([2]) الذخيرة : ق1/ م1/ 12.

دهره, ومحاسن أهل بلده وعصره ، كما له دعوة آخرى للخروج من دائرة التقليد للأدب المشرقي ، وذلك في قوله: ((إذ كلُّ مُرَدَّدٍ ثقيل، وكلُّ متكرر مملول، وقد مَجّت الأسماعُ : ((يا دارَ مَيّة بالعلياءِ فالسّنَد))[1].

وسبق ابن بسّام(ت542هـ)إلى التجديد، الكاتب أحمد بن عبد ربه(ت328هـ), من أعلام القرن الثالث الهجري ، الذي أثار مشكلة تبعية الأندلس العربي الفكرية إلى المشرق العربي، ويؤكد في تلك الدعوة إلى الاستقلال والإبداع، إذ يقول:((وحليتُ وقرنتُ بها غرائب من شعري، ليعلم الناظر في كتابنا هذا، أن لمغربنا على قاصيته، وبلدنا على انقطاعه حظ من المنظوم والمنثور...))[2].

يبدو أن في قوله دليلاً على أن للمغرب العربي بالرغم من انقطاعه, وبعده عن مواطن الثقافة العربية في بغداد ودمشق له حظ من النتاج الفكري .

كما أن هناك وقفة لأبي الوليد الحميري(ت440هـ)[3], يقول فيها :((وأما أشعار المشرق , فقد كثر الوقوف عليها, والنظرإليها, حتى ما تميل نحوها النفوس ولا يروقها منها العلق النفيس مع أني استغني عنها ولا أحوج إليها بما أذكره للأندلسيين من النثرالمبتدع والنظم المخترع وأكثر ذلك لأهل عصري إذ لم تغب نوادرهم عن ذكري. وأما من بَعُد عصره وكم فيهم من جليل قدرهُ فقلما أوردت لهم شيئاً...))[4].

يقول صاحب النفح : ((كما اشتهروا بالرغبة في العلم، حتى لقد وضع ابن حزم في فضل علماء الأندلس، وعاب على أهل الأندلس تقصيرهم في تخليد أخبارعلمائهم، ومآثر فضائلهم ، مع كثرتهم ، ووفور أدبائهم ، وجلال ملوكهم - وقد تدورك هذا- فألف بعده كثيرمن كتب وتراجم علماء الأندلس وأدبائها، وما أكثره))[5].

([1]) الذخيرة : ق1/م13/1 .

([2])العقد الفريد،لابن عبد ربه، تح : مفيد محمد قميحة, دارالكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط 1, 1987 م: 6/1.

([3]) له ترجمة في الفصل الثاني ، المبحث الأول: ص97 .

([4]) البديع في وصف الربيع : من مقدمة المؤلف .

([5]) نفح الطيب : 156/3، 157.

وفي قول ابن حزم(ت456هـ) في حقيقة التبعية ، أنه من العبث أن يندفع نحو أدب المشرق ؛ لأنه يرى لم يكن كافياً , ليقدم معرفة عن ماهية الإنسان أويمد العبقرية الأندلسية بمفاهيم جديدة[1].

ونخلص أن ما تقدم عرضه, فيه ردّ على من وصف الأدب الأندلسي بالركود والجمود، كما يتضح ممّا سبق الدعوة الملحة في التوجيه نحو إثبات الذات الأندلسية والإشادة بالإبداع والابتكار،وهذا ما نراهُ في قول ابن بسّام :((ولواقتصرالمتأخرون على كتب المتقدمين, لضاع علم كثير, وذهب أدب غزير..)) [2]. يستنبط من هذا أن حركة الأدب لم تتوقف عند المتقدمين، فهي حركة متصلة ومتجددة، وهذه دعوة للباحثين على تحقيق المخطوطات المتعلقة بأدب الأندلس، وكشف ماهو مدفون لا يبصر النور. لا إلى نظرة تحكم عليه بالانفصال والتبعية والتقليد، لكونه أدباً بعيداً في مكانه. فلماذا لا ننظر إليه لكونه أدباً عربياً نبع من جذورعربية ؟ قادرعلى الإبداع والتأثير، وأن الأندلس هي الجسرالذي عبرعليه الأدب العربي إلى أوروبا, وبذلك أصبحت المصدرالأول، للتوجيه الفكري في العالم الغربي .

من الملاحظ أن جهود الباحثين انصرفت منذُ أمدٍ بعيدٍ إلى رصد الظواهرالشعرية ودراستها ، والكشف عن عناصر الإبداع فيها، واهتموا بإزالة الغموض الذي اكتنف حياة الشعر العربي ... ولا ضير في ذلك كله, إن هذا الاهتمام جاء على حساب النثر الذي يمثل فناً أدبياً ذا قيمة[3], فقد لفت نظري, أن معظم الدارسين للأدب العربي في الأندلس قديماً وحديثاً, يلتقون عند أمرين هما :

الأول : وضع هذا الأدب في مقابل الأدب العربي في المشرق, وكأننا أمام أدبين, لا أمام أدب عربي واحد, ومن تم يرتبون على هذه النظرة المنهجية أحكاماً فنية.

الثاني: النظرة إلى الأدب العربي في الأندلس على أنه مجرد صدى للأدب العربي في المشرق, وهي نظرة مترتبة بالطبع والوضع على النظرة الأولى . حتى

([1])ينظرالقطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية:عبد الله أنيس الطباع, دار ابن زيدون ـ بيروت- لبنان, ط1،1986م : ص131.

([2]) الذخيرة: ق1/ م1 / 15.

([3])ينظر الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي: فوزي سعد عيسى,دارالمعرفة الجامعية, د.ط ,1998م: ص7.

القلة القليلة من الباحثين الذين يأخذون جانب الدفاع عن الأدب العربي في الأندلس في القديم والحديث، ينطلقون في دفاعهم من النظرة المنهجية نفسها التي تستند إليها الطائفة الأولى, ومن تم يبالغون في إضفاء طابع الاستقلال عليه, ويلتمسون له ملامح متميزة, ويضيفون إليه من المناقب والمزايا ما شاء لهم حماسهم وكرمهم .

والواقع أن الأدب العربي في الأندلس ليس تابعاً للأدب العربي في المشرق, وليس مستقلاً عنه, إنما هو جزء من الأدب العربي, لا يوصف بالتبعية أو الاستقلال, ففي البيئة الأندلسية الجميلة وجد الأدب العربي كل ما يستثيرالخيال والوجدان فنما فيها وأزهر,واكتسب من مسيرته طابعاً جديداً, وسمات خاصة تميزه عن أدب المشارقة .

اخترتُ للدراسة الفنية من ميدان " فن النثرلأندلسي" أعمالاً أدبية متميزة للتدليل على تجديد الأندلسيين في مجال النثرالعربي, فحاولتُ تتبع قضية"العقد الفريد" منذ أن أطلق الصاحب بن عباد[1] قولته المشهورة:((هذه بضاعتنا ردت إلينا)). طارت هذه القولة في أرجاء العالم الإسلامي, تدعمها مكانة صاحبها الأدبية ومنصبه المرموق, وترددت في أسواق الأدب ومحافل الثقافة, حتى التقصها الحسن بن محمد الربيب القيرواني[2],ثم أبو يحيى بن المعلم الطنجي, واستغلاها استغلالاً منكراً في إذكاء الأحقاد الثقافية, وجعلا يرميان الأندلسيين في شؤون الفكر والأدب بالقصور .

أراد صاحب العقد أن يعارض به أدباء المشارقة, فهو يقف موقف الدفاع عن شخصيته الأدبية الأندلسية, وعن قيمته الأخلاقية والدينية, ويؤكد بأن الأندلسيين لا يقلّون إبداعاً عن غيرهم, والحق أن كتاب "العقد" يعتبر خلاصة ما وعته مؤلفات الأصمعي, وأبي عبيدة, والجاحظ ؛ وهو صاحب الذوق المثقف, والذهن المترف أن يستوقفه ما يتميز به هذا الكتاب: من جمال في التبويب, وروعة في الترتيب, مما جعله بين المؤلفات عقداً[3].

([1])هو إسماعيل بن عباد بن العبَّاس ، المعروف بالصّاحب, المُكنّى بأبي القاسم، ولد في طاقان ببلاد فارس(326هـ) توفي سنة (385هـ). معجم الأدباء : 2 /273 , والأعلام :1 /323.

([2]) يقول ابن بسّام :إن أبوعلي ابن الربيب القروي لعله الحسن بن محمد التميمي التاهرتي الأصل, وقيل أن أصله من تاهرت, كان عارفًا بالأدب,وعلم النسب, قوي الكلام يتكلفه بعض تكلف. ينظرهامش الذخيرة :ق1/ م1/ 133, ونفح الطيب : 3/ 156- 301.

([3]) ينظرنفح الطيب : 158/3, 159.

وصار كتاب العقد الفريد من أمهات الكتب المعتمدة، التي لن يستغنى عنها باحث أو دارس لآداب لغة العرب من مغرب الأرض ومشرقها, وأن هذه الموسوعة الثرية جمعت ما ضاع من تراث السالفين من الرواد, وليس كله بضاعة مشرقية, ففيه تاريخ لبعض خلفاء بني أمية في الأندلس .

ومن هنا انتفض العالم الجدل علي بن سعيد بن حزم غاضباً, فكتب رسالة في أهل الأندلس يرد بها على ابن الربيب[1],وكذلك إسماعيل بن أحمد الشقندي[2]كتب رسالة في إظهارفضل الأندلس, وإشهارمحاسن أهلها يعارض بها أبا يحيى ابن المعلم الطنجي, وكانت له صحبة ومجالسات أُنسْ عديدة, ومحاضرات لا تكاد تنفصل[3] .

لقد انقشعت هذه المعركة عن اتجاه خاطئ, هوالاحتكام إلى شيء بالغ الخطورة في الدراسة الفكرية والفنية, أضر بقضايا الأدب والفكر اضراراً بالغاً , ذلك الانحياز إلى العصبية الإقليمية عند الغالبية من الدارسين المتقدمين, كان من أوضح هذه الآثار تقسيم الأدب العربي إلي مشرقي وأندلسي .

على ضوء هذه المفاهيم اخترتُ فن(المعارضات النثرية)لأبرز ملامح التجديد, والابتكار، وأضفي عليها طابعاً فنياً يُلائم السياق العام للأدب العربي .

وبهذا يتضح أثرالنتاج الأندلسي لكُتّاب القرن الخامس وأدبائه بما أوتوا من موهبة, أن يرتقوا بأساليب النثرالعربي ومذاهبه, فقد أبدع الأندلسيون في جميع الفنون, وكان لبعض الظواهرالأدبية التي شهدها الأندلس في القرن الخامس الهجري أثر كبير في ازدهار أدب الرسائل . فقد أدت ظاهرة كثرة الشعراء الجوالين الذين يطوفون على الأمراء مادحين متكسبين بأشعارهم إلى كثرة الرسائل التي تكتب في الشفاعات، والوصايا من أجل أولئك الشعراء[4]؛ إذ كان الواحد منهم يحتاج إلى

([1])ينظرالذخيرة: ق 1/ م1 /133- 137, ونفح الطيب : 156/3،157.

([2])هوإسماعيل بن محمد,أبوالوليد الشقندي(629هـ),أديب أندلسي,له شعر من أهل شقندة, مولده بها,وفاته بإشبيلية, له رسائل في فضل الأندلس, وصف فيها أشهرالمدن الأندلسية ينظرالأعلام 1/ 323، 324.

([3]) ينظرنفح الطيب :186/3.

([4]) ينظر الذخيرة : ق 3 /م 1 / 311, 468 .

رسالة توصية من أحد المشهورين حتى يستطيع أن يبلغ مأمله, وربما كانت الحدود السياسية الكثيرة آنذاك عاملاً آخر في اللجوء إلى مثل هذه الرسائل[1].

من مظاهرالازدهار انتشار ظاهرة المعارضات بين المترسلين؛ وهي تشكل جزءاً مهماً من ظاهرة السلاسل الأدبية التي كانت مألوفة في الأدب الأندلسي في هذا القرن؛ إذ كانت رسالة تثيرعدة رسائل: أي أن الرسالة الواحدة تثير كتابة رسائل أخرى،لاسيما حين يدخل حلبة النزال كُتّاب آخرون بقصد إظهار براعتهم واقتدارهم في القول, ثم مجاراة الرسالة ومحاولة التفوق عليها. من هذه السلاسل الأدبية رسائل الزهريات, ورسائل الزَّرْزُريات, ورسائل وصف مطر بعد قحط ، وقد واكب أدب الرسائل في الأندلس جميع مظاهرالحياة الأندلسية آنذاك، سأتناولها بالشرح والتحليل في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

و ما يؤخذ على الباحثين أنهم كانوا ميالين كل الميل إلى إثارة المعارضات الشعرية على المعارضات النثرية. فالمعارضات النثرية ليس لها حظ على الاطلاق عند الدارسين والباحثين، فلماذا لم تحظ المعارضات النثرية بما حظيت به المعارضات الشعرية من الدراسة والاهتمام ؟ أو أن المادة الأدبية في نظرهم لا تستحق الدراسة العميقة، أوهي كما قال الدكتورعلى بن محمد:((والذي يجدرالتنبه له أن المعارضات التي عندنا تتميز بوضع خاص، جدير بالعناية، أثناء الدراسة..)) [2].

لعل دراسة فن المعارضات النثرية من الأهمية بمكان؛ إذاعرفنا أن تلك الدراسة تلقي بالأضواء على عصر من عصورالأدب المختلفة، فتتضح صورة المجتمع الجغرافية، وعاداته الاجتماعية، وثقافته الأدبيّة، وتربطنا بالتراث ربطاً وثيقاً، يكشف لنا ازدهار، أو جمود الحركة الأدبية في ذلك العصر،وتكشف اللثام عن طبائع النفوس ودخائلها، وما تعرضت له من تجارب ذاتية، كانت وراء ذلك التعبيرالمفعم بالصدق الفنيّ في أغلب حالات تلك التجارب .

([1]) ينظرتاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين : إحسان عباس, ص 86.

([2]) ينظرالنثرالأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري :على بن محمد ,1/ 539.

إن فن المعارضة من الموضوعات التي واكبت الأدب العربي, فنحن بصدد تجارب بشرية بينها من أنماط التشابه وضروب التميز ما يزيد الرؤية وضوحاً وثراءً, وكذلك أمام مطلب التغلغل في تحليل المعاني, وفروق الألفاظ, وتباين الأساليب .

وأتيح ليِّ أن أدرس هذه الظاهرة من خلال المادة الأدبية في كتاب الذخيرة لابن بسّام، فقد أنشأ الأدباء عملاً غزيرالمادة في قرن واحد, القرن الخامس الهجري معارضات خارجية(مشرقية), تحدث عنها الكثير من الدارسين للأدب الأندلسي وأخرى داخلية(أندلسية)؛ ونعني بها المعارضات التي يجعلها الكاتب معرضاً لإظهار مهارته الفنية, وتكشف لنا عن حجم هذه الظاهرة الأدبية. المعارضة عدها النقاد محكاً للجودة, وسبيلاً إلى الرفض, ونهجاً في التحدي, ووسيلة للتبريز والتفوق[1]. إذن هل المعارضة من مظاهر التقليد؟ ولماذا لا تعد المناقضات تقليداً ؟ ساقف أمام هذه المعارضات، وأدرس نماذج واسعة منها في الفصول القادمة.

اتخذ الكُتّابُ الأندلسيون من الأعمال النثرية المشرقية مجالاً للمعارضة، معبرين عن حتمية انتماء اللاحق للسابق تارةً ,وشرعية الانفصال والتجاوز تارةً أخرى, فأداروا معها حواراً فنياً, أفرز لوناً جديداً لاعهد للنثر المشرقي به, تتمثل في(المعارضات النثرية)[2] فهذا اللون الجديد وليد البيئة الأندلسية.

وللمعارضات الداخلية لون أخر، تكون من إنشاء الأديب نفسه في الرسالة الواحدة النثرية؛ أي أن يعارض الأديب نفسه، وهي ظاهرة توحي بقمة التفوق والإبداع لدى الأندلسيين, نذكرمنها المعارضة التي جاءت في رسالة التوابع والزوابع(لابن شهيد) في رحلته في عالم الخيال, أوردها ابن بسّام في الذخيرة.

([1]) ينظرتيارات النقد الأدبي الأندلسي: مصطفى عليان, مؤسسة الرسالة,ط1, 1984م :ص315.

([2]) ينظر مجلة أفق الثقافية :العدد 2, 1- فبراير 2003 .

الفصل الأول

المعارضات النثرية الأندلسية في القرن الخامس الهجري

المبحث الأول: مفهوم المعارضة ونشأتها , وتطورها , ومُسمِّياتها.

المبحث الثاني: العوامل التي ساعدت على نشأة فن المعارضات في القرن الخامس الهجري.

المبحث الثالث: المعارضات والفنون الأخرى

المبحث لأول

أولا ـ مفهوم المعارضات.

المعارضة في اللغة:

جاء في مقاييس اللغة أن: ((العين والراء والضاد بناء تكثر فروعُهُ, وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحدوهوالعَرْض))[1], وقد جاء بدلالات مختلفة والذي يعنينا هنا الزيادة التي تطرأعلى مادة(عَرَضَ)التي زنتها (فَعَل)، لكي تنضوي تحت تصنيف الفعل الثلاثي المزيد فيه حرف واحد, فتكون(عارض) وزنتها (فاعل), وهذه الزيادة لها دلالاتها, فهي تعني التشارك بين اثنين أو أكثر, فضلاًعن معنى المشاركة- المتقدم- فإنّ لصيغة (فاعل)معانٍ أخرى[2].منها المغالبة, وتدل على غلبة أحدهما بصيغة(فَعَلَ)من باب نَصَرَ[3].

ولعل علة الانتقال عن الأصل هو ضعف الأسباب التي توصله إلى ما استقرعليه مصطلح المعارضات من حيث الدلالة , لذلك لامناص من تجاوزه والاقتصارعلى فحص وتمحيص الدلالات المتفرعة عن الأصل الذي أشرنا إليه .

فلو تأملنا قول الخليل(ت175هـ) لوجدناه ضرب بسهم ((وعارضتُه بمثل ما صنع, إذا أتيتُ إليه بمثل ما أتى إليك, ومنه اشتُقَّتِ المعارضة))[4]. قال ابن فارس: وهذا هو القياس, كأن عَرْضَ الشيء بالشيء الذي يفعلهُ مثل عَرْض الشيء الذي آتاه[5]،هذا المعنى مؤشرعلى المتابعة والتقليد بفارق زمني تعاقبي؛ بدافع التحدي والإعجاب .

([1]) معجم مقاييس اللغة،أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا, تح:محمد عوض مرعب وآخرين,دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1،2001ف : ص727.

([2]) ينظرالواضح في علم الصرف, نوري على شرينة وآخرين، منشورات الدعوة الإسلامية، ط1,2003 م: ص 93-95.

([3])ينظرشرح شافية ابن الحاجب الاستراباذي, تح: محمد محي الدين عبدالحميد,وآخرين،دارإحياء التراث العربي، بيروت، ط1، د.ت :ص 53.

([4]) ينظرمعجم العين،أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي،تح :مهدي المخزومي وزميله, داروكتبة الهلال، بغداد، العراق، ط 2،1986م: 272/1، مادة(عَرَضَ).

([5]) معجم مقاييس اللغة: ص728.

وقول آخر: عارضته في البيع فَعَرضتُهُ عَرْضًا, أي غبنتُهُ, وصارالفضلُ في يدي[1]. وعارضته في المسير أي سرت حياله[2]، كما نجد في تهذيب اللغة كلمة (وحاذيته)مزيدة[3].وهذا بمعنى الموازاة والمطابقة مع القرين على مسافة فارقة.

((وعارضتُ فلانًا, أي: أخذ في طريق وأخذتُ في طريق غيره, ثم لقيته. ونظرت إليه معارَضةً, إذا نظرتُ من عُرْض, أي: ناحية وهذا يعنى الاختلاف في الوسيلة أوالخطة والاتفاق في النتيجة والحصيلة وعارضتُ فلانًا بمتاعٍ, أوشيء معارضة. وعارضته بالكتاب: إذاعارضتَ كتابك بكتابه))[4] أي قابلته.

تابع ابن دريد(ت321هـ)الخليل وكرّرَ قوله عن معنى المعارضة:((واشتريت المتاع بعرْضٍ, أي بمتاع مثله, وهي المعارضة))[5], فأضاف في موضعين آخرين, قوله:((وعارضتُ الرجل بكذا إذا قال قولاً فأعترضتُ في جوابه وجبهتُهُ به))[6].

كررالأزهري(ت370هـ)أقوال سابقيه, حيث أضاف جمهرة من الألفاظ لا تخرج عن المعنى الوضعي لمادة(عَرَضَ)واستدل بقول ابن السكّيت في القول البَعيت:

مَدحنا لَهَا رَوق الشباب فعارَضَتْ... جَنابَ الصِّبا في كاتمٍ السرأعجما

قال عارَضَتْ: أخَذَتْ في عُرضٍ, أي ناحية منه, جناب الصِّبا: إلى جنبه, ويقال: جاءت فلانة بولدٍ عن عراضٍ ومعارضة[7].

ولم نجد عند الصاحب إسماعيل بن عبّاد(ت385هـ) ما يضيف إلى سابقيه ماعدا قوله:((والمعارض: الناقة ترأمُ بأنفِها وتمنعُ درَّها))[8].

أما بقية أصحاب المعجمات اللغوية[9] فلم يأتوا بمعانٍ جديدة تضاف إلى المعاني

([1]) معجم مقايس اللغة: 1/ 272 .
([2]) المصدر نفسه : 1 /272 .
([3]) ينظرتهذيب اللغة,أبومنصور محمد بن أحمد الأزهري، تح:عبد السلام هارون، دارالقومية العربية للطباعة، مصر،ط 1964م : 1/ 463 .
([4]) معجم العين: 1 /273.
([5])جمهرة اللغة:ابن دريد, دارالمعارف العثمانية, بحيدرآباد, مكتبة المثني- بغداد، ط1, 1345هـ: 2/ 362 .
([6]) المصدر نفسه : 2 / 363 .
([7]) ينظرتهذيب اللغة:1/ 464 .
([8]) المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد,تح: محمد حسن آل ياسين,عالم الكتب,بيروت،ط1،1994م: 307/1.
([9])ينظرالمصباح المنيرفي غريب الشرح الكبير,للفيومي بتصحيح مصطفى السقاء, مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، د. ط،1050م:ص51–52،والقاموس المحيط، للفيروزآبادي, مجد الدين محمد بن يعقوب، مكتبة القاهرة, ط 2،1952م: 2/346-350،وتاج العروس, للسيد مرتضى الزبيدي, دار ليبيا للنشروالتوزيع - بنغازي, دار صادر - بيروت, ط1966م :5/ 40 – 54.

المتقدمة التي أوردها السابقون, ولم يكُ ما جاء به المعجميون المتأخرون من معان معدوم الجدوى, وإنما جاء ليؤكد المعاني المتقدمة, جاء هذا التأكيد بعدّة أمثلة وشواهد أغنت الدلالة الوضعية.

ومما تقدم نخلص إلى أن المعنى اللغوي للفظة "عَرَضَ" له طوران:

أولهما:حسّي يتمثل في: المبادلة, والسير,والالتقاء ,والمقابلة, والمعارضة, والمجابهة, لقاح الإبل, النُّكاح, المجانبة, المجاراة, المماثلة, المساجلة, والمعادلة والمساواة التي تخول مقايضة الشيء بالشيء. والمقارنة, والمباراة والمسابقة.

ثانيهما : معنى في القول ونحوه :

فإن المفهوم الدلالى لهذه المعاني،هوغير دلالة "المعارضة "؛ أي المصطلح الأدبي، وإنْ تضمّنت بعض معانيها, أي أن لفظة(عَارض)تجاوزت دلالتها الوضعية إلى معانٍ جزئية بتفرع الألفاظ المشتقة منها مع احتفاظها بالمعنى العام, فضلاًعن وجود وشيجة بين الطرفين المتشاركين من الشيء بشيء يشبهه لعلاقة بينهما, ويختص بالشعرأوالنثر,وله بالمعنى الأول، وهواصطلاحي إلى حد كبير,وهذا ما سيفسره المعنى الاصطلاحي للمعارضة فيما بعد.

ويمكن القول: بأن المعارضة تشي باحتضانها منظورين دلاليين يتكاملان أكثرمما يتفضلان, هما: المماثلة التي ترتكزعلى غريزة المحاكاة[1], والمقابلة التي تُجَسّدُ غريزة المنافسة التي فطرالإنسان عليها, والمعارضة بهذين المنظورين المتكاملين تحدث عندما يرى المعارض في نفسه رغبة التحدي والمنافسة والمباراة, بحيث تكون المعارضة في نص واحدٍ معيّن أثار إعجاب المعارض,ويكون النص آتٍ بجديدٍ مبتكر،ويمكن تسميته بالقدوة الجمالية المؤثرة. فإذا تم للأديب أن يأتي بمعنى

([1])المحاكاة اصطلاح: ميتافيزيقي الأصل استعمله سقراط وأفلاطون, وقال أفلاطون في الجمهورية: ((والشاعر التراجيدي محاكٍ)).استعمل أرسطاطاليس اصطلاح المحاكاة حين قال في كتاب الشعر" شعر الملحمة والمأساة والملهاة وكذلك موسيقى الشبابة والقيثارة في أكثر خصائصها ـ كلَّ هذه حين نشملها بالنظرة الكلية تعدّ أنواع من المحاكاة،ويقول باتو: إنّ المحاكاة ليست محاكاة للحقائق اليومية؛إنما هي محاكاة للطبيعة الجميلة، أي بجمع خصائص المفردات، وتكوين نموذج يحتوي على كلّ ما في الأجزاء من كمال. ينظرالفنون الأدبية3 فن الشعر،احسان عباس, دارالثقافة، بيروت، ط1955م :ص14-18.

مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الآمد,وحاز قصب السبق،[1] فصارالاختراع للمعنى, والإبداع للفظ .

ثانيًا ـ المعارضة في الاصطلاح :

استقرمصطلح المعارضة عند الأندلسيين القدامى, في وقت مبكر ولم يتغيرعما هوعليه الآن, وصرَّح ابن عبد ربه القرطبي(ت328هـ)[2] في عقده، بقوله : ومما عارضتُ به صريع الغواني[3], وقد ((فضّل أهل البصرةِ صريع الغواني على أبي تمام, لأنه لَبِسَ ديباجة المحدثين)) [4], وابن عبد ربه- فيما أعلم- هو أول أندلسي صرَّح بالمعارضة بمعناها الاصطلاحي, وأورد مثالاً عليها- كما تقدم- وإن المعارضة الشعرية واضحة عند ابن عبد ربه في مفهومها الاصطلاحي, ومن هذا الوضوح انطلق الدارسون في تحديد المصطلح, ويرى أحمد الشايب المعارضة بالشعر:((أن يقول الشاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية ويأتي شاعر أخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها, وفي موضوعها, أو مع انحراف عنه يسيرأو كثير,حريصاً على أن يتعلق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه...فيأتي بمعانٍ أو صور بإزاء الأولى تبلغها في الجمال الفني، وتسموعليها بالعمق أوحُسن التعليل أو جمال التمثيل, أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة...))[5].

يؤكد الدكتورمحمد محمود نوفل في تعريفه للمعارضة:((على أن يكون هناك فارق زمني بين الشاعرين المُعارِض والمُعارَض ولو كان الزمان قصيرًا جدًا لايتعدى لحظات))[6].

([1])ينظرالعمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: القيرواني,قدم له وشرحه: صلاح الدين الهواري،وآخرين، مكتبة الهلال،ط1،1996م :419/1.

([2])هوأحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي,عالم أديب, كان شاعرًا, توفي بقرطبة سنة (328هـ),وله مؤلفات كثيرة أشهرها العِقد الفريد, وديوان شعر, ينظر بغية الملتمس : 1/ 191 - 193.

([3])مسلم بن الوليد الأنصاري,ولد في مدينة الكوفة,وتعلق منذ صغره بفحول الشعراء القدماء كالنابغة الذبياني وزهيروغيره, توفي سنة(208هـ).ينظر شرح ديوان صريع الغواني,تح: سامي الدّهّان,دارالمعارف القاهرة - مصر,ط3،1970م :ص9- 28.

([4])الذخيرة : ق1/م 1 / 238.

([5])تاريخ النقائض في الشعرالعربي،أحمد الشايب، القاهرة، ط2، 1954م: ص7.

([6])تاريخ المعارضات في الشعرالعربي،محمد محمود قاسم نوفل, مؤسسةالرسالة- بيروت،ط1983م : ص213.

ومازال هذا المصطلح يتأرجح بين الباحثين الذين درسوا فن المعارضات, مسوَّغين لآرائهم وتعليلاتهم التي تتفق أحياناً فيما بينهم وتختلف في مواضع أخرى من أقوالهم, ذلك بأنهم يصدرون عن رؤى خاصة بكل واحد منهم؛ لعدم وجود مصطلح موحّد يتبعونه, فلم يحظ بدراسة علمية دقيقة تضبط مصطلحاً أو تدقق مفهومًا.

لاشك أن تعريفات المعارضة عند هؤلاء الباحثين امتازت بوضوح الرؤيا وعمقها، فإن هذا الأمر لم يمنع من ظهور رؤى غيرعميقة لدى بعض الباحثين، لم توفِ مصطلح المعارضة حقه ومنهم : جبّورعبد النّورعندما عرّف المعارضة بأنها: ((باب من أبواب الشعرالتقليدي الذي تصدى فيه شاعر لقصيدة زميل له, قديم أومعاصر, فينظم أبياتاً على وزنها وقافيتها, ويقف فيها موقف المقلّد إعجاباً بها, أويناقض زميله فيثبت ما أنكر, أوينكرما أثبت...))[1], وإننا إنْ كنّا نوافق عبد النّور في مستهل التعريف إلّا أننا لانتفق معه عندما يقول:(أويناقض زميله..)؛ لأن هذا الكلام يخرج عن المعارضة وينتقل إلى فن آخرهو النقيضة, وبذلك لا يمكن التسليم بما أورده من تعريف عندما خلط بين المعارضة والنقيض.

ويعرفها مجدي وهبة وكامل المهندس في كتابهما(معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب)، بـــ((أن يحاكي الأديب في أثره الأدبي أثرأديب آخر محاكاة دقيقة تدل على براعته ومهارته..)) [2]. إن المصنفين وإن لم يُشيرَا إلى الشاعر في تعريفهما صراحة, عندما كان الشاعرُ مقصوداً ضمناً, فإنني لا أتفق معهما عندما أقرّا أن المعارضة هي محاكاة ؛ لأن المعارضة لايمكن أن تكون محاكاة مطلقة ؛لأن المحاكاة المطلقة عملية مجردة من عنصرالإبداع والابتكار والتجديد, وليس المعارضة كذلك .

أما الدكتورعمر فرّوخ يعرف المعارضة بأنها: ((تقليد الشاعر لشاعرآخر..))[3].

([1])المعجم الأدبي, جبّورعبد النّور, بيروت , ط1، 1979م: ص254– 255 .

([2])معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب, مجدي وهبة،وكامل المهندس،مكتبة لبنان، د.ط،1979م: ص203.

([3])تاريخ الأدب العربي(الأدب في المغرب والأندلس إلي آخرعصرالطوائف),دار الملايين– بيروت، ط2،1984م : 4/ 78.

وأختلفُ مع الدكتور في هذا الرأي؛ لأن المعارضة الشعرية ليست تقليداً في جميع مراحلها, فالتقليد يحمل من الدلالات السلبية الكثيرمن الضعف والهزيمة والذوبان في نمط الآخر، وقد يكون مرحلة تنتهي بالتجديد والتفوق.

فالبرغم من كون المعارضة سنة أدبية اتبعها العرب منذ القديم, فإن كلّ حظّها من العناية أن اكتفى في القديم بالإشارة إلى أشهر نماذجها خاصة في كتب الموازنات أو النقائض, أما في الحديث فلم يتجاوز الدارسون المقارنة السطحية بين نماذج مختلفة من المعارضات القديمة والحديثة.

إنّ الغرض الأساس من المعارضة هوالمجاراة والمحاكاة والمباراة في الشعر والنثرعلي حدٍ سواء, بحيث تكون القطعة الثانية تنفرد بلغتها وكلماتها وقد تكون أكثر روعة من سابقتها . فهو التميز والتفوق على النص السابق شعريًا أو نثريًا, واختلف الدارسون إزاء المعارضة فمعاييرالحكم بحصول معارضة تختلف من حاسة إلى أخرى, ومن ذائق إلى أخرحسب تباعد أو تقارب نصين أو أكثر .

نصل بذلك إلى أن المعارضة في الأدب هي معالجة موضوع, أوالرد عليه, أوالإستجابة لعرض متحدٍ, أو تناول فكرة أو صياغة حدثًا جلاً صوغًا متينًا استثنائيًا بشكل متزامن أو متعاقب.

ثالثًا ـ تاريخها، وأشهر كُتَّابها .

بعد أن عرفنا المعني اللغوي للمعارضة وما يقاربها من مفردات والمعنى الاصطلاحي لها, يجدربنا أن نسلط الضوء على كل ما من شأنه أن يعطي فكرة واضحة عَنْ بدء ظهور فن المعارضات, لقد كان لأهل الأندلس, نشاط بارز في مجال المعارضات الشعرية والنثرية, ولم تكن المعارضات الشعرية وليدة فترة زمنية متأخرة، كما لم تكن وقفًا على عصر دون غيره, فمن الثابت تماماً أن لكل شيء جذورًا؛ فجذورهذا النوع من أدبنا العربي وأصوله تمتد إلى العصرالجاهلي حسب التقسيمات الأدبية التاريخية. فإذا نظرنا إلى العصرين: الجاهلي والإسلامي، حيث

نجد المطارحات الشعرية والنثرية قد انتشرت، وحملت طابع النقيضة والتقليد، يحفه الاعجاب مقتفيًا آثاره فيها قدرالإمكان, وأحيانًا يدفعه الإعجاب إلى الإبداع[1].

ففي أول عهد النبوة الكريمة. انتشر مثل هذا الفن الأدبي بين الشعراء في المجالس الأدبية, ولكنه كان إلى المناقضات أقرب منه لشعرالمعارضات, وذلك لاختلاف الموضوع ونقض المعلومة فيكون الشاعر في موقف للرد على خصمه وتفنيد قوله ورأيه وهجائه, وهي تلك التي كانت عند شعراء المسلمين ليردوا بها على شعراء الكفروالشرك[2], فإننا نجد تلك المطارحات الشعرية والنثرية التي حملت طابع التقليد والنقض, قد عمت وشاع صيتها, وكانت بمثابة الأساس, أو الركيزة الأساسية لأدب المعارضة، وقد أضاءت الطريق إلى انتشارهذا الفن الأدبي عند الكثيرين من أرباب الأدب العربي, دون أن يكون للمعارضات دخل في استعمال السباب والشتائم، أونبش الأحقاد والأضغان أو تفنيد المزاعم بما ينقضها, وذكرصورة الماضي بمساوئه على واقع الحاضر ما يثيرالضغائن في النفوس، ويبعث على الحمية الجاهلية أو ما شاء من ثرات الماضيين فيقلد ويجدد ويقتبس[3].

لن أشيرإلى هذا الفن عبرالعصور فذلك أمر يصعب تحقيقه في هذه العجالة, ولكنني سأنتقل إلى المعارضات النثرية في الأندلس.

كانت الأندلس في القرن الرابع الهجري الذي ولد فيه أبوعامر لازالت في بداية الطريق، وفي مرحلة تمثل الثرات الوافد, وجمع تراثها الذي أنتج خلال القرنين الثاني والثالث, لذلك تكون المعارضة في نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس[4], فحقق النثرالفني الأندلسي طفرة هائلة على درب التطور والنضج, وأصبح وسيلة من وسائل الإجادة عند الأندلسيين, حين شرع يغزو المجالات التي كانت وقفاً على الشعر[5]ذهب الكتَّابُ الباحثون عن صيغ فنية جديدة يرتادون آفاق المعارضة, تحدوهم رغبةً صادقةً, هذا ما دفع ناقداً من نقاد الأندلس البارزين, وهو

([1])ينظرتاريخ المعارضات في الشعر العربي ، محمد محمود قاسم نوفل : ص16 ،17 .

([2]) المرجع نفسه : ص14 - 17 .

([3]) المرجع نفسه: ص35.

([4])ينظر دراسات في الأدب الأندلسي، محمد سعيد محمد , جامعة سبها ـ ليبيا، ط1 ,2001 :ص 281 .

([5])ينظر النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس- مضامينه وأشكاله : على بن محمد :203/1.

أبوعامرابن شهيد إلى أن يوليها اهتمامه ؛ فيقول في كتابه:(حانوت عطار)،وفيه يترجم لعبد الرحمن بن أبي الفهد[1]ويعلق على أشعار لـه:((وهوغـزيرالمادة واسع الصدر، حتى إنـه لم يـكد يبـقي شاعرًا جاهليًا أو إسلاميًا إلاعارضه وناقضه, وفي كل ذلك تراه مثل الجواد إذا استولى على الأمَدِ, ويني ولايُقصَّرُ))[2], وهذا موقف نقدي غيرمسبوق, فلأول مرة:((نرى ناقدًا يُـقِرُّ مبدأ المعارضة معيارًاللتـفوق))[3].

بهذا أقول: إنه جاء ردًا جازمًا على من قال: بأن المعارضة معيبة , وله قدرة على المعارضة لكبارشعراء العربية، وقد بنى أبو عامر جزءًا من شعره عليها؛ ففي رسالة التوابع والزوابع نجده يعارض كبار شعراء الجاهلية الذين التقى بهم في رحلته إلى أرض الجن[4]، واختارابن شهيد لرسالته اسم التوابع والزوابع؛ لأنه جعل مسرحها عالم الجن واتخذ كلّ أبطالها ـ فيما عداه ـ من الشياطين .فالتوابع :جمع تابع أو تابعة, وهوالجن أوالجنية يكونان مع: الإنسان يتبعانه حيث ذهب . والزوابع: جمع زوبعة: وهواسم شيطان أورئيس للجن[5], ((وفي هذه الرسالة كشف أبوعامرعن كثير من أرائه في النقد جاءت كفقرات من رسائل، وذكر أن الملكة الأدبية هي الأساس الذي يصدرعنه الأديب، وصوّر الصراع بين الموهبة وسعة الاطلاع، وقدم خير ما يختاره من نظمه ونثره مبينًا ومؤكدًا في كثيرٍ منه على المعارضة ومزج, كل ذلك بشيء من التخيل, وقليل من الفكاهة وكثيرمن العجب والعنف))[6].

إن ما دفع أبا عامر للإثبات بهذه المعارضات؛ هو إثبات تفوقه الأدبي شعرًا ونثرًا ثم نقدًا, وحقق ذلك من خلال المزج بين أساليب السرد والحوار, والوصف, ذلك الإثبات الذي صرح به على لسان تابعي الجاحظ وعبد الحميد حين دار بينهما الحوارالتالي: ((ثم قال لي الأستاذان عتبة بن أرقم وأبوهبيرة صاحب عبد الحميد: إنا

([1])هوعبدالرحمن بن أبي الفهد أبو المطرف, أشجعي النسب من قيس مصر, من أهل إلبيرة سكن قرطبة,له تصوف في البلاغة,والشعر,وكان من شعراء الدولة العامرية . بغية الملتمس: 2/ 480 ،481.

([2])جذوة المقتبس، للحميدي : ص258، 259.

([3])تاريخ النقد الأدبي عند العرب :إحسان عباس, بيروت , ط1, 1971م :ص477.

([4])ينظر رسالة التوابع والزوابع , تح : بطرس البستاني, دار صادر , بيروت , ط1996م, ص72.

([5])ينظر الذخيرة : ق1 /م1 /248- 250، والأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة :ص 378، 379.

([6]) ينظرتاريخ الأدب الأندلسي- عصرسيادة قرطبة ـ إحسان عباس ,دارالثقافة، بيروت،ط2, 1969م: ص340.

لنَخْبِطُ مِنكَ ببيداء حَيْرة، وتفتَقُ أسماعُنا منك بعِبرة، وما نَدري أنقولُ: شاعرٌ أمْ خَطِيب؟ فقلتُ:الإنصافُ أولي والصَّدْعُ بالحقّ أحجى، ولأبُدَّ من قضاء. فقالا: اذهبْ فإنكَ شاعرٌخَطيب، وانفضَّ الجمع الأبصارُإليَّ ناظِرة, والأعناق نحوي مائلة))[1].

بذلك يكون أبوعامر بدفاعه عن المعارضات يدافع عن الشخصية الأدبية الأندلسية تلك التي استطاعت بعد التقليد والمعارضات والمناقضات أن تميز نفسها, وبعمله هذا أعطى قيمة فنية كبيرة. لم يكتف أبوعامر بمعارضته للشعراء, بل لم يسلم الكُتّاب من ذلك ؛ فقد عارض الجاحظ بكلام جاء فيه السجع والمماثلة, وهوما أقره عليه تابع الجاحظ وطلب منه أن ينشده بين أهل بلده، ونجد معارضة داخلية في رسالة ابن شهيد حيث عارض بديع الزمان الهمذاني عن طريق تابعه زبدة الحقب, كان ابن شهيد هوالذي طلب من تابع بديع أن يسمعه وصفه للماء فقال التابع: ((هومن العُقم أي هو لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ويعارضه, وأسمع له, وقال: أزرقُ كعيْن السنّوْر, صافٍ كقضيبِ البلّوْر؛ انتُخِبَ من الفُرات , واستعمل بعد البيات فجاء كلِسان الشّمْعة في صَفاءِ الدمْعة))[2],وعارضه أبوعامر بقوله : ((انظُرْهُ يا سَيّدي كأنّه عصيرُ صَبَاح , أو ذَوْبُ قمرٍ لَيَاح,غَزْل فُلِق..))[3].

عندئذ أقرّا صاحبا الجاحظ وعبد الحميد بتفوقه، وضرب شيطان بديع الزمان الأرض برجله فأنفجرتْ له عن عين تهدي إليها فاجتمعت عليه, وغاب وهو خجل خزيان[4], وسواء اتفقنا مع ابن شُهَيْد على صحة ما ذهب إليه أو اختلفنا معه، فإن موقفه هذا ترك أثرًا إيجابيًا في شيوع ظاهرة المعارضات بصفة عامة, ولم لا .

وهو أحد أعظم اثنين تمرّسًا بالنقد في القرن الخامس, وواضع أسس النقد الأدبي في الأندلس[5].

([1]) الذخيرة : ق 1 /م 1 /278.

([2]) ينظرالمصدر نفسه: ق1/ م1/ 276.

([3]) المصدر نفسه : ق1/ م1/ 276.

([4]) ينظرالنثر الفني في القرن الرابع الهجري, زكي مبارك, دارالجيل - بيروت - ط1, د.ت: 328/1.

([5])ينظرابن شهيد وجهوده في النقد الأدبي:عبد الله سالم المعطاني, الناشر منشأة المعارف بالأسكندرية, جلال حزى وشركاه, مصر، د.ط ، 1977م: ص25.

جاءت المعارضة في النشاط الثقافي والحضاري في الأندلس نتيجة لشدة تعلق الأندلسيين بالمشرق, وقد صف ابن بسّام هذا التعلق بقولته المشهورة:((إلا أن أهل هذا الأفق...))[1], وكان لهذه المنزلة الكبيرة للمشرق وأهله في نفوس الأندلسيين أثر بارز,جعل المشارقة المثل الأعلى الذي على غراره يضربون، وعلى منواله ينسجون, وأصبحت الأندلس بيئة حاضنة للمعارضات شعرية ونثرية, لكن السؤال الذي يجب أن يطرح نفسه الآن، ويفرض على هذا الموضوع هو: هل المعارضات كانت تخص الشعر فقط ؟ ومن الذي خص هذا المصطلح بالشعر فقط ؟

استنتجتُ من دارستي لهذا الموضوع ؛إن المعنى اللغوي لكلمة(معارضة)لا يحمل تخصيصاً بشعرأو نثر، بل يعنى بشكل عام المحاكاة والمجاراة, واتسمت المعارضة بشكل واضح في مرافق الحياة الأندلسية كافة, فضلاً عن المعارضة في النثر؛ وهي موضوع دراستي سأعرض لها فيما بعد, وتمثل جزءًا من ظاهرة عامة، وليست ظاهرة بقدر ماهى حقيقة , فلها إنتماء وجذور اشتملت عليها الحياة الأندلسية .

وقد استعار النّقاد الأندلسيون أسماء شعراء المشرق لشعرائهم , تحقيقًا للمعارضة وإثبات الذات الأندلسية فقالواعن أبي الأجرب جَعْوَنة بن الصِّهة أبو الأجرب الكِلابيّ[2] (عنثرة الأندلس) من قدماء شعراء الأندلس , كان فارسًا شجاعًا , يرحل ويَحُلُّ بأكناف قرطبة[3] ، وعن مؤمن بن سعيد(دِعْبِلَ الأندلس)[4] ؛ لأنه تميز في الهجاء حتى يهاجي(ديك تيس الجن) أحمد بن محمد الجياني[5] , ويتفوق عليهم[6], وابن هانئ الأندلسي(متنبي الأندلس)[7] , وعن مروان بن عبد الرحمن الطليق

([1]) الذخيرة : ق 1 /م 1 /12.

([2]) من قدماء شعراء الأندلس,وزير يوسف بن عبد الرحمن الفهري سلطان الأندلس: بغية الملتمس: 321/1، وجذوة المقتبس: 189/5.

([3]) ينظر المُغْرَب في حلي المَغْرب، لابن سعيد : 133/1.

([4])هو مؤمن بن سعيد بن إبراهيم بن قيس, فحل شعراء قرطبة ,ينظر جذوة المقتبس: ص 330. والمغرب في حلي المغرب: ص133،132، وتاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة : ص170- 173.

([5])هوأحمد بن محمد الجياني المعروف بتيس الجن، شاعر خليع يجري في وصف الخمر مجرى الحسن بن هانئ. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس : 164/1.

([6]) ينظرتاريخ النقد الأدبي في الأندلس، محمد رضوان الداية , مؤسسة الرسالة, بيروت, ط2, 1981م: ص44.

([7])هومحمد بن هانئ الأندلسي,خرج من الأندلس فشهر شعره, شاعر خليع. بغية الملتمس : 207/1.

[1]قالوا: كان في بني أمية شبه عبــدالله بن المعتز[2] في بني العباس بملاحة شعره وحسن تشبيهه[3] ويوسف بن هارون الرَّمادي[4] شاعرقرطبي, قالواعنه شيوخ الأدب في وقته: ((فُتِح الشعر بكِنْدة, وخُتم بكندة)) [5],ويشبهون أبا الحسن على بن إسماعيل القرشي الأشبوني بأبي العتاهية في زمانه[6].

ولقبواابن دراج[7] وأبا طالب عبدالجبار[8] بـ(المتنبي)[9], وحمدة بنت زياد[10] بـ(خنساء المغرب)[11]. قد يجدون للرجل أكثرمن شبيه لديهم فابن زيدون(بحتري الأندلس)[12]،وابن اللبانة[13]بـ(بسمؤال الشعراء)[14]،وأبي الربيع سليمان بن علي بـ(كثير),وابن خفاجة[15](صنوبري الأندلس)[16].لقبوا أبا العباس أحمد بن عبدالله التطيلي الأعمى[17](معري الأندلس)ولقبوا أباعامرعبد الله بن غالب الرصافي[18]

([1])هو مروان بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر. ينظرنفح الطيب :398/2.

([2])هوعبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي, شاعرمبدع، ولد في بغداد, وأولع بالأدب, من مصنفاته البديع,وغيره, مات خنقًا على يد خادم له اسمه مؤنس.ينظرالأعلام : 118/1.

([3])ينظرنفح الطيب : 12/5.

([4])شاعرقرطبي,كثيرالشعرسريع القول,أخذ عن القالي كتاب النوادر واكتسب الأدب من شيخه أبو بكر يحيى بن هذيل, ومدح الرمادي المستنصر والمنصور بن أبي عامر,عاش إلى أيام الفتنة. بغية الملتمس: 2/ 664-667.

([5]) بغية الملتمس: ص664، وجذوة المقتبس: ص 346 .

([6]) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، محمد رضوان الداية : ص44.

([7])هوأحمد بن دَرَّاج,أبوعمرالكاتب المعروف بالقسطلي من كُتَّاب الإنشاء في أيام المنصورأبي عامر, مات قريباً من سنة (420هـ). بغية الملتمس: 1/ 201 – 204.

([8])هوعبد الجبارالشُقْري,أبوطالب أوأبوالوليد,المعروف بمتنبي الأندلس: شاعرأندلسي, من جزيرة "شقْر"القريبة من شاطبة. له أرجوزة طويلة في تاريخ الأندلس والمغرب: ينظرالأعلام: 274/3، والذخيرة :ق1/م1 /24 .

([9])الذخيرة: ق1/م1/24.

([10])نفح الطيب : 184/4.

([11])حمدة بنت زياد بن تقي العوفي(600هـ),ولزياد المؤدب بنتان: حمدة وقيل حمدونة, ثم زينب، ويقال لحمدة خنساء المغرب وشاعرة الأندلس.من أهل مدينة وادي آش .ينظر المطرب من أشعار أهل المغرب،ابن دحية،تح : إبراهيم الابياري وآخرين, مكتبة الثقافة الدينية- بور سعيد - مصر, د.ط , د. ت : ص11، والأعلام : 274/2.

([12])ينظر الذخيرة: ق1/م1/379.

([13])محمد بن عيسى الدَّاني,المعروف بابن اللبَّانة,أديب وشاعر,وكان المعتمدُ على الله يميزه بالتقريب، ويستغرب ما يأتي به من النادر والغريب, بغية الملتمس: 1/ 134–144.

([14]) المُعْرب في حلي المَعْرب: 2 / 367.

([15])هو إبراهيم بن الفتح بن عبد الله بن خفاجة أبو إسحاق الخفاجي,شاعر مشهور حسن الشعر,توفي سنة(533هـ),وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. ينظر بغية الملتمس: ص216, 217.

([16])نفح الطيب : 3 / 177 .

([17]) أحمد بن عبد الله بن حريرة القيسي, أبوالعباس الأعمى، شاعرأندلسي نشأ في إشبيلية. ينظر بغية الملتمس : 1/ 234. والأعلام : 1/ 158.

([18]) ينظر المُغرب في حلي المَغرب : 367/2.

بـ(ابن الرومي)[1]،وشبهوا سيرة المعتمد بن عباد مع شاعره ونديمه ابن عمار[2]بسيرة الرشيد[3]مع جعفربن برمك[4] .

لم تقتصرهذه الألقاب المشرقية على الشعراء الأندلسيين, بل تعدت إلى غيرهم من العلماء والأدباء فقيل عن ابن طفيل:(ابن سينا الأندلس),وعن ابن عبد البرّ(حافظ المغرب)[5], كما قيل للخطيب البغدادي(حافظ المشرق)[6],ولقب الكاتب محمد بن سعيد الزجالي بـ(الأصمعي)[7] والزبيدي: لقب بـ(ابن دريد)[8], والعدد كثير, كانت هذه نماذج من عصورمتنوعة تدل على الإنكباب على المشرق .

استنبط مما تقدم أن المعارضة ماثلة أمامنا في النثرالأندلسي, وفي ضروبه المختلفة, وقد وضع الأدباء الأندلسيون المصنفات معارضين بها المشارقة, وهذا ابن عبد ربه ألف كتاب(العقد)محاكيًا ابن قتيبة في(عيون الأخبار)[9], وابن بسّام في(الذخيرة)يحاكي الثعالبي في(يتيمة الدهر)[10].

أما ابن عبد الغفورالكُلاعيّ ،وضع ثلاثة كتب في معارضة أبي العلاء المعري

أولها:الساجعة والغربيب ألفه لمعارضة أبي العلاء في كتابه(الصاهل والشاحج)[11].

ثانيها:(السجع السلطاني في معارضة أبي العلاء), ولأبي العلاء كتاب بهذا العنوان.

ثالثها:خطبة الاصلاح,عارض فيها خطبة الفصيح للمعري أيضًا[12].

([1])ينظر المغرب في حلي المغرب: 2 /343 .

([2])هوأبوبكر محمد بن عمار أديب وشاعر من أهل التقدم في الذكاء . ينظر بغية الملتمس :148/1.

([3])هوهارون الرشيد ابن محمد المهدي ابن منصور العباسي وأبو جعفر(149–193هـ):خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق,ازدهرت الدولة في أيامه. كان عالمًا بالأدب وأخبارالعرب والحديث والفقه,كان يحج سنة ويغزو سنة, توفي في"سناباد"من قرى طوس. ينظرالأعلام: 62/8.

([4])هوأبوالفضل جعفربن يحيى بن خالد البرمكي,(ت187هـ),وزيرالرشيد العباسي،ولد ونشأ في بغداد، وصف بفصاحة المنطق، وبلاغة القول,وكان كاتبًا بليغًا. ينظرالأعلام : 2/ 130، والمغرب : 389/1.

([5])هوأبومحمدعبدالله بن الحافظ، من أهل الأدب البارع، والبلاغة الرائعة، عمل في بلاط المعتضد بن عباد مات قبل أبيه بعد(450هـ) بدانية. ينظر البغية: 2/ 458, وقلائد العقيان: 538/2, والأعلام : 207/1

([6])ينظرأدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية, محمد رضا الشبيبي, دار افرأ- بيروت - ط2, 1984م :ص13.

([7])ينظرنفح الطيب : 82/5.

([8])المصدر نفسه : 24/5.

([9])العقد الفريد :الجزء الأول, مقدمة المحققين ص:(ج).

([10])الذخيرة : ق1 /م 1 / 32 .

([11])ينظرتاريخ النقد الأدبي في الأندلس : ص26– 35.

([12])المرجع نفسه: 35– 39.

ألّف أبوعمرأحمد بن محمد بن فرج الجيّاني[1](كتاب الحدائق)معارضًا لـ(كتاب الزهرة)[2] للأصبهاني للحكم المستنصر(ت366هـ)[3], إلاّ أن الأصبهاني ذكر مئة باب, في كل باب مئة بيت, وأورد الجيّاني مائتي باب في كل باب مائتا بيت ليس منها باب تكرراسمه للأصبهاني, ولم يورد فيه لغير أندلسي شيئًا[4],والجياني في مؤلفه هذا, يحاول إظهار تفوق الأندلسيين على المشارقة.

وألّف أمية بن عبد العزيزبن أبي الصلت الأندلسي[5]كتاب(الحديقة)محاكيًا فيه الثعالبي في(يتيمة الدهر)[6],وألّف الطرطوشي[7] كتابًا عارض به إحياء علوم الدين للغزالي[8],وألف أبوعبد الله بن أبي الخصال[9]كتاب(المنهج)عارض به كتاب الثعالبي(المبهج)[10],وألّف ابن زيدون كتاباً في تأريخ خلفاء بني أمية في الأندلس, سمّاه التبيين على منزع التعيين في خلفاء المشرق[11]للمسعودي[12]،ولابن شرف القيرواني[13]كتاب(الزمان)عارض به كتاب(كليلة ودمنة)[14].

([1])هوأحمد بن محمد بن فرج الجيّاني أبوعمر, يُنسب إلى جده , وافر الأدب، كثيرالشعر,يعد من العلماء, يقال أنه مات في السجن, ينظر بغية الملتمس : 195/1،194 .

([2]) الذخيرة : ق 1 /م 1 / 13 .

([3])هوالحكم بن عبد الرحمن الناصر, يلقب بالمستنصربالله ,تولى الحكم بعد أبيه,قطع الخمرعلى الأندلس,جمع من الكتب الكثير. بغية الملتمس : 40/1 وما بعدها.

([4])المطرب في أشعار أهل المغرب: ص4,5. وبغية الملتمس: 194/1، 195.

([5])هوأبو الصلت أمية بن عبد العزيزالأندلسي الداني(460هـ ـ529هـ),أديب, من أهل"دانية "بالأندلس، ورحل إلى المشرق.أقام في مصر وسجن فيها عشرين عامًا، إنتقل إلى المدنية, ومات فيها.ينظرالأعلام: 2/ 23.

([6])وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،أبوالعباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تح: إحسان عباس : 1 / 112.

([7])هومحمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان الفهري بن رندقة الطرطوشي أبوبكر،فقيه، إمام، محدث, صحب أبا الوليد الباجي مدة,وله غرض في الاجتماع مع أبي حامد الغزالي.ينظر بغية الملتمس: 1/ 175– 179.

([8])هومحمد بن محمد بن الغزالي الطوسي,أبوحامد,حجة الإسلام: فيلسوف, متصوف,وفاته في الطابران بخرسان. ينظر الأعلام: 22/7.

([9])هو محمد بن مسعود بن طيب بن فرج ابن أبي الخصال,أبوعبدالله(ت540هـ):وزيرأندلسي, أديب,يلقب بذي الوزارتين, له ترسّله وشعره،في خمس مجلدات.استشهد في فتنة المصامدة بقرطبة. ينظرالأعلام: 96/7،95.

([10]) ينظرفهرسة ابن خير،الأشبيلي,أبوبكرمحمد بن خير بن عمر اللمتوني،تح: محمد فؤاد منصور،دارالكتب العلمية، بيروت،ط1،1998م : ص345.

([11])ينظرنفح الطيب: 2 / 123 .

([12])هومحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود, تاج الدين الخراساني المروروذي البندهي(522– 584هـ):فقيه شافعي,أديب, نسبته إلى جده مسعود، له "شرح المقامات الحريرية ـخ ". ينظرالأعلام: 6/ 192.

([13])جعفر بن محمد بن أبي سعيد بن شرف(444هـ ـ 534هـ)أبوالفضل الجذامي القيرواني: شاعر,أديب .أصله من القيروان فارقها إلى الأندلس له "ديوان شعر "وتأليف في الأدب والأخيار. ينظر الأعلام : 2/ 128.

([14])ينظرالمطرب في أشعار أهل المغرب : ص 67 .

اهتم الحكم المستنصر بالمختارات الأدبية, ووجه اهتمامًا كبيراً في تطلعه إلى معارضة المشارقة في فنون التأليف والأدب، فهذه الحركة الأدبية التي أوجدها المستنصر بعثت في الأندلسيين شعورًا بالثقةِ, حين ميّزت التبعية الكاملة للمشرق والاستقلال الذاتي, وقد ساعدت على إيجاد الوعي العميق عن طريق المفارقة والمقارنة[1] أما عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار[2]له كتاب على غرارالأوراق[3] للصولي[4].

صنف الشاعر يوسف ابن هارون الرمادي[5] في السجن كتابًا سمّاهُ ((الطير في أجزاء وكله من شعره)), وصف فيه كل طائرمعروف, وذكرخواصه, وذيّل كل قطعة بمدح ولي العهد هشام بن الحكم مستشفعًا به إلى إطلاق سراحه, وهو كتاب يصفه الحميدي بأنه:((مليح سبق إليه)) [6]. توحي عبارة الحميدي بوجود نظير مشرقي للكتاب, حذا الرمادي حذوه.

وضع ابن شهيد حانوت عطار ولانعلم عنه شيئًا, أنه كتاب ضائع للجاحظ ربّما عارضه ابن شهيد[7]. في حين ألف ابن الأقليشي[8]الزاهد(ت549هـ)كتابًا أسماه:(النجم من كلام سيد العرب والعجم)عارض به(الشهاب القضاعي)[9]وألف المظفّر بن الأفطس[10](ت460هـ)صاحب بطليوس كتاب(المظفري)عارض به

([1])ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب :إحسان عباس ,ص472.

([2])جمع أشعار خلفاء بني أمية في كتاب، اشتهر بالعلم والأدب, توفي سنة352هـ. بغية الملتمس:ص431، 432.

([3]) ينظر جذوة المقتبس :ص252, وتيارات النقد الأدبي في الأندلس في : مصطفى عليان عبد الرحيم : ص73.

([4])هوأبوبكرالصولي محمد بن يحيى بن عبد الله(335هـ).يعرف بالشطرنجي:من أكابرعلماء الأدب.نادم ثلاثة من خلفاء بني العباسي,هم :الراضي،والمكتفي،والمقتدر. ينظر الأعلام : 7/ 136.

([5]) أبوعمر يعرف بالرمادي والكندي, شاعرقرطبة,عاش إلى أيام الفتنة,ومات في تلك الشدائد. ينظربغية الملتمس: 2/ 664– 667.

([6]) ينظرجذوة المقتبس: ص 372، وتيارات النقد الأدبي في الأندلس،عليان : ص74.

([7]) ينظرابن شهيد حياته وأثاره : ص91.

([8])هوأحمد بن معدعيسى بن وكيل التجيبي,أبوالعباس ابن الأقليشي(530هـ)،عالم بالحديث ،أصله من أقليش بالأندلس, ولد ونشأ في دانية, رحل إلى المشرق. ينظر الأعلام : 1/ 259.

([9])ينظرتاريخ الأدب العربي،بروكلمان,نقله للعربية :السّيد يعقوب بكر وزميله, دارالمعارف ـ القاهرة,ط2, 1977م: 6/ 213

([10])هومحمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة التجيبي الأندلسي,الملك المظفر,أبوبكر بن الأفطس(460هـ):صاحب بطليوس بالثغرالشمالي للأندلس من ملوك الطوائف, مؤرخ وأديب وشاعر,صنف كتاب المسمى"المظفري"نسبة إليه . ينظرالأعلام: 228/6.

عـيون الأخبـارلابن قتيبة، قال المراكشي في المعجب: ((وقفتُ على أكثره))[1].ألف الحافظ أبوالربيع سليمان بن موسي الكلاعي[2]كتاباً سمّاه(جهد النصيح وحظ المنيح من مساجلة المعري في خطبة الفصيح), ثم عارضه في كتاب آخر سمّاه(مفاوضة القلب العليل ومنابذة الأمل الطويل بطريقة المعري في ملقى السبيل)[3].

ألف الرشاطي[4]المحدّث كتابًا أسماه(اقتباس الأنوار)[5]عارض به كتاب(الأنساب)للسمعاني[6], وفضلاً عن هذه المصنفات الكثيرة التي عارض بها الأندلسيون المشارقة,عني الأندلسيون بمعارضة مقامات المشارقة أيضًا، أشار الدكتورإحسان عباس على أنّ مقامات بديع الزمان ورسائله، وصلت الأندلس في عصرسيادة قرطبة، وكان من أول المتذوقين لـها ابـن شهيد وأكثر ما أعجبه فيها تلك القطع الوصفية, لذلك أنشأ على مثالها قطعًا في وصف الماء والبرغوث والحلواء[7].

وحظيت مقامات الحريري[8]باهتمام كبير لدى الأندلسيين فاق اهتمامهم بمقامات بديع الزمان, لعل سرّ ذلك يرجع إلى الصلة بين الأندلسيين والحريري, فقد وجد منهم من سمع من مقاماته[9] .

يشيرأحد الباحثين إلى أن الأندلسيين انصرفوا إليها بالمدارسة والرواية والشرح والحفظ والمعارضة, وشاع فيهم ذكرها حتى قال ابن سعيد عنها:(إنـها شَرّقـت وغربت حتى صار ابتذالُها عيبَها)[10].

([1])المعجب في تلخيص أخبارالمغرب:عبد الواحد المراكشي,تح: محمد سعيد العريان,القاهرة، د.ط ،1963م: ص 128

([2])هوسليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحُميري أبوالربيع(565– 634هـ) من بلنسية، محدّث وبليغ في عصره, له شعرأكثره في الوصف, توفي شهيدًا والراية في يده. في وقعة أنيشة. ينظر الأعلام : 3/ 136.

([3]) ينظرتيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري :ص 34.

([4])هوعبد الله بن علي بن عبدالله اللخمي الأندلسي,أبو محمد(276هـ),المعروف بالرشاطي,عالم بالأنساب والحديث, استشهد بالمرية عند تغلب الروم عليها . ينظرالأعلام : 105/4.

([5]) ينظر أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية : ص12.

([6])هو محمد بن منصور بن عبد الجبارالتميمي السمعاني المروزي أبوبكر(510هـ), فقيه محدّث, له كتب في الحديث والوعظ , مولده ووفاته في بمرؤ. ينظرالأعلام: 1 /55.

([7]) تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ، إحسان عباس : ص 303.

([8])هوالقاسم بن علي بن محمد بن عثمان, أبومحمد الحريري(516هـ):الأديب الكبير,صاحب"المقامات سماه مقامات أبي زيد السروجي" له ديوان رسائل،وفاته بالبصرة, ونسبه إلى عمل الحرير.ينظر الأعلام : 5/ 178.

([9]) ينظرتاريخ الأدب الأندلسي- عصر الطوائف والمرابطين : ص 303.

([10]) ينظر تاريخ النقد الأندلسي : محمد الداية , ص217.

ممن عارضه أيضًا من الأندلسيين ابن شرف القيرواني, وأورد ابن بسّام في الذخيرة طرفًا من أخباره وأثاره[1],وله مقامات أخرى في مسائل عامة كثيرة[2], وبعضها مجموع في كتاب مثل(المقامات اللزومية)للسرقسطي الاشتركوني[3]، وعمل الأديب أبوعبد الله محمد بن أبي الخصال مقامات في معارضة الحريري, ومقامة ابن أبي الخصال بطلها الحارث بن الهمام وصاحبه المتنكر أبوزيد في مقاماته[4].

لم تقتصرمعارضة الأندلسيين للمشارقة فقط , بل لأحظناها فيما بينهم أيضًا، وهو موضوع هذه الرسالة، لاسيما معارضة أبي الوليد إسماعيل بن محمد المعروف بحبيب صاحب كتاب(البديع في وصف الربيع)لابن برد الأصغرفي رسالة الربيع, التي وردت إلى حبيب من ابن برد، فكتب إليه حبيب رسالة في الربيع عارضه فيها, وأشارابن بسّام على هذه المعارضة بقوله: ((ووجدت لأبي الوليد هذا رسالة عارض بها أبا حفص بن برد في رسالته في تقديم الورد على سائر الأزهار...))[5].

من خلال تتبعي لمسيرة المعارضات الأندلسية نجدتُ أن المعارضة في الأندلس ظهرت عند ملوك الطوائف, قلّدوا خلفاء بني العباس في المشرق, فتلقبوا بألقابهم, أثر بعض أسلافهم في عهود الخلافة في الأندلس, فسمعنا بالمنصور, والمستعين, والمؤيد, والمستظهر, والمعتمد, هذه الألقاب كانت لاتعني في كثير من الأحيان إلا التشبه بأعلام المشرق, وهكذا بدأت المعارضة واضحة عند الأندلسيين للمشارقة في جلّ حياتهم[6].

([1]) ينظر الذخيرة : ق4/ م196/1، 197.

([2]) المصدر نفسه : ق 4 /م 1 / 212 .

([3])هومحمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف التميمي المازني السرقسطي الأندلسي,أبوالطاهر المعروف بابن الأشتركوني: وزير,من الكتاب والأدباء, له شعرجيد,عارض الحريري في مقاماته بخمسين مقامة. سماها "المقامات اللزمية- خ" مولده بسرقسطة، ووفاته بقرطبة ,قال فيه الفتح :سرقسطي البقعة عراقي الرقعة. بغية الملتمس: ص532،وينظرالأعلام: 7/ 149.

([4])ينظرتاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين : إحسان عباس : ص 316.

([5])الذخيرة : ق 1/م 1/ 127.

([6]) المصدر نفسه :15/2.

المبحث الثاني

العوامل التي ساعدت على نشأة فن المعارضات النثرية في القرن الخامس الهجري .

أولا : أثر البيئة الأندلسية .

ثانيا : تيار الإعجاب با لأثار المشرقية.

ثالثا : الحركة الفكرية وتيار التعبير عن الذات الأندلسية

المبحث الثاني

أولاـ أثر البيئة الأندلسية.

إن للبيئة الأندلسية أثرًا كبيرًا في تكوين هذا الأدب الأندلسي الجديد, ولها أهمية في حياة الفكر ومظاهره المختلفة في العلم والثقافة والأدب, وقد توفرت لها خصائص من الطبيعةٍ والفكر لم تكن للأدب العربي عامةً. ذكرابن شهيد في رسالته التوابع والزوابع أثر البيئة والظروف السياسية والاجتماعية في الأذواق والملكات الأدبية[1]. ((لاسيما أن النتاج الفكري والتفهم الأدبي يختلف من بيئة إلى بيئة ومن عصر إلى عصر)) [2]، وأن لكل إبداع أدبي مجاله الزماني والمكاني الذي يولد فيه, ولانهمل الأحداث التي وقعت على أرض الأندلس, لأنها أحداث لاحصرلها, برزت عنها ظواهرأدبية وثقافية وفنية بالغة الأثر[3].

أــ البيئة الطبيعية :

منح الله الأندلس طبيعة فاتنة فكانت أغنى بقاع المسلمين منظراً، وأوفرها جمالاً. تمتد في بطاحها السهول الواسعة تجري فيها الأنهار, وترتفع فيها الجبال, وتغرد على أفنان أشجارها العنادل والأطيار والزرازير، وتحدث عن جمالها كلٌّ من حلها .

أخذ الشعراء والكُتَّاب يصفون رياضها ومباهج جناتها, وأفاض المقري في وصف طبيعتها الفاتنة وجنانها البهيجة، وانتهى إلى أن ((محاسن الأندلس لا تستوفى بعبارة, ومجاري فضلها لا يشق غباره))[4]. فكان الميل للأزهار,وصفوها في الشعر والنثرعلى حد سواء, تقام لها المعارضات والمناظرات والمجالس, تجاوزالأندلسيون

([1]) ينظرالأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة،أحمد هيكل، دار المعارف،القاهرة، ط9، 1985م:ص392.
([2]) تاريخ المعارضات في الشعر العربي، محمد محمود نوفل : ص34.
([3]) ينظرتاريخ الأدب الأندلسي : محمد زكريا عناني, دار المعرفة الجامعية ـ مصر، د.ط، 1999م : ص7.
([4]) ينظرفي الأدب الأندلسي : جودت الركابي, دار المعارف ـ القاهرة, ط2، 2008 م : ص130.

مرحلة النظرة العاطفية إلى مرحلة النظرة الفكرية, وتعددت مجالس الأنس في هذه الفترة وسط الحدائق والرياض[1], ولأهمية الطبيعة نقل المتأدبون الأندلسيون صورة الديوان السلطاني إلى الطبيعة, فوضعوا لها قيودًا من رسوم الحضرة ومجلس الجماعة, ومنحوها صفة رسمية قليلة الحركة. أما القطع الشعرية والنثرية التي كتبوها للمفاضلة بين نَوْر ونور،وأحدهم يرد فيها على الثاني، فقد امتحنوا بها مقدرتهم الجدلية، واتخذوامن الطبيعة موضوعًا للجدل بدلاً من أن يكون جدلهم حولهم شؤون العقيدة[2].

يبدو أن الأندلسيين أكثرالناس حبًا للأندلس, وهُيامًا بجمالها وحسنها, ومن شدة حبهم لبلادهم, وغرامهم بمحاسنها إن أديبًا من أهلها، وهوأبوعمران موسى بن سعيد, كتب إليه أحد الوزراء يرغبه في النقلة إلى مراكش فأبى وكتب إليه: ((كيف أفارق الأندلس **!!** وقد علم سيدي إنها جنة الدنيا بما حباها الله من اعتدال الهواء وعذوبة الماء, وكثافة الأفياء، وأن الإنسان لايبرح فيها بين قرة عين وقرارنفس: أفق صقيل, وبساط مدبج, وماء سائح, وطائرمترنم . فكيف يعدل الأديب عن أرضٍ على هذه الصفة **؟!**))[3]. فالأثرالمباشر للطبيعة يكمن في الاعتقاد أن الطبيعة هي الأساس، أو الركيزة الأولى لكل الكائنات نباتية كانت أو حيوانية, حية أوجامدة , مدركة أو غير مدركة, فالطبيعة الأندلسية مصدر إلهام للفكرالأندلسي, حيث مشاعرَالكُتّابِ وعواطفهم. إذن فالطبيعة من أقوى روافد الفكر وأجملهاعلى الإطلاق[4]، ويبدوأن النصوص الشعرية كان لها النصيب الأوفر في هذا الغرض, إذ ما قورنت بالنصوص النثرية, ولكنني أعتبرها نتاجًا إبداعياً كبيراًعلى رقي وثقافة فترة زمنية محددة تستحق الاهتمام , ولم يكتف النثر بوصف هذه الرموز, بل نراه لسانًا لها

([1]) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر في عصر ملوك الطوائف، سعد إسماعيل شلبي،مصر، ط1، 1978م:ص 16، 119.

([2]) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين،إحسان عباس : ص197.

([3])ينظر قصة الأدب في الأندلس،عبد المنعم خفاجة, مكتبة المعارف, بيروت، د.ط ، 1962م :ص116.

([4])ينظرالنثرالأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري،على بن محمد :427/1.

تتحدث به, بعد أن كان يتحدث عنها, وتتفاخر وتتباهى من خلاله[1], وقد تَنَاولتْ هذه النصوص الرياض والزروع، وبعض مظاهرالطبيعة كالمطر والبرد والسحاب والجبال...فوصف ابن شرف المطر, ويصف أبوعمرالباجي المطرغبّ القحط , وشارك في الوصف ابن طاهر, وابن شرف، وابن الجد, ونجد في وصف البرد الكاتب أبا الخصال، كذلك نراه يصف الليل, وفي نص نثري إضافة إلى نصه الشعري ابن خفاجة يصف الجبل[2].

يمكن القول: إنه لم تعرف أنواع المعارضات النثرية من الزهريات, والمطريات، والزرزوريات, والمعتضديات إلا في القرن الخامس الهجري سأتحدث عنها في الفصل الثاني .

إن الطبيعة الأندلسية الخلابة شغلت النّاس من الملوك والأمراء والشعراء والكُتّاب، فأقبلواعليها وهاموا بها وحلت محل الدمن والأطلال,على نحو لم يتوافر للمشارقة ولا للطبيعة المشرقية[3]، وانعكس هذا التأثيرعلى الناس خصوبة في خيالهم وجمالاً في طباعهم, ورقة في أحاسيسهم ونتج عن ذلك ظهورأناس يغلب عليهم حب الجمال مشاهدة وتمثلاً, ثم محاكاةً وتصويرًا[4] فالتنافس بين الكُتَّاب والشعراءُ على الملوك والأمراء في تفضيل ملك على غيره من ملوك الأندلس، فالكَاتب أوالشاعر يتخذ من وردة أو زهرمعين رمزًا لأميره وولي نعمته, ويجعل من تفرده بين الورود والأزهار نظيرًا لتفرد أميره بين الأمراء[5]؛ فجمال الطبيعة الموحي، والرفاهية التي شملت المجتمع الأندلسي, سهلت حال ذوي المواهب وما وجدوه من إكرام وتكريم من حكام الأندلس، لدرجة جعلتهم يتفرغون للنتاج الفكري، وأغنتهم متاعب الاهتمام والتفكير بتدبيرالأمور المعيشية, وما تسببه هذه المتاعب من

([1]) ينظر خريدة القصر وجريدة العصر، للأصفهاني، قسم شعراء المغرب والأندلس، تح: آذارتاش، نقحه وزاد عليه، محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1955م :2/ 244. و 3 /382– 386 ، 1 /86 ،143 ،228.

([2]) ينظر البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر ، سعد شلبي : ص101.

([3]) ينظرتاريخ الأدب الأندلسي: مصطفى السيوفي,الدارالدولية للاستثمارات الثقافية,القاهرة, ط1، د.ت : ص17-19.

([4]) ينظر الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، أحمد هيكل :ص51.

([5])ينظرأدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فايزعبد الغني القيسي دارالبشير للنشر والتوزيع – عمان – الأردن، ط1، 1989م : ص 205 .

استنزاف للطاقة الفكرية[1]. ليست الطبيعة وحدها هي العامل الرئيس في نضوج الفكرالأندلسي, بل كان لحياة الكُتَّاب الأندلسيين اللاهية التي عاشوها في كنف الطبيعة, وأقبلوا عليها في شغف شديد أثر كبيرفي ازدهار هذا اللون من الرسائل, فصوروا الطبيعة الأندلسية في جميع مباهجها ومظاهرها, ومنتزهاتها وأشجارها وأطيارها وأنهارها, وماشاهدوه من عادات وتقاليد وسلوك, وما إلى ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية[2].

هناك عوامل أخرى تتعلق بهدفي من دراسة جوانب الطبيعة وحدها، لأبراز مدى أهميتها جاعلة في الاعتبار أن الفصل بين تأثيرما هو طبيعي, وما هوغير طبيعي لاوجود إلا في محض الخيال.

ب- البيئة السياسية:

بعد زوال الخلافة الأموية(138- 422هـ)وانتهاء حكم أسرة بني عامرعانت الأندلس سنوات صعبة من الفرقة والتنافس, فبعد أن كانوا يخضعون لمظلة دولة إسلامية واحدة, ويحكمهم كيان سياسي واحد, أصبح هناك العديد من الكيانات السياسية التي قامت على أنقاض الدولة الأموية بعد ضعفها, ثم سقوطها, وعمت الفوضى بلاد الأندلس, وأخفقت كل المحاولات التي بذلها المخلصون الحادبون على وحدة البلاد ورسم الخلافة - أخفقت في إعادة الدولة الأموية- وانقسم الثغر إلى ولايات, وعندما انقلبت الوحدة إلى تكثُر أصبحت الأندلس دولاً متعددة[3], وتناهب زعماء العرب والبربر والصقالبة البلاد, واستولوا عليها[4].

وأدار أبوالحزم بن جهور حكومة قرطبة ببراعة ونباهة أثنى عليها المؤرخون[5], أصبحت لكل دولة حاكم أو أمير, يتفاوتون فيما بينهم قوة وضعف

([1]) ينظرالتجديد في الأدب الأندلسي،باقر سماكة، مطبعة الإيمان ، د.ط ،1971م : ص 98 .
([2]) ينظر البديع في وصف الربيع : ص8،9 ،22, والذخيرة : ق 3 /م 2 /543- 554. والنفح :1 /534.
([3])ينظر تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين ,إحسان عباس : ص7- 9.
([4]) ينظرالأدب العربي في الأندلس ,عبد العزيزعتيق : ص93-98.
([5]) الذخيرة : ق1/ م2/117 ,118.

وبقاء وزوالاً, ويزين لكل أمير فيها أنه وحده ظل الله على الأرض, ولكل منهم إدارة وجيش, وحياة أدبية وفكرية[1].

بعد إنقسام الأندلس إلى أجزاء عديدة واهنة, وتدهور الأمور فيها، وجعلها مَعْبَرًا لقوى الشمال والجنوب ، أصبحت الأندلس بين أمرين, إما عرضة لغزو الروم, وإما جزء من المغرب, ولم يبق لها شخصيتها القديمة؛ لأن أمراءها- ملوك الطوائف - شاءوا أن يفزعوا إما إلى الشمال أو إلى الجنوب, وفي الوقت الذي يتقاتلون فيه على تحقيق أطماعهم الفردية الصغيرة وقعوا فريسة لأطماع خارجية[2].

وفي انقسام الممالك فرق متنازعة ضاعت خلالها وحدة الكلمة ورهبة الحكام[3]. إلا أن هذا الانقسام أهَّلَهَا لقيام نشاط أدبي واسع لكل إمارة صغيرة , وبدأ التنافس بين الحكام في تشجع الحركة الأدبية والعلمية, بذلك أضفى انقسام الأندلس إلى وحدات صغيرة على العلم والأدب تقدمًا ورقيًا عظيمًا[4]، وفي عهد الطوائف قد تصادف مرحلة الإزدهارالثقافي بفترة الانحصارالسياسي والإنقسام , والضعف والانهيار في القوة العسكرية[5].

ولكن لن أؤرخ للأحداث السياسية كما يفعل الدارس المتخصص في التاريخ, ولا أقف عند التفاصيل وقفة من يريد أن يسرد أنباء الوقائع الحربية, والفتن والمؤامرات ويحلل أسبابها, ونتائجها القريبة والبعيدة, وإنّما أردتُ أن أسوق من أخبار التاريخ ما أمهد به لدراسة أدبية تعينني على فهم كثير من الحوافز الأدبية, وتفسير بعض الظواهرالأدبية بمدخل عام . لاسيما في هذه المرحلة التي عرفت فيها الأندلس تحولات عظمى في كل الميادين ونتائج باهرة .

جـ ـ البيئة الثقافية :

([1]) ينظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب , إحسان عباس : ص473.

([2]) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين - إحسان عباس : ص8.

([3]) ينظرالتاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن الحجي: ص 411 ،412 .

([4]) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر- عصر ملوك الطوائف : سعد إسماعيل شلبي: ص311.

([5]) ينظر الفن ومذاهبه في النثرالعربي، شوقي ضيف: ص 324 ،325.

انتشرالعلم في الأندلس انتشاراً تفتقره كثير من البلدان المعاصرة له ، فالمجتمع الأندلسي مجتمع مسلم, نشأ محبًا للعلم وأهله, وفطر أبناؤه عليه ؛ لأن العلم فرض في العقيدة الإسلامية على كلّ مسلم ومسلمة, فكانت المعرفة بكل أوجهها- عصرالطوائف- مزدهرة وعامة, ومصدر فخر، وعوامل تقدير، مع الاهتمام بكل الوسائل والأسباب المؤدية لذلك.

ونجد امتدادات لمعالم وصفات العهود الماضية في الأندلس, فالمستوى العلمي السابق للقرن الرابع امتدَّ بأثره إلى عصرالطوائف, فالرغبة في التحصيل، والأخذ بأسبابه، والبذل فيه محبة واستجابة، كله مهم في تعليل ظاهرة الحركة العلمية ووفرت نتاجها[1]، بهذا غدت الأندلس سوقًا للكتب كبيرة، راجت بضاعتها، وازدهرت صناعتها, فالنتاج المعرفي غزير، ونجد أسماء لامعة في كل لون من ألوان المعرفة، هي عنوان الأمة الحية ،على الرغم من عدم الاستقرار في الأحوال السياسية، والاجتماعية . لو استمرعهد الخلافة الأندلسية ؛ لوجدنا الحضارة والنتاج العلمي في القرن الخامس الهجري أسمى وأقوى في النتاج والأصالة والإبداع[2].

أقبل النّاس على التعلم وأخذ يتنافسون في ذلك , فتعددت مراكز العلم، منها مكتبة قرطبة لمحمد بن يحيى الغافقي المعروف بابن الموصل(ت433هـ)هذا الرجل يفضل جمع الكتب على كل لذة أخرى, واجتمع عنده مالم يجتمع مثله لأحد بعد الحكم المستنصر, ومن هذه الكتب كتاب اصلاح المنطق بخط القالي, ونوادر ابن الاعرابي بخط أبي موسى الحامض, وتاريخ الطبري بخط ابن ملول الوشقي، ومثله المظفر صاحب بطليوس جمّاعة للكتب, لم يكن في ملوك الأندلس من يفوقه في أدب ومعرفة, كوّنَ مكتبة ضخمة منها الموسوعة سميت بالكتاب(المظفري),وهاجرت إلى الأندلس العديد من الكتب، منها ديوان المتنبي، ومقامات الحريري, ورسائل البديع والخوارزمي, وخطب ابن نباتة، وكتب الثعالبي وخاصة اليتيمة, أما كتب المعري التي وصلت الأندلس فكان لها الأثر الفعال في ظهور فن المعارضات, ودَوَّنَ ابن

([1]) ينظرالنثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس ،علي بن محمد : 1 /93.

([2]) ينظرنفح الطيب : 438/1 – 440.

عبدالغفور ثبتًا لها في كتابه(أحكام صنعة الكلام) وعدَّ منها كتاب الصاهل والشاحج, والسجع السلطاني وخطبة الفصيح وشرحه. من هذه الرسائل: رسالة الغفران, ورسالة الفلاحة, ورسالة الجن, رسالة النكاح . أما الشعر مثل، سقط الزند وشرحه المسمى(ضوالسقط), وأيضًا اللوزوميات، وكتاب الاستغفار[1].

وأضاء مشعل العلم والمعرفة في مدينتي طليطلة, وسرقسطة فظهر منها العالم الرياضي الكرماني(ت485هـ), من أعلام العدد والهندسة, وأدخل إليها رسائل إخوان الصفا لأول مرة, وغيره كثير من الذين شجعوا الحركة الأدبية والعلمية في الأندلس[2].

من مظاهرالحركة الثقافية أيضًا انتشارالمؤلفات الدينية والفلسفية والعلمية التي انبتقت دون حافز مادي, أواهتمام من ذوي السلطان, فكان التأليف في المؤلفات الدينية والفلسفية غير يرتبط بالعطاء أوالتكسب كما في الشعر, والمؤلف هو من يرفع كتابه إلى أحد الأمراء رجاء الصلة, وهذا شيء مختلف عن اندفاع الأمير نفسه عامدًا ليكون حامياً لحركة التأليف[3].كانت تعقد الحلقات في المساجد للتدريس, وتعقد مجالس للمناقشات والمناظرات في المسائل العلمية والفكرية وبخاصة في الفقه والمذاهب, منها تلك المجالس التي شهدتها بَلَنْسية في عهد مظفرالعامريِّ[4], وتدور فيها المناظرات حول مذهب الإمام مالك[5], وكذلك المجالس التي شهدت مناظرات ابن حزم مع فقهاء المالكية بالأندلس, وخاصة مع أبي الوليد الباجيِّ[6].

أشارأبو الوليد الشَّقُنْدي في رسالته فضل الأندلس قائلاً: ((ولمّا ثار بعد انتثارهذا النّظام ملوكُ الطوائف وتفرَّقوا في البلاد, كان في تفرقهم اجتماع على النعم الفضلاء العبّاد, إذ نَفَّقوا سوقَ العلوم, وتبارَوا في المثوبة على المنثوروالمنظوم, فما كان

([1]) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ، إحسان عباس : ص58-65.

([2])ينظر تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ، إحسان عباس : ص 60،61 .

([3])المرجع نفسه : ص77.

([4])هومن فتيان بني عامر,واشترك مع مبارك العامري في حكم بلنسية, بعد ترقيته من وكالة ملك الحضرة, توفي بعد مقتل مبارك ببلنسية سنة408هـ. ينظرالذخيرة: ق3/م13/1,والمغرب: 299/2,والبيان المغرب: 158/3.

([5]) ينظرسيرالنبلاء، للحافظ أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي,تح :شعيب الأرناؤوط وآخرين,مؤسسة الرسالة, ط9 ,1413هـ :4/ 71.

([6]) ينظر الذخيرة: ق 2/ م 1 /96.

أعظمَ مباهاتهم إلا قول: العالم الفلاني عند الملك الفلاني, والشاعرالفلاني مختص بالملك الفلاني, وليس منهم إلا مَن بذل وسعه في المكارم، ونبهت الأمداد من مآثره ما ليس طول الدهر بنائم))[1].

من الملاحظ أن الأندلس في القرن الخامس الهجري تمتعت بمفهوم واسع جدًا للثقافة, نتيجة لتفاعل العربِ مع سكان البلاد على أرضها ، التي يلتقي فيها المتناقضان, عربي أسمُر من أعماق الصحراء وغربيٌ أشقر من أطراف أوربا، ولغة عربية تكتب من جانب, ولغة أعجمية تكتب من جانب آخر, امتزج الأندلسيون فيها, كلّ هذا أثر في الأندلس فصدرعنه أدب جديد وعبقرية ناضجة[2], فالأندلس العربي كان مهدًا لحياة ثقافية راقية, وموطنًا طيبًا, وبلدًا للعلم والفن والأدب[3], تعددت مراكز الثقافة في الأندلس, وتنوعت بيئاتها, ولم تعد قرطبة وحدها عاصمةعلمية ثقافية, بل أصبحت كل حاضرة من حواضر ملوك الطوائف ثقافية وفكرية, من أمثال دانية, والمرية, وبلنسية وبطليوس, وطليطلة وغيرها, تنمو فيها فنون الكتابة لحاجة الدولة إليها في المراسلات بين الدوائر الإدارية، وتزدهر أنواع من العلوم المختلفة, وهذا بحسب ميول الأمير واهتمامه بالثقافة العلمية والفكرية[4]. والملاحظ أن التيارات الثقافية لها أثرها في نتاج الأديب, فالثقافة تزود الأديب باللغة وأدواتها, وتكسبه مقدرة على التعبير,وتضع بين يديه حقائق الكون وحوادث التاريخ, فيجد فيها وفي غيرها مردًا لأدبه لاينضب[5].

د- البيئة الاجتماعية :

شغل عصرالطوائف من حياة الأمة الإسلامية نحو ثمانين عامًا, وكان عصر تفكك سياسي واجتماعي شامل, بالرغم ما كان يبدو في بعض نواحيه جوانب براقة. وهذه الدول التي تزعم لنفسها الاستقلال بشؤونها, كانت تنقصها من الناحية النظامية

([1]) نفح الطيب :3/189– 190.
([2]) ينظرالقطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الأسلامي الدانية، عبد الله الطباع : ص298.
([3])المرجع نفسه : ص27 .
([4]) ينظرالنثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري،علي بن محمد : 1 / 94 .
([5]) ينظرالبيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، سعد شلبي: ص15.

عناصرالدولة المستقلة, كالولايات المنظمة بالمعنى الصحيح، تكون مهمتها الأساسية أمن ونظام الولاية, بل كانت بها أسر أو زعامات, تعمل قبل كل شيء لمصلحتها الخاصة, أما الناس لاحساب لهم, وليس عليهم إلا الخضوع لما يفرض عليهم من مختلف المغارم والفروض , التي يستخدمها الأمير لإقامة بلاطه الفخم أولا, ثم لحشد الجند, وتنفيذ مشاريعه السياسية والعسكرية [1]، وهؤلاء - ملوك الطوائف - هم أخلاط من: العرب, والبربر, والموالي، والمولّدون, وأهل الذمة من نصارى ويهود[2], وسكان المجتمع الأندلسي أكثرهم من غيرالمسلمين منهم النصارى الذين كانوا يسكنون البلاد, واليهود وهم الذين قدَّموا للمسلمين عند فتحهم شبه الجزيرة مساعدات كثيرة , وكان لليهود والنصارى تأثير قويٌّ في المجتمع الأندلسي طيلة بقاء الاسلام في إسبانية, وبينهم الاحترام المتبادل في الحياة, وفي جميع المعاملات[3].

أخذ ملوك الطوائف يتطلعون إلى حياة الترف التي عرف بها خلفاء بني العبّاس, فتحولت عواصم ملكهم إلى بغدادات كثيرة[4]، وبلاط هذه البغدادات يعجُّ بالترف واللهو والمجون, وهذا الترف قائم على الإبداع في جميع شئون الحياة, كما صاروا يتنافسون في بناء القصور والحدائق, والتنافس في اجتذاب العلماء والأدباء, والراقصين والراقصات, والمغنين والمغنيات[5].

وكان التنافس أيضًا عمرانيًا وأدبيًا وفنيًّا , فتنافسوا في بناء الحصون والقلاع, وتنافسوا في مجالس الأدب والعلم والطرب, وفي تشجيع الشعراء والكُتَّاب[6], وسادت في المجتمع الأندلسي اللغة العربية فهى لغة راقية مهذبة رقيقة يتحدث بها الناس على أنها لغة الثقافة والأداب[7], وقد دعت الحالة الاجتماعية في عصرملوك الطوائف إلى التشكي والاستعطاف، فالمال قليل والمتكسبون كثر من الشعراء

([1]) ينظردولة الإسلام في الأندلس - العصر الثاني- محمد عبدا لله عنان :ص 418 ،419 .

([2]) ينظرالأدب العربي في الأندلس،عبد العزيزعتيق: ص137 .

([3]) ينظر إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، صلاح خالص: ص32.

([4]) ينظردولة الإسلام في الأندلس : ص441.

([5])ينظرالشعرالأندلسي في عصرالطوائف,ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية:الطاهرأحمد مكي,دارالمعارف-القاهرة, ط1988،1م:ص44، وتاريخ الأدب الأندلسي-عصرالطوائف،إحسان عباس - ص39-43.

([6]) ينظر في الأدب الأندلسي : جودت الركابي : ص24 .

([7]) ينظر قصة الأدب في الأندلس، عبد المنعم خفاجة : ص 88 .

والأدباء, والمنافسات والسعايات والعداوات بينهم على أشدها، ومنهم من تولى الوزارة أو الكتابة, واسهم في السياسة العامة للدولة[1]،وكانت الشكوى في أغراض مختلفة, فشكوا الزمان وأهله, وقلة الوفاء, وكثرة الفساد, والفقرالذي لازم بعضهم, والمرض الذي انتشر بينهم، وممن شكا الزَّمان ابن الّتاكُرنّيِّ[2], كتب رسالة خاطب بها أبا جعفرابن العباس, يشكو فيها تقلب الزمان وفساد الأحوال[3].

وكتب أبوالفضل ابن حَسْدَاي رسالة على لسان المنجم بـ(لأردة)[4], يشكو فيها سوء حاله, وقد ذهبت إحدى عينيه[5], ويعتبرابن الدَّبَّاغ[6]من أشهرالكُتَّاب الأندلسيين الذين أكثروا من شكوى الزمان, نجده في هذه الرسالة يصور لنا الظروف النفسية الصعبة التي يعاني منها, حيث يقول: ((لاتسْأل عن الحال فقد صار في عينيِّ معمورة الكُرْةَ, أضيقَ من خُرْت[7]الإبرة, واستبهمتْ ليَ المطالب, وانْسدّتْ عليَّ المذاهب...))[8].

طبعت الشخصية الأندلسية بوجه عام بطابع القلق والاضطراب, وعدم الاستقرار نتيجة لقسوة الحياة, وصعوبة الظروف المعيشية, والتطاحن بين الطوائف, وشيوع الفتن وكثرة الحروب[9]من ناحية.

ونتيجة لحياة الفوضى, والاضطهاد والظلم, وانقلاب الأوضاع في سائرمناحي الحياة, فقد ترتب على ذلك انهيارالمعاييرالأخلاقية, وأختلط الحق بالباطل, والحلال بالحرام, فلم يعد الناس في الأندلس يعتدون بالوسيلة [10], وأدت تلك الأوضاع

([1])البيئة الأندلسية ، سعد شلبي:ص 492 .

([2])هومحمد بن سعيد أبوعامرالتَّاكُرُنّى الكاتب, من أهل الأدب والبلاغة والشعر,سكن بَلنسية. ينظر بغية الملتمس: 1/ 111، وجذوة المقتبس : ص56.

([3]) ينظرالذخيرة : ق 3 /م 1 /229 .

([4])هي مدينة في ثغرالأندلس الشرقي, ابتنيت على نهر يخرج من أرض جليقية يعرف بشيقر,وهوالنهرالذي تلقط منه برادة الذهب الخالص,ولها بساتين كثيرة, ينظرالروض المعطار: ص 507.

([5]) ينظر الذخيرة : ق 3 /م 475/1.

([6])هوأبوالمطّرف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدَّبَّاغ, كان كاتبًا للمقتدر بن هود,ثم فرَّعنه إلى المعتمد ابن عماد.ينظر ترجمته في: القلائد: ص 106,والذخيرة : ق 3 /م1 /251 , والمغرب : 2 /440 .

([7])الخُرّتُ:الثقب، لسان العرب،ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دارصادر،بيروت، ط1، 1990م: مادة (خرت)،38/5.

([8])الذخيرة :ق 3 /م 1 /257 .

([9]) البيئة الأندلسية ، سعد شلبي : ص 57 .

([10]) ينظردولة الإسلام في الأندلس ـ العصر الثاني: ص421.

الاجتماعية إلى تدهورالأوضاع الاقتصادية, وانتشارالفقر بين مختلف طبقات المجتمع الأندلسي ما أدَّى إلى ظهورالكدية, وابن حيّان وصف رجلًا من أهل الكدية, وقد إمتلأت حقائبه بألوان الطعام وغيره: ((وصَدَرَ فلان مع أصحابه الرُّسُل وقد امتلأت حقائبه مِمَّا قَمَّشهُ من السُّحت,[1] بضروب الكدية والشَّحذ, وبَخلَ حتَّى بالزَاد المأدوم[2] في الطَّريق وضنَّ به على الرَّفيق))[3].عرفت رسائل الكدية بالزرزوريات، ويحمل ابن حزم بعنف ,على أمراء الطوائف وما اتصفوا به من ضعف الإيمان والعقيدة , ويؤكد أن الأندلسيين لو وجدوا في اعتناق النصرانية , وسيلة لتحقيق أهوائهم ومصالحهم , لما ترددوا في اعتناقها[4]،ويصفهم بأنهم شعب تقترب صفاتهم من الشعوب الأخرى، فيقول:((إن أهل الأندلس صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن الصورية, تركيُّون في معاناة الحروب ومعالجات آلاتها والنظر في مهماتها))[5].

وفي هذا الجو المضطرب برزت شخصية الرجل القلق المغامرالذي يطوف من بلد إلى بلد عارضًا مهارته على من يُقدرُها حق قدرها, فقد يستوي فيها مختلف المهارات المطلوبة من جندي وكاتب وشاعر ومعماري وأصحاب الحرف الأخرى, ولم يكن اختلاف الدين عائقًا في هذه الأمور, فكان السيد القنبيطور يخدم المصلحة, فتارة يحارب مع أمير مسلم وتارة من أجل أمير نصراني[6] وتعليلهم لظاهرة القلق والاضطرابات ومحاولات الانفصال, هو التباين الواضح بين الاجناس التي يتركب منها المجتمع الأندلسي, فكل بيئة من هذه البيئات الأندلسية لاتستقل عن الأخرى في تأثيرها الفني على الأدب والأدباء، وعند الحديث عنها مستقلة بقصد استجلاء فاعليتها واضحة.

ثانيا ـ تيارالإعجاب بالآثار المشرقية :

([1]) السُّحتُ: كلُّ حرام وما خبث من المكاسب وحرم , ينظراللسان، مادة :(سحت)،133/7.
([2]) يقال طعام مأدوم, أي مخلوط . ينظراللسان، مادة: (أدم)،72/1.
([3]) الذخيرة : ق1 /م 2 /594 .
([4]) ينظردولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، محمد عنان :ص 422 .
([5]) نفح الطيب : 2 /763 .
([6]) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ـ إحسان عباس : ص34.

عند دراسة أي أدب يجب البحث عن أصوله ودعائمه ومقوماته, وما لاشك فيه أن الأدب العربي كان دخيلاً على الأندلس، فكان لإسبانيا آدابها الرومانية, وانصهرت هذه الآداب عند الفتح العربي للأندلس, وحل محلها أدب جديد، وهنا لنا أن نتساءل من الذي وضع بذرة هذا الأدب؟ والإجابة, المشارقة هم الذين أسسوا المدارس الأدبية في الأندلس, وفيها تعلم الأندلسيون الآداب والعلوم الأخرى بشتى أنواعها, وأقام هذا الأدب مع المقيمين في الأندلس ومعظمهم من الوافدين من الشرق, فجاء التعليم عربيًا, وعلى الطريقة المشرقية, ومن البديهي أن يتأثرالتلميذ بأستاذه، ويسيرعلى منواله محاولاً في ذلك تقليده, هذا من الناحية العلمية والنفسية لاضيرفي ذلك, وترسخت القاعدة في أذهان الأندلسيين بمرورالأيام, فكانوا يتباهون في محاكاة المشارقة في فنونهم ومدارسهم, وهذا من الطبيعي[1], كان تأثيرالنثر المشرقي في نظيره الأندلسي عظيمًا[2], تجلّى هذا التأثيرعبر مسارات متعددة, بعضها فني، وبعضها الآخر موضوعي[3],فقراءة الرسالة الهَزْلِيّة لابن زَيْدون(ت463هـ)تستدعي نصّاً غائبًا للجاحظ (ت255هـ), نبزهُ بـ(رسالة التربيع والتدوير)[4],وقراءة رسالة ابن برد الأصغر((البديعة في تفضيل اهُب الشاءعلى ما يُفْتَرشُ من الوطاء))[5] تستحضررسالة سَهْل بن هارون(ت215هـ) إلى بني عمّه من آل راهبون, حين ذموا مذهبه في البخل, وتتبعوا كلامه في الكُتب [6], مضمونًا ووسائل تعبيرٍ وغاية[7] وهذا الإعجاب تحول إلى نوع من التبعية لطرائقهم التعبيرية، ومناهجهم حتى تخوف ابن بسّام من القضاء على هذا الأدب العالي الرتب, فأطلق صرخته تلك إلا أن أهل هذا

([1]) ينظرحول الأدب الأندلسي، قيصر مصطفى, مطبعة الأشرف, بيروت- لبنان ، د.ط ,1987م: ص140.

([2]) الأدب الأندلسي,(موضوعاته وفنونه)،مصطفى الشكعة، دارالملايين، بيروت،ط8،1975م: ص569, وتاريخ الأدب الأندلسي(عصرالطوائف والمرابطين)، إحسان عباس :ص228 .

([3])الحوارالأدبي بين المشرق والأندلس- المتنبي والمعري- نموذجين،أيمن محمد ميدان،دارالوفاء لدنيا الطباعة ـ الإسكندرية, ط1, 2004م : ص168.

([4]) الحوارالأدبي بين المشرق والأندلس، أيمن ميدان : ص168

([5]) الذخيرة : ق1 /م 1 /532– 544.

([6])البخلاء،الجاحظ ,ضبط وشرح،أحمد العوامري بك وأخرين,دارالكتب العلمية,بيروت,د.ط 1983م: 33/1– 46.

([7])دراسات في الأدب الأندلسي،أيمن ميدان،دارالوفاء الدينا للطباعة- الآسكندرية،ط2004،1م: 259-262.

الأفق...[1]،،لأنهم يهملون ما لديهم من أدب ويقبلون بالتقليدعلى أدب المشارقة المشارقة, ويكبرون كلَّ شيء ورد من المشرق) [2] ؛ أيّ أن الأندلسيين لم تفتهم المشاركة في جميع الموضوعات التي عرفها المشارقة منها ما تعلق بالطبيعة أو بالجمال الإنساني, أو بالصراع بين الإنسان والطبيعة أو بين الإنسان والإنسان, أو وصف الأدوات الحضارية وعلاقة الإنسان بالفناء والهرم, أو بعض الحالات الأخلاقية[3].

ويرى إسماعيل شلبي أن الكثير من المؤرخين للأدب الأندلسي يغفلون مسألة مهمة، وهي الأصالة والتقليد؛ فإنه لاتعارض بين التقليد وظهورالشخصية, فالتقليد نفسه شخصية إيجابية، فعندما يستعيرأدب من أدب مقلدًا أومحاكيًا, فإن ذلك يدل على إيجابية الأدب ونمو شخصيته، وهنا فرق بين ذلك وبين النظر في دهشة إلى النماذج الأندلسيين من المشارقة أو نسجهم على منوالهم[4].

يؤكد ذلك قول الدكتورإحسان عباس:،، ولكن حين نجد التشابه في الشكل والطريقة, وحين تكثر المعارضة أو الرد, وحين تستغل الصور نفسها في الموضوع الواحد, فحينئذٍ يمكننا القول بالتقليد والمحاكاة ،،[5].

ينطبق كلام الدكتورإحسان عباس على المعارضات الشعرية، التي سارالأندلسيون فيها على خطى المشارقة صورة وموضوعًا وشكلاً, ولاينطبق على المعارضات النثرية فهى من الموضوعات التي استحدثت في الأندلس, وأخالف الدكتورشوقي ضيف في مسألة التقليد[6], فالتقليد عند الأندلسيين لا يقلل من قيمتهم, شأنهم في ذلك شأن الحضارة الأوربية الحديثة, فكانت أصولهاعربية امتدادها العصورالوسطى، وإن تناول الأديب لبيئته وتحدثه عن الطبيعة من حوله, ووصفه ومحاكته للأزهار والأمطار وغير ذلك فينبغي ألا نذهب بأذهاننا إلى أن المشارقة

([1]) الذخيرة : ق 1 /م1 /12،11 .
([2])تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس : ص 502 .
([3]) ينظرتاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة،إحسان عباس: ص 132 .
([4]) ينظر البيئة الأندلسية ، سعد شلبي: ص108.
([5]) تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ، إحسان عباس : ص125.
([6]) ينظر الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف : ص 319 – 321 .

قد سبقوهم إلى ذلك؛ لأن المشرقي وضع أمام عينيه الطبيعة, أما الأندلسي وضع عقله وحسه المرهف وتفكيره في طبيعته واستمد منها ما يغذي ملكته الأدبية, وكل منهما أصيل في نظرته[1].

وفي عصرالطوائف أخذ الأندلسيون يتحررون من هذه التبعية، ويشعرون باستقلالهم الفكري, وشرعوا في منافستهم ومعارضتهم فبزّوهم حينًا وقاربوهم في معظم الأحايين، وإلى هذا يشيرالدكتورفليب حتّى بقوله: ((كانت الثقافة الشرقية في القرون الأولى التي مرت على السلطة الإسلامية تسرى إليها من مستوى عال...غير أن الآية انعكست في القرن الحادي عشرالميلادي(الخامس الهجري)والقرون اللاحقة كما يستدل من مسير ابن زهر والباهلي إلى الشرق لإفادة أهله, وقد فاض سيل من المعارف في القرن الثاني عشر بحيث طما على أوربا نفسها))[2], ولاينبغي أن يفهم هذا أن الأندلسيين كانوا عالة على المشارقة، ففي اللغة والأدب كانت لهم جهود كبيرة في كل ميدان, ومما ألفوه في النحو واللغة: الاستدراك على سيبويه وطبقات النحويين واللغويين ولحن العوام للزبيدي, والمخصص لابن سيده الخ .

ومن مؤلفاتهم في الأدب, أحكام صنعة الكلام، للكلاعي وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي, وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي والحلة السيراء لابن الأبار, وقلائد العقيان, ومطمح الأنفس, ومسرح التأنس في أهل الأندلس للفتح ابن خاقان, والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسّام الشنتريني, والبديع في وصف الربيع, للحميري، نشره هنري بيريس بالمغرب سنة 1940م, ونفح الطيب للمقري التلمساني، ويعد هذا الكتاب موسوعة ضخمة عن الأندلس[3], وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه, يورد فيه نماذج لأبي تمام وغيره من أعلام شعراء المشرق, ونجده يذكر له أشعارًا في نفس الموضوعات، أو مع بعض الأفكار المتشابهة والصور المتقاربة[4], ويحاول ابن عبد ربه إثبات تفوقه, ثم يعلق

([1]) ينظرالبيئة الأندلسية ، سعد شلبي: ص208 ،209.

([2]) نقلاً عن ديوان ابن زيدون ورسائله، تح :علي عبد العظيم, دار النهضة – القاهرة، ط1957: ص18.

([3]) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي، محمد زكريا عنان :ص43، 44.

([4]) ينظر العقد الفريد،لابن عبد ربه,في كثير من فصوله .

على قصده في ذلك[1], فالمسألة لم تكن تبعية أوسرقة, وإنما كانت معارضة وتحديًا[2]

.

وأشارالدكتورعبد العزيزعتيق في كتابه[3] إلي أنّ القائلين بدعوى التقليد قد استندوا إلى عدة مسلّمات لاحظوها في الأدب الأندلسي أهمها :

المعارضة في النشاط الثقافي والتي أشرنا إليها في هذا الفصل[4], كذلك التطابق أحيانًا بين الشاعرالأندلسي والمشرقي في طريقة النظم, في الموضوع الواحد، والوزن والقافية الواحدة، كالتطابق الحاصل بين قصيدتي أبي نواس ويحيى بن الحكم الغزال وقصيدة أبي نواس مطلعها:

ولقد طالَ في رسم الديار بكائ * وقد طال ترددي بها وعنائي[5]**

وأما قصيدة يحيى بن الحكم الغزال المستهلة بقوله[6]:

ولما رأيت الشرب أكدتْ سماؤهم* تأبتُ زقي واحتسبتُ عنائ**

يرى أحد الباحثين: «فهذه الاعتبارات وأمثالها هي التي دعت بعض مؤرخي الأدب العربيّ إلى القول بالتقليد في الشعرالأندلسي, وعدم وضوح الشخصية الأندلسية فيه, وبالتالي نَفْي صفةِ الاستقلال الذاتيّ عنه»[7] .

والقول بأن هناك الافتراضات الأخرى التي أثرت في الأدب الأندلسي, ولم تقف عند دراسة المؤلفين العرب وحدهم, وشعراء المشرق من بينهم خاصة, وإنما تمتد إلى المؤلفين اليونان وإلى اللاتين احتمالاً, وكان ذلك عن طريق الترجمة, واستخدام الحكمة اليونانية والفارسية في الشعرالأندلسي[8], إلى جانب الاختلاط باليهود وخاصة يهود قرطبة والمسيحيين, ونرى أبا عامر بن شهيد كان كثيرالاختلاط بالمستعربين, وبالقسس المسيحيين, واستطاع أن يقرأ ترجمة,غيركاملة لكتاب محاورات لوسيان أو

([1]) ينظر العقد الفريد،لابن عبد ربه:3 /137،138.

([2]) الأدب الأندلسي من الفتح إلي سقوط الخلافة، أحمد هيكل : ص199.

([3]) الأدب العربي في الأندلسي، عبد العزيزعتيق :ص160– 162.

([4]) ينظرصفحات من هذا الفصل :ص16-19.

([5]) ديوان أبي نواس،تح :أحمد عبد المجيد الغزالي،دارالكتاب العربي، بيروت ، د.ط ، د.ت : 358

([6]) نفح الطيب : 2/260،261.

([7])الأدب العربي في الأندلس: ص162.

([8]) نقلاًعن الشعر الأندلسي في عصر الطوائف : ص 42 ،43 .

فيدون لأفلاطون[1], وقد أرسل إمبراطور بيزنطة الرومانية الراهب(نقولا),إلى عبد الرحمن الناصر ليترجم كتاب(ديوسقوريدس) في الطب من جانب استطاع هذا الراهب أن يوطّد علاقاته مع أحمد بن عبد الملك بن شهيد، وهو جد مؤلف رسالة(التوابع والزوابع),وبلغ مكانة عالية[2], وله أسند عبد الرحمن الناصر رتبة((ذي الوزارتين)) في عام 327هـ 939م[3], كان هذا الرجل مغرمًا بالأدب, وعرف بعض المؤلفات اليونانية القديمة المهمة,كان لهذا الذخرالأدبي أثرًا كبيرًاعلى أسرة ابن شهيد وعلى ابنه أولًا ثم إلى حفيده من بعده مع التطويرالذي يلائم عبقرية الشخص, وظهر ثانيةً الفكراليوناني أواللاتيني خلال أشكال فيها من الطابع العربي شيء في مثل رسالة أبي عامر بن شهيد(التوابع والزوابع), التي تجسد المثل الأروع دقة في الأدب الأندلسي[4].

فالمجتمع الأندلسي لم يعرف التعصب الديني من جانب المسلمين, فقد تركوا لأهل الكتاب من نصارى ويهود حرية العقيدة، والتعبد منذ الفتح الإسلامي, ونرى منهم من تولى المناصب في الدولة, ولعل أولهم الوزيرالشاعرالكاتب حسداي بن يوسف بن حسداي, وكان وزيرًا للمستعين أحد ملوك الأمويين عاش زمن الفتنة, وقد لقب حسداي نفسه بأبي الفضل بعد أن صار وزيرًا[5]. كما تولى الوزارة في الأندلس ابن نَغْرَالّه, ولم ينسى هذا الوزير أنه يهودي, ولم يكن أمينًا على منصبه[6].

هذا ما رأوه الباحثون العرب في قضية الشعرالأندلسي، وتقليد الأندلسيين للمشرق, وماهو رأى الباحثين في النثرالأندلسي أليس الأدب شقين شعراً ونثراً؟ فلماذا إذن تنصب جلّ الدراسات على الموضوعات الشعرية فقط وبخاصة موضوع المعارضات ؟ فنجد جميع المهتمين بالأدب الأندلسي يتناولون بالدراسة المعارضات الشعرية فقط ولم نجد من يهتم بدراسة المعارضات النثرية. كما نلاحظ الابتعاد عن

([1]) ينظرالشعر الأندلسي في عصرالطوائف ، الطاهر مكي :ص 42 .
([2]) المرجع نفسه : ص42 .
([3]) إسبانيا الإسلامية في القرن العاشر الميلادي ، أعمال الأعمال : 68 , 101 , 102 .
([4]) الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، إحسان عباس: ص42.
([5]) ينظرالمُغرب في حلي المَغرب : 2 / 441. والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، الشكعة :75.
([6]) ينظ نفح الطيب : 6 / 56، والأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه : ص 76.

هذا النوع من الدراسة. هل السبب هو المادة الأدبية ؟ للإجابة عن ذلك، فإن الأندلس شهدت حركة أدبية نشطة اتخذت من المعارضات شعرية ونثرية , داخلية وخارجية محورًا لها ونقطة انطلاق, وهي حركة تحفز الهمَمَ للاقتراب منها أكثر, ومعالجتها بأسلوب علمي أشمل وأدق والحق أن المعارضات الشعرية فنٌّ مشرقيَّ النشأة, قديمًا قدم الشعر العربي, أما المعارضات النثرية فهى أندلسية النشاة محدودة الوجود زمنيًا[1], وقد أرخ لها ابن بسّام في كتابه الذخيرة منها ما كان حول رسائل مشرقية، مثل معارضة عبد الوهاب بن حزم(ت438هـ) لرسالة بديع الزمان في الغلام[2].

أما أغلبها فكان معارضة لرسائل أندلسية , وإن دل هذا فإنما يدل على أن الأندلسيين قد وصلوا إلى المكانة التي سبقهم إليها المشارقة حيث وجد لهم أدب راقٍ, وإيراد ابن بسّام لهذه المعارضات, وإكثاره منها, ومحاولة حصرها في محيط الأندلس، دليل على أنه يحاول التركيزعلى مظاهرالأصالة والإبداع لدى الأندلسيين .

وأضيف إلى الدكتورعبد العزيزعتيق مسلمة أخرى: أن المعارضات النثرية الأدبية فن من فنون النثرالعربي لم تكن تقليدًا للمشارقة ، وإنما أتت المعارضة نتيجة ثقافة أدبية ونقدية واسعة, تحلى بها الأندلسيون فأداروا معها حوارًا, وأولوها جلّ اهتمامهم, ونجد الأندلسيين لم تعد الآثارالمشرقية تحاط عندهم بالتقديس، بل نجدهم يبلغون مرتبة الإزراء فمنهم ابن شهيد الذي يزري في رسالته بابن العميد, ولعل هذا هوالذي سوغ إيراده في الذخيرة[3].

ومما يلحظ على كثيرمن المهتمين بدراسة الأدب الأندلسي أنهم يقرون بتبعية الأندلسيين للمشارقة, متغافليين عن أثرالعوامل المعرفية والثقافية التي هي الأصل في توجيه الفكر.إذن المفاهيم الجديدة ألهمت الأندلسيين طرقًا جديدة في التفكيرعند المبدعين.

([1]) الحوارالأدبي بين المشرق والأندلس- المتنبي والمعري , أيمن ميدان : ص167، 168.

([2]) الذخيرة : ق1/م 140/1.

([3]) ينظرفنون النثرالأدبي بالأندلس- في ظل المرابطين: مصطفى الزباخ, الدار العالمية للكتاب, بيروت، ط1، 1987م : ص63.

ومازلتُ بصدد الدفاع عن فن المعارضات النثرية وإبعاده عن ربقة التقليد المحض, والخروج به عن هذه الدائرة, إلى نطاق أوسع هو نطاق الخلق والإبداع, وإثبات القدرة الفنية, ومحاولة التميُّز والتفوق, فابن شهيد شاعر وأديب فذَّ في هذا المجال, دفعته عوامل عدة ربما شخصية نتجت عن إصابته بالصم، الذي حال دون اعتلائه منصب الكتابة مع توافرالمؤهلات التي تؤهله لهذا المنصب من امتياز, كونه من أسرة عالية في الأدب والعلم, إلى موهبته المبكرة الفذة, وأظهر هو ذاته دليلاً على ملكاته الأدبية. نجد ابن شهيد شديد الإنحاء على خصومه, شديد المباهاة بأدبه ونبوعه يناقش الشرق والغرب, والقديم والمحدث, وأشاد به ابن بسّام بقوله: ((وجوابٍ يجري مجرى النّفَس, ويَسْبِق رَجْعَ الطّرْفِ المختلس))[1].

ثالثا ـ الحركة الفكرية وتيار التعبيرعن الذات الأندلسية.

تنتقل الثقافات بين الشعوب من خلال ثلاثة روافد هي: الحروب، والهجرات, والرحلات, وقد عنى الأندلسيون عناية فائقة بالعلم ويروي المقري أن العالم له منزلة عظيمة عند خاصتهم وعامتهم, ولم يكن للأندلسيين في بادئ الأمر مدارس تعينهم على طلب العلم, وكان يتلقون جميع علومهم في المساجد ولم يتقاض علماؤهم أجرًا لقاء علمهم ؛ لأنْ غايتهم نشرالعلم لذلك , فالعالم منهم بارع ؛لأنه يطلب العلم برغبة من نفسه ويحيد عن الاشتغال بغيرالعلم[2] ((واهتمت الدولة بإنشاء مكاتب للتعليم في قرطبة لكي يتعلم فيها أولاد الفقراء مجانًا, كما حبسوا كثيرًا من الأوقاف لصالح التعليم))[3] , فلا غرابة من انعدام الأمية في الأندلس وقد طال التعليم حتى النساء, ولهنَّ دور كبيرفي الثقافة الأندلسية حيث حفظ بعضهنَّ الدواوين الشعرية, فضلاً عن روايتها, وكنَّ يقمنَّ بالكتابة, ومشغوفات بجمع الكتب, يقال: ((إن عائشة بنت قادم كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب وتعنى بالعلم

([1]) الذخيرة :ق 1/م 192/1.

([2]) ينظر نفح الطيب: 1/ 220 .

([3]) البيان المغرب : 3 / 358.

ولها خزانة كتب عامرة بأعظم المصنفات))[1], وهناك أُسر في الأندلس تميزت بتفانيها في طلب العلم، وإتقان صناعة الأدب. من هذه الأسر التي شاركت في بروز هذا الازدهار أسرة بني الخصال[2], وكان أبوعبد الله محمد أنبه أبنائها ((متفنناً في العلوم مستبحرًا في الآداب واللغات قوي المعرفة بهما متقدماً في معرفتهما واتقانهما. كان كاتباً بليغاً، عالماً بالأخبار ومعاني الشعر))[3].

وبلغ في هذا الشأن أيضًا: الوزيرالكاتب ابن حسداي الرتبة العليا من البلاغة في الشعر والأدب فطارت الكتابة باسمه[4]، وكان ارتباط خطة الكتابة بالرياسة والسلطان السبب الأول في شهرة الكُتّاب وذيوع صيتهم, ووقوفهم مع القضاة في موقف متقارب من العامة والخاصة من التعظيم والمكانة[5]، واحترام الأدباء والشعراء وتقديرهم من قبل الملوك والأمراء ومن كافة شرائح المجتمع الأندلسي, وهؤلاء العلماء والأدباء ينتقلون من دولة إلى دولة[6], ولهم قول مأثور ينقشونه على أكثر معاهدهم العلمية هو:((إن العالم يقوم على أربعة أمور:علم الحكماء, وعدل العظماء, ودعاء الصلحاء, وشجاعة الشجعان)) [7], وإنَّ ملوك الطوائف أنفسهم كانوا في طليعة الأدباء والشعراء, كالعالم المعتضد والمعتمد صاحبي إشبيلية, والمعتصم بن صمادح صاحب المرية[8]. يتميز الكاتب الأندلسي بشخصية أكثر ظهورًا في المجتمع, وأصبحت قواعد الأندلس وحواضرها مركزًا للعلم والمعرفة، وطلب العلم فيها سارعلى نمطين من الرحلات العلمية داخلية وخارجية.

أولاً- الرحلة الداخلية.

([1]) ينظرديوان ابن زيدون ورسائله : ص 18 .
([2]) ينظرفنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين ، مصطفى الزباخ : ص66.
([3]) الصلة : 2 / 557 .
([4]) الذخيرة : ق1 /م1 / 458.
([5]) ينظرفنون النثرالأدبي بالأندلس في ظل المرابطين :ص64 .
([6]) ينظرنفح الطيب: 333/1 ـ 334، وتاريخ الأدب الأندلسي، مصطفى السيوفي: ص35.
([7]) ديوان ابن زيدون ورسائله : ص16.
([8]) ينظر في الأدب الأندلسي، جودت الركابي : ص55.

كانت الرحلات الداخلية إلى العواصم الأندلسية, حيث ينتقل بين المدن الأندلسية التي غدت حواضر للعلم , يؤمَّها العلماء وطلاب العلم والأطباء الذين رحلوا إلى قرطبة, من كل حدب وصوب, ولتنشيط الحركة الفكرية استعـان بعض الخلفاء مثل: الناصرباالله بالعبيد لتعليم اللغة الأغريقية , والاستفادة منهم في ترجمة الكتب العلمية، وخاصة الكتب التي لم تستكمل ترجمتها في عهد هشام المؤيد[1].

ويؤكد ذلك الدكتورإحسان عباس بقوله: ((وأشتغل الأندلسيون بكتب المشارقة دراسة وشرحاً ومعارضة ورداً واختصارًا, إلى جانب ما ألفوه في شتى العلوم من فقه ولغة ونحو ومعجمات وتاريخ وحديث وكتب في التراجم والدراسات الأدبية))[2], وأصبح الاهتمام بالمكاتبات في سائر المدن الأندلسية أمرًا ملحوظًا, وأخذ الناسُ يتنافسون في ذلك. إن هذا التوزع وما صحبه من قيام مدن ومراكز كثيرة ، أهلَّ لنهضة أدبية رائعة في أثناء القرن الخامس الهجري, فإن انقسامها إلى أندلسيات متعددة جعل مراكز النشاط الأدبي فيها تعدد أيضاً, وكل حاكم أو أمير يُعْنى بأن يكون في بلاطه أشهر كاتب في إقليمه, فأصبحت كلّ مدينة تشتهر بكاتب إن لم يكن طائفة من الكتَّاب، تعقب ابن بسّام صاحب الذخيرة هذه الظاهرة فعرض لكُتَّاب كلّ مدينة عرضاً مفصلاً[3].

ثانياً ـ الرحلة الخارجية.

وهي التي يتَّجه فيها الأندلسي صوب منهل العلم في المشرق العربي, وتفانى الأندلسيون في حب العلم، وتحمّل الآهوال والصعاب من أجل اللقاء بأساطين العلم والأدب في المشرق, وخصص المقري مجلداً كاملاً[4] لذكرالتراجم الكثيرة للأندلسيين الذين رحلوا إلي المشرق طلباً للعلم, وبلغ شغفهم بالعلم أنهم كانوا يعيبون على الرجل الذي لم يرحل إلى المشرق[5]. اختلفت أغراض الأندلسيين العلمية من الرحلة ,

---

([1]) ينظرعيون الأنباء في طبقات الأطباء, ابن أبي أصيبعة, موفق الدين أبي العباس أحمدبن القاسم بن خليفة السعدي – الخزرجي,تح : نزار رضا, دار مكتبة الحياة – بيروت - ط1965م : ص494, 495.

([2]) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس : ص 59.

([3]) ينظرالفن ومذاهبه في النثر الأندلسي، شوقي ضيف : ص 325، و ديوان ابن زيدون ورسائله :ص18.

([4]) ينظرنفح الطيب : 75/2، 77, 135، والصلة : 228/1 ،2 /236.

([5]) ينظرالأدب العربي في الأندلس،عبد العزيزعتيق : ص151.

فتصنف هذه الرحلات حسب غاياتها, فمنها ما يهدف إلى كسب المال, وهي الرحلات التجارية أوالنشاط التجاري، ومنها ما يعود إلى أسباب دينية, كرحلات الحج , أو إلى أسباب سياسية, تكليفية أو إجبارية[1], فمنهم من كان يبغي الفقه وعلوم القرآن والحديث, وهم الأكثرية , ولــهذه الرحلة التي يقوم بها المسلم الأندلسي إلى المشرق أسباب ودوافع متعددة منها:

1ـ دافع الحج, وكان أثره كبير لحمل الأندلسيين على الرحلة إلى المشرق ليكملوا فرائض الإسلام, فضلاً عن الصورة التي يعرفها الأندلسيون عن المشرق بأنــه كعبة تزار لما فيه من منابع العلم والمعرفة والحضارة .

2ـ دافع وحدة اللغة العربية، فهي تسهل الاتصال بين المشرق والمغرب، ووسيلة للتعبيرعن مشاعرهم وأفكارهم, وعندما تمتزج بين العناصر المختلفة في شبه الجزيرة ؛ فإنما تستهدف التغريب كليةً, فواصلت الأندلس سيرها مشرقية باستخدام اللغة العربية لغة حضارة في كل المجالات، وأعتبرها الأندلسيون اللغة الأكثر حيوية, بحيث أصبحت وسيلة الاتصال المناسبة في حياتهم اليومية[2].

ومن الواضح أن اللغة العربية لم تجد في الأندلس لغة، تدخل في صراع معها, فأتخذوها أداتهم في التعبير, وتحدثوا بها كأنها جزء من حياتهم ومعتقداتهم فهى لغة حضارة, ولغة نزل بها كتاب مقدس, فتأصلت في البلاد, وظلت اللغة العربية في الأندلس سليمة قوية طوال الوقت الذي قُدِّر للأندلس أن تستظل فيه بنورالإسلام, ومرد ذلك إلى غلبتها في أسلوب الحكم, وسيادتها بالعصبية المحمودة, كذلك بعدها عن تيارات اللحن والدخيل, ولهذا كان سريان الفساد في المغرب أبطأ منه في المشرق[3].

3ـ الاضطهاد الديني أو الفاقة والحاجة, فكان هناك علماء يضيق بهم المشرق فيرحلون إلى الأندلس بعلمهم وينشرونه بين أهله, وكان هناك علماء من الأندلس يعوزهم العلم فيرحلون في طلبه قاصديـن المشرق . مــنهم مــن يكتــفي ويتوقف في

([1]) ينظردراسات أندلسية: عبد الواحد دنون طه, المكتبة الوطنية – بغداد , ط1 , 1968م :ص205.

([2])ينظرالشعر الأندلسي في عصر الطوائف، إحسان عباس :ص413 ،414 .

([3])المرجع نفسه : ص414 ، وتاريخ الأدب الأندلسي, مصطفى السيوفي : ص50.

المغرب, وإن زادت رحلته إلى مصر، ومنهم من بَعُدت همته, وكان لديه عزيمة وصبرعلى مشاق السفرالطويل، فكانت رحلته إلى مصر والشام والحجاز والعراق, وغيرها من مراكزالعلم المشرقيِّ وحواضره أينما وجدت في عالمه الإسلامي, يتبحرون في العلوم المختلفة[1].

كانت الاستفادة أكبر من هذه الرحلات في التعرف على أحوال البلد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية[2].

يتبين من هذا الغرض أهمية الرحلات في توفيرالاتصال مع المشرق, ونقل علومه إلى الأندلس في شتى الاختصاصات، والتطلع نحو الشمول والتنوع فى مختلف العلوم والثقافات, والرحلات لها اتجاه ثان ٍموازٍ، وهو من المشرق إلى الأندلس, فقد كثر الوافدون إلى الأندلس من المشرق, ويقول المقري:((إن الداخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون لا تُحص الأعيان منهم, فضلًاعن غيرهم, ومنهم من اتخذها وطنًا, وصيرها سكنًا, إلى أن وافته منيته, ومنهم من عاد إلى المشرق بعد أن قُضيت بالأندلس أُمنيته))[3]. فمن الداخلين إلي الأندلس وكان له تأثير كبيرعلى الحياة الثقافية بها أبوعلي القالي[4]، لقي ترحيباً واسعاً من الأندلسيين على كافة المستويات, وذلك لما تمتع به من سمعة علمية طيبة, وأكتفي أن أستعرض بعض ما صحبه معه من كتب مشرقية إلى الأندلس، ومدى التأثيرالذي أحدثه عند دخوله إليها سنة(330هـ). جلب معه في الشعر دواوين لاحصر لها, منها على سبيل المثال: ديوان الخنساء والحطيئة وجميل وعلقمة بن عبدة والشمّاخ والأعشى والأخطل وعروة بن الورد وعبيد بن الأبرص وامرئ القيس ودريد بن الصّمّة وعمر بن أبي ربيعة وطرفة بن العبد والمفضّليات ونقائض جرير والأخطل والفرزدق.

ومن الداخلين أيضاً المنيذرالذي يقال: إنه صحابي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو: المنيذر اليماني, ودخل الأندلس أيضًا أميرها موسى بن نصير,كذلك

([1])ينظرالأدب العربي في الأندلس،عبد العزيز عتيق : ص152.

([2])ينظرالرحلات بين الغرب الإسلامي والمشرق، عبد الواحد دنون طه, دارالمدار الإسلامي, ط1, 2005م: ص126.

([3]) ينظر جذوة المقتبس :ص356 ،والذخيرة : ق 4 /م1/124 وما بعدها، والصلة : 2 /603.

([4]) ينظر نفح الطيب: 5/3 – 9 .

حنيش بن عبد الله الصنعاني, دخل من التابعين للأندلس أبوعبد الله علي بن رباح اللخمي، وساعد على نشرعلوم الأندلس في المشرق, وقد مارس بعض الرحالة التدريس والتأديب في مختلف بلدان المشرق, كما اهتم الأندلسيون بمسائل استشارية عديدة من أهل المشرق للتزود بمعرفتهم وعلمهم[1].

ويمكن القول: بأن هذين الاتجاهين عملا معاً في الارتقاء بالأندلس إلى أعلى درجات الثقافة, فأكتملت الشخصية الثقافية الأندلسية فيما بعد, لاسيما في القرن الخامس الهجري على يد ملوك الطوائف, والإمارات المستقلة , والتي كان أكثر ما يميزها أجواء التحرر التام من القيود على الأفكار, وتمكن أهل العلم والأدب من اختيارالبيئات السياسية التي تلائمهم, والتحول عنها إلى غيرها .

ودلالة على ذلك موقف صاحب الذخيرة في اعتزازه وفخره بتلك المكانة الأدبية، وإشادته بما تمهروا فيه من فنون فاقوا بها غيرهم, وحلقوا في سماء الإبداع فاستحقوا الخلود وحكم لهم بالتفرد والامتياز، ومن ذلك قوله في هذا الشأن يصف فيه أهل الأندلس: ((تدفقوا فأنسوا البحور, وأشرقوا فباروا الشموس والبدور, وذهب كلامهم بين رقة الهواء, وجزالة الصخرة الصماء))[2].

تشهد الأندلس منافسة ليس بين الشعراء والكُتّاب فحسب، بل نجدها بين المدن الأندلسية. فلم تعد قرطبة وحدها عاصمة العلم والمعرفة, فهذه أشبيلية عاصمة العباديين أخذت تنافس قرطبة وتجاذبها رداء الفخار وتلك طليطلة وسرقسطة, وغرناطة, والمرية ومالقة, في كل منها بلاط حافل بالعلم والأدب وعلى هذا العهد شعروا بالاستقلال الفكري, وتحرروا من التبعية المشرقية, وشرعوا في مباراتهم ومعارضتهم فبزوهم حيناً وقاربوهم في بعض الأحايين[3].

تميزالأندلسيون بأنهم مفطورون على النباهة في تلقي العلوم؛ فإننا نراهم استجابوا لهذه الثقافة, وما كان لأهل الأندلس أن يصبحوا أدباء إلا بهذا الكم الهائل من محصلات درسهم للثقافة العربية وبخاصة شعرها ونثرها .

([1]) ينظر الصلة : 309/1 ، 310، 520/2.

([2]) الذخيرة : ق 1/م 14/1.

([3]) ينظر ديوان ابن زيدون : ص18.

أشارابن خلدون إلى ذلك بقوله:((وأهل الأندلس أقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة بكثرة معانتهم وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظماً ونثراً وكان فيهم ابن حيان المؤرخ إمام أهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها, وابن عبد ربه والقسطليّ وأمثالهم من شعراء وملوك الطوائف لما زخرت فيها بحاراللسان و الأتدب))[1].

وما نؤكد به صحة قول ابن خلدون, إن بعض القادمين من المشرق يجد صعوبة بالغة في تثبيت قدميه في مجالس الأندلس العلمية والثقافية ما لم يكن على درجة عالية من العلم والفهم والفطنة, وذلك نظراً لحب الأندلسيين للعلوم والآداب وتفننهم فيها, واطلاعهم العميق على جوانبها المختلفة, برغم بعدهم عن عواصم الثقافة في المشرق. فقد ذكرأبوعلي البغْدادي نفسه عند وفادته على الأندلس ما يوحي بارتفاع منزلة الأندلسيين العلمية فقال: ((لما وصلت إلى القيروان وأنا أعتبر من أمرُ به من أهل الأمصار, فأجدهم درجات في الغباوة وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد, حتى كأنّ منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايسة... فقلت: إن نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت في أفهامهم, بقدرنقصان هؤلاء عمّن قبلهم , فسأحتاج إلى ترجمان بهذه الأوطان))[2] ولكنه فوجئ بخطأ تقديراته عند وصوله إلى الأندلس .قال عنه ابن بسّام: ((فبلغني أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجّب من أهل هذا الأفق في ذكائهم ,ويتغطّى عنهم عند المباحثة والمفاتشة, ويقول لهم : إن علمي علم رواية, وليس علم دراية ..))[3].

إن أهل الأندلس بعد أن تكونت لديهم قاعدة فكرية متميزة قامت على سعة الاطلاعات، وكثرة الرحلات, وكثرة الوفود...مع تهيؤ أسباب الاستقرارالنفسي وشعروا أن التقليد والمحاكاة للمشارقة ينبغي أن تتوقف عند حد معين فأهل المشرق

([1])مقدمة ابن خلدون،تح:علي عبد الواحد وافي,ط3, مزيدة ومنقحة, مطبعة دار نهضة القاهرة, د.ط: 1293/3.
([2])الذخيرة : ق1/م 15/1.
([3]) المصدر نفسه :ق1/م1 /14،15.

قد نظروا إلى أهل الأندلس نظرة تكبرواستعلاء, وتكونت في نفوسهم حيرة وبلبلة حين خدعهم السراب من خلال رحلاتهم إلى المشرق[1].

ومن خلال ذلك ندرك تماماً أن مظاهر الخصومة الأدبية بدت في المغرب العربي منذ عهد الأديب ابن عبد ربه, الذي أخذ يحاول مع الاتجاه الأدبي العام في البلاد إلى تكوين شخصية أدبية مستقلة, لها طابعها المميز, وهذه المحاولة كانت في القرن الخامس الهجري- الحادي عشر للميلادي - في رسم الخطوط الكبري لهذه الشخصية الأندلسية, التي بدأت تبتعد عن مواكبة الأدب المشرقي, فكان التنافس شديدًا بين المشرق والمغرب في جميع المجالات الحياتية[2] . إحسان عباس: ((فلما تنبهت الأندلس على شخصيتها في المجال العلمى والأدبي . كان النقد الأدبي دفاعًا عن هذه الشخصية ضد الظلم أو التجاهل أو الاتهام بأن الأندلس ليس فيها أدباء وشعراء))[3].

وفي مقدمة أبو الوليد الحميري الإعلان الحقيقي بمولد الأدب القومي حيث يقول: ((وأما أشعار أهل المشرق، فقد كثرالوقوف عليها والنظر إليها حتى ماتميل نحوها النفوس ولا يروقها منها العِلْق النفيس مع أني استغني عنها ولا أُوج إليها بما أذكره للاندلسيين من النثر المبتدَع والنظم المخترَع وأكثر ذلك لأهل عصر إذ لم تغب نوادرهم عن ذكري))[4].

وفي هذا القرن تبنى نقاد الأندلس قضية إثبات الهوية الأندلسية، وشرعوا يسخرون أقلامهم لتأكيد وجود هذه الشخصية والدفاع عنها, وإذا كان نقاد المشرق قد استنفدوا طاقتهم في بعض المشكلات النقدية الكبرى كاللفظ والمعنى أوالسرقات الشعرية؛ فإن نقاد الأندلس لم يسرفواعلى أنفسهم في الانشغال بهذه القضايا، بل وجهوا اهتمامهم لمشكلات نقدية أخرى الصق بطبيعة الأندلس وحضارته وذوقه[5].

([1])ينظرملامح التجديد في الأدب الأندلسي، مصطفى محمد السيوفي،عالم الكتاب- بيروت، ط1، 1973م : ص25–27.

([2]) نظرالقطوف اليانعة من ثمار جنة الأندلس الإسلامي الدانية : ص295.

([3]) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس :ص473.

([4]) البديع في وصف الربيع، للحميري : ص2 .

([5]) ينظرابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، عبد الله سالم المعطاني : ص9.

إن الأيام والسنين قد جعلت من الأندلسيين أشخاصاً مؤثرين في غيرهم لا متأثرين, بل تواصل وعطاء وإبداع. إن الفكرالأندلسي قد أثر في أهل المشرق, كما أثر في الآداب الأوروبية[1] ((إن أهل المشرق لم يؤثروا في الفرس كما أثرأهل الأندلس في الغرب وبهذا, فقد تفوق الفكرالأندلسي على الفكر المشرقي،إذ تعدّى الحدود))[2].

فالأندلسيون ليسوا تابعين دائمًا, والمشارقة ليسوا متبوعين دائمًا, وإذا لم يكن للأندلسيين غيرُ فن الموشحات, وغير فن الأزجال اختراعاً وابتداعاً لكفاهم فخرًا أن المشارقة يتبعونهم فيها إلى هذا العصر. يرى أحمد هيكل في هذا الصدد، ويؤيده في الرأي الدكتور حازم عبدالله, ووفق المعطيات الزمنية التي يعتمدها الباحثون المتخصصون للتدليل على ظاهرة التأثروالتأثير في مجال الأدب وموضوعاته المختلفة؛ إن ابن شهيد هو من رسم خُطى هذا النوع من الأدب وسبق أبا العلاء المعري, وقاده إلى التقليد[3].

ثالثا ـ العوامل التي ساعدت على انتشار فن المعارضات في الأندلس

ثمة عواملُ متعددةٌ حرَّضت على بروز المعارضات الأدبية وشيوعها لدى الكُتّاب الأندلسيين, وحفزت بعض الكُتاب على معارضة بعض النصوص النثرية, مشرقية وأندلسية , معارضة تشف عن قدرةٍ على المحاكاة, ورغبة في التفوق, وقد أقدمواعلى هذا النمط الجديد إقدامًا جماعيًا تارة , أو فرديًا تاراتٍ أُخَر[4].

1ـ الأمراء والولاة كثيرًا ما يحفز الأدباء للمنافسة ويشجعهم على هذه المعارضات, الأمراء الذين ينقطعون لهم , أوالمقربون من أصدقائهم الذين يودون أن يباهوا ببراعتهم في محاكاة ذلك النص الجميل, والتفنن فيه بصياغة ما يضاهيه أو يتفوق عليه, أو بإظهار القدرة الإبداعية[5], ولبعض الولاة الأندلسيين دوراً كبيراً في تهيئة مناخ المنافسة وخلق روح الإبداع بين الشعراء والكتَّاب, منهم الخليفة المعتضد

([1]) المرجع نفسه : ص 39 .
([2]) ينظر الإنتماء في الأدب الأندلسي,عبد الله بن علي بن ثقفان, مكتبة التوبة, ط1،1996م :ص 41 .
([3]) ينظر أبحاث في الأدب الأندلسي،مقداد رحيم ،دار ومكتبة الشعب - بمصراته, ط1،1994م :ص140،141 .
([4]) ينظر مجلة كلية دار العلوم ، العدد 39، إصدار2006 م.
([5]) ينظر النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري ،علي بن محمد: 2/ 539.

العبادي(ت461هـ)عندما أنشده حبيب الحميري(ت440هـ)مدحيةً دبَّج صدرها بمقدمة رَوْضيَّةٍ, ضادية الروّي يحاكي بها قصيدة للفقيه أبي الحسن بن علي ...حيث أمر بإحضار كُلٍّ من: أبي بكر بن القُوطِيَّة(ت367هـ), وأبي جعفرابن الأبار(ت423هـ)وغيرهما, وأمرهم بمعارضتها[1], ونجد من أبرز الملوك الذين كانت لهم مشاركة فعالة في التأليف, هوالمظفر أبوبكرمحمد بن عبد الله المعروف بابن الأفطس, اشتهر بالأدب والتصنيف فيه حتى قال عنه صاحب الذخيرة: ((أديب ملوك عصره غيرمدافع ولامنازع , وله التصنيف الرائق, والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهراسمه أيضًا بكتاب((المظفر))[2] في خمسين مجلدة, يشتمل على علوم وفنون من مغازٍ وسير, ومثل وخبر, وجميع ما يختص به علم الأدب, أبقاه في الناس خالدًا))[3]. يشيد ابن عذاري بهذا الملك وكتابه فقال: ((كان شاعرًا أديبًا وعالمًا لبيبًا, وبطلاً شجاعًا, وله التأليف الأكبرالمسمّى ((بالمظفري)) ألفه بخاصة نفسه لم يستعن فيه بأحد من العلماء إلا بكاتبه أبي عثمان سعيد بن خيرة، واحتوى هذا الكتاب على الأخبار والسير, والآداب المتخيرة والطرف المستملحة, والنكث البديعة، والغرائب الملوكية, واللغات الغريبة. قيل: أنه اختصر فيه خزائنه الفائقة، لايكاد يوجد له نظير, يكون في نحو خمسين مجلد(كذا) فتصرف فيه تصرفًا بديعًا، ولكبره لايتمكن كل الناس من اكتسابه, فإنه لا يصلح إلا لخزائن الملوك))[4].

وكان لعشق المنصور بن أبي عامر(ت392هـ) للأزهار وتسمية بناته بأسماء بعضها دورّ في استثارة قرائح شعراء بلاطه وكُتّابهِ, فكتبوا القصائد والرسائل التي تدور حول المفاضلة والمعارضة[5] . أما ابنه المظفرعبد الملك بن أبي عامر(ت399هـ) ((فقد اقترح على شعرائه في بعض أوقات الربيع من دولته قطعًا نوَّاريَّة في المنثور وهو الخيريُّ وفي الزهر وغير ذلك من أنواع النوَّار، وكان شديد

([1]) ينظرالبديع في وصف الربيع :ص42،وتيارات النقد الأدبي في الأندلس، مصطفى عليان : ص 426 .
([2])المشهورأنه"كتاب المظفري"بياء النسبة على صاحبه المظفر يدل ذلك نص ابن عذاري,الذي نورده بعد حين .
([3]) الذخيرة : ق 2 /م 640/2.
([4]) البيان المغرب في أخبارالأندلس والمغرب : 236/3.
([5]) الذخيرة : ق 4 /م 1 /47،48.

الإعجاب بذلك كثيرالطلب لأنواعه في مظانّه واجبٌ أن يدخلها قيانه في أغانيهنَّ واكتتب الناس كثيرا منه في وقته لحسنه وغرابته في معناه))[1].

2- النقاد: ذهب أبوعامربن شُهيْد(ت426هـ)إلى أن المعارضة سمة من سمات التفوق, ويقرأن مبدأ المعارضة معيارٌ للتفوق[2], متخذًا منها أداة((يلتمس بها التقدير والتكريم عند مَنْ هم أعلى قدرًا من معاصريه وأوفى شهرة, وأعلى كَعْباً في الأدب بفرعيه : الشعر والنثر))[3], نرى ابن شهيد بموقفه هذا ترك أثرًا إيجابيًا في شيوع ظاهرة المعارضات بصفة عامة, ولم لا ؟ وابن شهيد أسس النقد الأدبي في الأندلس[4].

3 ـ مؤرخو الأدب: كان لمؤرخي الأدب الأندلسي أثرهم الفاعل في شيوع ظاهرة المعارضات النثرية, من بين هؤلاء يأتي ابن بسّام الشنتريني؛ فهو نسيج وَحْدِه, فكان يحمل الرسائل المتميزة لكُتَّاب آخرين مُحَرِّضاً إياهم على منافستها ومعارضتها, ففي تضاعيف ترجمته للوزيرالكاتب أبي محمد عبد الغفور(ت531هـ) يقول: ((وعَرضت عليه رسالة أبي عمرالباجيّ[5] وأبي القاسم بن الجدّ[6] المتقدمتين في صفة المطر بعد القحطِ فعارضهما برقعة قال فيها: ولله جلّتْ عظمتُه أوامرُ تُحيلُ المنيرةَ عن طباعِها، وتسلبُ من حصى المِعزاءِ فَضْلَ شعاعها..))[7].

4 ـ وأضيفُ عاملًا جديداً للعوامل السابقة التي كان لها أثركبيرفي انتشار فن المعارضات وهي القصور؛ فكانت قصور الطوائف منتديات زاهرة, ومجامع للعلوم والآداب والفنون, تتنافس في هذا الميدان وتتسابق , لتسجل روائع المنظوم والمنثور, من ذخر وذكر. ومن بينها ثلاثة قصور، امتازت بنوع خاص بمشاركتها في النهضة الأدبية والشعرية، هي : بلاط بني عباد بإشبيلية , وبلاط بني الأفطس ببطليوس،

([1]) البيان المغرب : 18/3.

([2]) ينظرتاريخ النقد الأدبي عند العرب: إحسان عباس: ص484.

([3]) الأدب الأندلسي- موضوعاته وفنونه،الشكعة :ص641- 642 ،وتيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري : ص315– 317.

([4]) ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي ، عبد الله المعطاني: ص25.

([5]) له ترجمة لأحقة، الفصل الثاني، المبحث الأول،ص100.

([6]) له ترجمة لأحقة، الفصل الثاني، المبحث الثاني، ص111.

([7]) الذخيرة : ق 2 /م 342/1.

وبلاط بني صمادح بالمرية. حفل هذا العصربجمهرة كبيرة من العلماء والكتّاب والشعراء الممتازين, وبعض قادة الفكرالأندلسي, والفكرالإسلامي بصفة عامة[1].

كان لدخول بعض أعلام المشرق إلى الأندلس دافع إلى نهضة أدبية واسعة في مختلف المجالات ؛ وذلك نظرًا لإقبال الأندلسيين على العلوم بشتى أنواعها, وللتشجيع الذي أبداه حكام الأندلس للعلماء والأدباء وللعلوم والفنون, ولعل ما فعله الحكم المستنصر في طلبه لنسخة من كتا ب الأغاني, ووصولها إليه قبل ظهورها في المشرق[2] أكبر دليل على الاهتمام بالثقافة والنهوض بها في الأندلس.

رابعًا ـ بواعث المعارضات :

لأبد من الوقوف على الدواعي الحقيقية التي جعلت من المعارضات النثرية ظاهرة تستحق الدراسة والبحث, وهنا أطرح تساؤلاً وأحاول إيجاد تفسيرات موضوعية له ، ما الأسباب التي دعت كُتّاب الأندلس إلى ابتكار هذا النوع من الفنون؟ وما الذي أدى إلى ظهوره وإزدهاره ؟ ثمة دواعٍ فرضت وجودها على ساحة هذا الفن . فالمعارضات النثرية في حاجة إلى رؤى متنوعة من خلال عدة مسارات تراثية أو فنية, أو اجتماعية, أو تجديدية في آن واحد، وهي فن من فنون النثرالأدبي الأندلسي الأصيل في روحه وموطنه, وظهرت رسائل نثرية مبتكرة كان للأندلسيين فضل السبق فيها, واستطاعوا نقل الموضوعات التي كانت حكرًا على الشعر، وأبدعوا فيها, مثل : وصف الطرد رسالة عبد الحميد الكاتب في وصف الصيد[3] ؛ إذ إنهم نقلواهذا الموضوع عندهم من الشعر إلى النثرابتدعوا لـونًا جديدًا من الطَّرْدِيَّات هو صيد البحر[4] وهذا لون لم يعرفه أدب الرسائل في المشرق.

وعلى الرغم من أن المعارضات محدودة الفترة الزمنية، فأنها جاءت انعكاسًا للبيئة بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية والطبيعية.

([1]) ينظر دول الطوائف ، محمد عبدالله عنان : ص423 , 424.

([2]) ينظر الحلة السيراء ، لابن الأبار: 201/1, 202.

([3]) ينظرجمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ،أحمد زكي صفوت, دارالمطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1971م : 464/2.

([4])ينظرخريدة القصروجريدة العصر، للأصفهاني : 299/2.

1ـ من هذه الدواعى الخروج عن دائرة التقليد إلى نطاق أوسع, وهو نطاق الخلق والإبداع ، وإثبات القدرة الفنية، ومحاولة التميُّز والتفوق. انتشرت هذه الظاهرة بين المترسلين, وهي تشكل جزءًا مهمًا من ظاهرة السلاسل الأدبية التي كانت مألوفة في الأدب الأندلسي في هذا القرن, إذ كانت رسالة تثيرعدة رسائل: لا سيما حين يدخل حلبة النزال كُتاب آخرون بقصد إظهار براعتهم واقتدارهم في القول, ثم مجاراة الرسالة الأصل ومحاولة التَّفوق عليها, ومن هذه الرسائل: رسائل الزهريات, ورسائل الزرزوريات ورسائل المطر بعد قحط[1], وكان لنهوض العلوم والآداب على الرغم من التقلبات السياسية والأوضاع الآقتصادية المتغيرة , نتيجة الحروب والأزمات ،أثرشامل في ازدهار أدب الرسائل، ولقيام دول الطوائف أثر مباشرعلى أدب الرسائل, إذ كانت هذه الدول بحاجة ملحة إلى الكتابة لتدير جميع أمورها ومهامها[2].

2 ـ الوضعية الاجتماعية لها الأثر المباشر في إلهام الأديب من الطبيعة وإدراك كنه الجمال فيها, وانتشار الترف والفقرالذي كان يعيش فيه أهل الأندلس من الأدباء والشعراء أدى إلى ابتكارأجناس أدبية جديدة, فالفقيرالذي يعاني من قساوة الفاقـــة والعوز فلا نراه يعبرعن موضوعات مترفة كصيد الغزلان, أو وصف أواني الذهب والفضة، ومنتديات اللهو والغناء, وإنما يصور في تعبيره الموصوفات التي تدل على حياة الفاقة والبؤس والحرمان, فتأتي كتابته مصطبغة بلون نفسه الحزينة, وقد يدفعه هذا الشظف إلى الزهد في الحياة ، فتشيع الموضوعات الدينية في كتاباته محاولاً أن يرتفع بها عند الله في الأخرة[3], كذلك انصراف ملوك الطوائف ووزرائهم عن مصلحة الأمة إلى المظاهر الكاذبة, وانشغالهم بالمحرمات دور فعّال في شيوع أدب الرسائل وتعدد موضوعاته[4].

([1]) ينظرأدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فايز القيسي : ص147.

([2])ينظرأدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري:ص145.

([3]) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي : مصطفى السيوفي: ص19، 20.

([4])المرجع نفسه: ص144.

كان الرخاء من عوامل إقبالهم على الثقافة والعلم, وتعلقهم بالأدب واقتنائهم للكتب بجميع أنواعها, فهو مجتمع مثقف متأدب, بل كان أكثر مجتمعات أوربا ثقافة وأدبًا في تلك العصور[1].

3ـ الإنقسام والتجزئة إلى دويلات صغيرة, متناحرة ومتطاحنة, سياسياً وأدبيًا وعلمياً, فأصبحت مراكز النشاط الأدبي تتعدد, وهذا التنافس أهَّل لنهضة أدبية رائعة[2], فتفكك المركزية السياسية للدولة الأموية هناك ساعد على انقسام الجانب الفني, الذي يجتذب إليه الكُتَّاب والشعراء حول أصولية النتاج المشرقي, وجعله تابعًا لها ومقلدًا, فالمجتمع الأندلسي بدأ مع الزمن يتجه وجتهه الخاصة به, بعد أن تفاعلت فيه المؤثرات العنصرية المختلفة, وامتزجت معه الثقافات، وسائرالعوامل الحضارية في تلك البيئة الطبيعة النائية والمتميزة ؛ فهوعامل أثر في نشوء هذا التحول نحوالإبداع والاستقلال ، والتحرر من كابوس التقليد والتبعية للمشرق فينمو نموه الخاص به[3].هذا التنافس كان أيضًا بين الكُتَّاب في بلاطات الأمراء, فكل كاتب يرجو التميزعلى أقرانه, ويوضح فضله على غيره من كُتَّاب القصر, ففي هذا يقول ابن حسداي على لسان النرجس مخاطبًا المقتدر بن هود((فأزلْ عنِّي حسدهم بكتبهم , فقد شجاهم تقدُّمي قبل وقتهم...))[4].

4 ـ الطبيعة الأندلسية الخلابة التي امتلأت بالجمال ،سواء في الخضرة أوالماء أو الطيورأوالحيوانات المختلفة أوالزهور أو الثلوج, أثرمباشر في تفكيرهم وكتابتهم ، بل في تنوع الخيال وما عُرفْ عنهم من تجديد وابتكار, فأغرم القوم بجمال طبيعتهم, ولها أثر كبيرفي جذب أنظارالكُتَّاب الأندلسيين, كما جذبت أنظارالشعراءأيضًا, فأقبلواعليها في شغف , فكان لهم خيال رحيب طغى على أقلامهم, وشاع في كتاباتهم فأزدهرت بهذا رسائل وصف الطبيعة ومظاهرها المختلفة, وتعددت ألوانها, وتشعبت

([1]) ينظرتاريخ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة, أحمد هيكل: ص55.

([2]) ينظر الفن ومذاهبه في النثر العربي ، شوقي ضيف : ص325 .

([3]) ينظرالشعروالبيئة في الأندلس، ميشال عاصي, منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشروالتوزيع - بيروت, ط1، 1970م : ص77.

([4]) ينظرأدب الرسائل في القرن الخامس الهجري : ص205.

أغراضها, وقد تجلت هذه الصورة في رسالة(حي بني يقضان)لابن طفيل[1].ولأبي حفص أحمد بن برد رسالة وصف فيها خمسة من أنواع النواوير,غرضه تفضيل الورود وهو أول من سبق ذلك بالأندلس[2], ولأبي الوليد أيضًا رسالة في الرد على رسالة ابن برد, وصف فيها سبعة أنواع وغرضه تفضيل البهار[3], ولأبي جعفر بن الأبّار رسالة في عدة من الأنوار[4].

ويبدو أن الطبيعة الشاعرة ,ظهرت في النتاج الفكري الأندلسي من الشعر والنثر لكُتّاب القرن الخامس الهجري وأدبائه، من خلال هذه الازدواجية التأثيرية بين الطبيعة ونفوس الكُتّاب والأدباء، وله تاثير كبيرعلى طرائق تعبيرهم, فأساليبهم امتازت بالرقة والرمز والايحاء, والخيال المبدع, والتصويرالبكر, واصطباغ الألفاظ بالألوان الوردية التي تنبعث منها روائح الزهور، وهو راجع إلى ولوع الأندلسيين بحب الطبيعة، وشغفهم بظواهرها , فعكف الأدباء عليها يصورونها في أمانة معبرين عن دخائل نفوسهم, وكان تجاوبهم مع هذه الطبيعة روحيًا وفنيًا[5].

5ـ نزعة التفوق والإبداع عند الشعراء والكُتَّاب الأندلسيين، وعَرْفَ ابن رشيق القيرواني الإبداع , بقوله: ((إثيان الشاعر بالمعنى المستظرف والذي لم تجرالعادة بمثله ثم لزمنه هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر)) [6].

إن الإبداع والتفوق هما شغل الأندلسيين الشاغل، فقد عمد الأندلسيون في معارضاتهم إلى إثبات مقدرتهم الإبداعية ,يشيرأحد الباحثين[7] إلى: أن ابن شهيد انتزع إبداعه وإجادته وربما تفوقه انتزاعًا من البحتري الذي صور حاله ((فكأنما غشى وجه أبي الطبع قطعة من الليل وكر راجعًا إلى ناورده[8] دون أن يسلم فصاح

([1]) ينظرجذوة المقتبس ، للحميدي : ص107, والبديع في وصف الربيع، للحميري : ص52، 53.
([2]) ينظرالبديع في وصف الربيع : ص58، 59.
([3]) المصدر نفسه : ص67.
([4]) ينظرملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، مصطفى السيوفي : ص28.
([5]) ينظرالفن ومذاهبه في النثر العربي: 154-146,وملامح التجديد في النثرالأندلسي خلال القرن الخامس الهجري : 21.
([6])العمدة ، لابن رشيق : 265/1.
([7]) مصطفى عليان عبد الرحيم، تيارات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري: 317.
([8]) ماء ورند ؛ والنارد هنا بمعنى(الميدان), ومعناها المعركة, وهي فارسية .

به زهيرأجزته لابورك فيك من زائر, ولاصاحبك أبي عامر))[1]. وهنا لجأ أبوعامر إلى الحوار؛ ليظهر من خلاله إحساسه بالمعاناة من خصومه, ويبرر ما يتهم به، واستطاع ابن شهيد أن يقنع التوابع الذين التقى بهم, بما تميز به من قدرات إبداعية, تدعوهم على الفورللاعتراف بنبوغه[2].

وليست يد ابن شهيد بقاصرة , فنجد له ركنًا مهمًا في الدفاع والمفاخرة , وتعداها إلى التزكية فقام بتزكية رسائله الأدبية عند أرباب صناعة النثر, كالجاحظ وعبد الحميد الكاتب بقوله : ((فبسطاني وسألاني أن أقرأ عليهما من رسائلي, فقرأتُ رسالتي في وصف البرد والنار والحطب فاستحسناها))[3] وكذا في رسالة الحلواء.

هذه الابتكارات والتجديدات في النثر لانكاد نجد ما يشبهما في الأدب القديم, فالرحلة الخيالية إلى وادي عبقر وهي ملحمة نثرية شعرية أبدعها خيال ابن شهيد وسماها(التوابع والزوابع), وقد سبق بها رحلة المعري في(رسالة الغفران),وسبق دانتي في رحلته السماوية وملتون في فردوسه المفقود[4].

6ـ الناحية النفسية؛ فهى الإحساس بالنقص بسبب وضعهم أمام المشارقة, فهذا الإحساس يدفع الأندلسيين إلى كل ما يلاحظ في حياتهم من تبعية وتقليد في الدين والثقافة والأدب, كما يجذبهم إلى التحرر والانطلاق والتجديد, بعد بلادهم عن المشرق ، فيحاولون دائمًا أن يعوضوا ذلك بتأكيد تفوقهم رغم بعدهم عن المشرق, إضافة إلى اختلاط عناصرهم بعناصرأجنبية عن العرب , ما نتج عنه تفتح أعينهم على كثير مما ليس في تقاليد الحياة الإسلامية العربية, وهذه خاصة عقلية امتاز بها الأندلسيون, فهوالذكاء الذي يميل إلى البساطة أكثر ما يميل إلى التعقيد مما جعلهم بذكائهم هذا في طليعة المجتمعات[5].

7ـ التعصب للأدب التقليدي تعصبًا صوريًا فيقبلون عليه، ويهضمون اتجاهاته، ويحفظون مؤلفاته, ويتسابقون إلى عمل نظيره أو أحسن منه, كل هذا مع اختراعهم

([1]) الذخيرة: ق1/ م1 / 257- 258 .
([2])ينظر دراسات في الأدب الأندلسي , محمد سعيد : 289 , 290 .
([3]) الذخيرة : ق1 /م1/ 269، 270 .
([4]) ينظر ديوان ابن زيدون ورسائله،علي عبد العظيم : ص9.
([5]) ينظرالأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، أحمد هيكل : ص53, 54

أشكالًا جديدة من الأدب, وهي تبعد كثيرًاعن تلك الأشكال التقليدية التي يأخذون بها أنفسهم عندما ينظرون إلى أدب المشارقة[1].

وأرجح رأي الدكتورأحمد هيكل في هذين الجانبين من حياة الأندلسيين:الجانب التقليدي الصارم، الذي جاء بدافع حب التفوق على المشارقة ومنافستهم، واثبات القدرة الإبداعية, ثم الجانب التحرري المنطلق الذي جاء من البيئة النائية والأصل المولد والمجتمع المختلط[2].

8ـ تفاني الشعراء والكُتّاب الأندلسيون من أجل الإبداع , ليدفعوا التهمة الموجهة إليهم بعدم مقدرتهم على الإبداع, التي وصفت أدبهم بأنه مجرد تقليد لأدب المشارقة, ويدافع ابن بسّام هذه المرة عن الأندلسيين, ليقرر بأنهم تجاوزوا التقليد الأعمى لأهل المشرق بقوله :((أهل هذه الجزيرة – مذ كانوا- رؤساء خطابة ، ورؤس شعر وكتابة تدفقوا فأنسوا البحور, وأشرقوا فباروا الشموس والبدور, وذهب كلامهم بين رقة الهواء , وجزالة الصخرة الصماء))[3]. منها أيضًا:((أن المعارضات تأتي بدافع الإعجاب والتقدير والمحبة في تقليد السابقين, ذلك لإبراز المقدرة على المحاكاة، وإيضاح القدرة من السابق للاحق))[4] .

9ـ ظهورالروح القومية الأندلسية في الحياة الثقافية, وكان أبو محمد ابن عبد البّرأحد الكُتّاب الذين نهضوا بدورهم السياسي الوطني الصادق, الذي تمثّل بإثارة نفوس الأمراء, ودعوتهم إلى توحيد الصف, وتعبئة الجهود والقضاء على الفتنة في الداخل، ومواجهة الخطر النصراني في الخارج[5],وباتت الروح القومية واضحة في العناية بجمع تراث الأندلسيين , وكتابة تاريخهم، والترجمة لأعلام هذه البلاد في شتى الميادين من علماء، وقضاة، ونحويين، وشعراء، وأدباء، ومفكرين، مثال : عن التاريخ الأندلسي يكتب ابن القوطية وغيره, كما يكتب ابن فرج كتابه (الحدائق)الذي يعارض فيه كتاب(الزهر لمحمد بن داود الإصبهاني ويزيد عليه, وهم مدفوعون إلى

([1]) المرجع نفسه : ص53.

([2]) المرجع نفسه : ص54.

([3]) الذخيرة : ق1 /م1 /14.

([4]) تاريخ المعارضات في الشعرالعربي ، محمد نوفل : ص35.

([5]) ينظرأدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري : ص407

التفوق والإبداع بروح القومية الأندلسية, التي تدعوهم وباستمرار إلى تأكيد ذواتهم وإبراز جهود بلدتهم[1].

10- ثنائية النظرة وأثرها في استقلال الشخصية الأندلسية عن المشرق, وظهورالمصنفات والمعارضات والمناظرات, تلك الثنائية كانت متمثلة في نظرة العرب المشارقة إلى الأندلس, نظرة كبرياء وترفع بحكم أنهم الأساتذة للعقلية الأندلسية دون منازع، كما كان الأندلسيون في حَيْرَةٍ وبلبلة حين خدعهم السراب من خلال رحلاتهم إلى المشرق, فلم يجدوا ما تطلعت إليه نفوسهم وما ارتسم في خيالهم, ولم يجدوا المكانة المرموقة التي توقعوها, فانكفأوا على ذواتهم وبدأوا يتدارسون يؤلفون ويكتبون عن الأدباء والشعراء الأندلسيين, ثم ظهرت المصنفات والمعارضات[2]، والقدرة على خلق أعمال أدبية مميزة، وأعمال أدبية مناظرة ومعارضة لأعمال أدبية مشرقية مميزة، فالمعارضة هي السبيل الذي يمكن الشاعرمن الحصول على المكانة الرفيعة[3].

فالمعارضة النثرية كان لها النصيب الأوفر من الأدب الأندلسي، فعلينا أن نظهر هذا الجانب المغمور ليرى النور، وبذلك تنصهر البواعث جميعها في بوتقة القرن الخامس الهجري, وتتعاون بإحكام في إنضاج صورالأدب والفكرالأندلسي في ذلك العصر, الذي يمكن تسميته بالعصر الذهبي للأدب والعلم في دولة الإسلام بالأندلس.

ومجمل القول: إن المعارضة قامت أساساً على محاولة منافسة النص النموذج وإمالة الناس إلى نص جديد هدفه إعادة نتاج المعرفة, وتخليص الفكر من نص قام عليه كثير من التقديس فترة طويلة, وليس تثبيت فضل السبق هوالباعث الحقيقي لفن المعارضات, ولكن تثبيت فضل الزيادة ،هذا ما قام به الأندلسيون بابتكار فن المعارضات النثرية، وكان لهم فضل السبق فيها، فالمعارضات الشعرية هي التي كانت سائدة في السابق. ويسوقنا هذا إلى التعرض إلى نقطة أخرى وهي الوقوف

([1])ينظر المبحث الأول من هذا الفصل ص48، والأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة: 193،194، 255.

([2]) ملامح التجديد في النثر الأندلسي، مصطفى السيوفي : ص37.

([3]) المعارضات في الشعر الأندلسي، إيمان الجمل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية ،ط1، 2007م : ص60.

هنيهة نستجلي الفارق بين المعارضات والفنون الآخرى التي قد يشكل على بعض مفهومها, أويختلط فيها الأشكال والأنواع .

المبحث الثالث

المعارضات والفنون الأخرى

1ـ المناظرات .

2 ـ المراجعات .

3ـ المناقضات .

المبحث الثالث

المعارضات والفنون الأخرى

نرى الاختلاف بين المعارضات والفنون الأخرى، وإن المعارضة لم تأتِ إلا نتيجة ثقافة أدبية ونقدية واسعة تحلى بها الأندلسيون، ومن الفنون الأخرى ما يلي:

1 - **المناظرات**: يقال ناظرت فلانًا أي: صرت نظيرًا له في المخاطبة[1], وناظره: باحثه وباراه في المحاجة[2], والمناظرة هي ما يأتي على صورة رسالة يدورالحوارُ فيها بين شيئين أوأكثر,أوبين شخصين حول موضوع مُعَيّن, ومنها ما يأتي على صورة أشبه بالمقالة الحديثة , ويبنى على التفاخر والمباهاة بشيءٍ ما , بقصد الإشادة به, وبيان فضائله ومناقبه[3].

استنبط من ذلك أن المناظرة، هي المحاورة بين فريقين حول موضوع, لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر, فلكل فريق حجة لإثبات وجهة نظره، وتتسم المناظرة بنوع من التحدي, ولابد لكل مناظر من طريقة خاصة في تحديد المنهج الذي يناظر فيه .

أما مناظرات الأندلسيين فقد تكون خيالية ,وهي ماجاءت على صورة رسالة, ومن ذلك رسالتان لابن برد الأصغر: الأولى موجهة إلى الموفق أبي الجيش مجاهد العامريّ، ويعقد مناظرة بين السيف والقلم, والثانية موجهة إلى أبي الحزم بن جهور, وفيها يُقدِّم الورد ويفضّله على سائرالرياحين[4], أوتستمد موضوعاتها من الحقيقة والواقع وليس لها علاقة بالخيال, وهي ما يدورحول الإشادة والفخر بمناقب الأندلس, وتفضيلهاعلى ماعداها في كل شيء, ومنها ما تجرى فيه بين مدن الأندلس,وتفتخر كل مدينة بما منحها الله من جمال ومزايا.

([1]) لسان العرب : 14/ 195.
([2]) تاج العروس : 225/14.
([3]) الأدب العربي في الأندلس،عبد العزيز عتيق : ص 469.
([4]) المرجع نفسه : ص 469 ،470 .

2ـ المراجعات: أي رَجَعَ مُرَاجعَةً ورجاعًا: أعاده والرَّجيع من الكلام : المعاد: المردود إلى صاحبه[1]. وكل مَرْدُود من قول أو فعل . يقال: وكلام رَجيع : مَرْدود على صاحبه[2] وهي التي ينطوي مضمونها على ما يتطلب الردّ والإجابة التقليدية العادية التي تقتضيها أصول المبادلات الاجتماعية بين الناس . وغالبًا ما تتضمن الرقعة مطالبة كاتبها بالمراجعة, إذا أراد أن يقيم علاقة ود بمن يكاتبه , كما فعل ابن أبي الخصال, حين راجع ابن بسّام برقعة ودية, أصحبها ما جاد به الخاطر وقتها من نماذج إبداعه[3], فالكاتب يكون حاضرالجواب مُتَّقد الخاطر[4], فالمراجعات تستوجب"استفتاح الخلطة" و"خلطة الود " وهي الجسور التي يقيمها الكاتب لصداقته[5], بعبارة موجزة وأسلوب رشيق[6], بينما المعارضة تدور بين المحبوبة وغيرالمحبوبة من الحركة, أيّ بين الأشخاص الذين تتجلى فيهم هذه الجوانب المختلفة[7]. والمراجعات نوعان :

أ ـ المسلسلات: ومن أشهرها تلك التي تمت بين ابن عباس وابن والتّاكرانّي[8], وبين ابن عبدون وابن الجد .

ب ـ المترادفات : وكل الذي احتفظ به كتاب الذخيرة وهي ثلاث رقاع : إحداها للمنصور بن عامر, صاحب بلنسية[9], والثانية لابن مجاهد[10] , صاحب دانية[11]،

([1]) معجم متن اللغة- موسوعة لغوية حديثة : للشيخ أحمد رضا,دار مكتبة الحياة ،بيروت, ط2، 1958م: ص552– 559، ومعجم العين : 225/1.

([2]) المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى وآخرين , مجمع اللغة العربية – القاهرة : 331/1.

([3]) الذخيرة : ق2 /م 2 /681، 682. حيث حكاية التخاطب الذي تم بين الرجلين.

([4]) إحكام صنعة الكلام في فنون النثرومذاهبه في المشرق والأندلس ،محمد بن عبد الغفور للكلاعي، تح: محمد رضوان الداية،عالم الكتب،بيروت، ط2، 1985م : ص259.

([5]) ينظرالنثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري ,علي بن محمد , 531/1 ، 532.

([6])المعجم المفصّل في اللغة والأدب،ميشال عاصي وآخرين,دارالعلم للملايين , بيروت, د.ط , د.ت: 1142/2.

([7]) ينظر النقد الأدبي، أحمد أمين,دار الكتاب العربي ـ بيروت ــ لبنان,د .ط , د.ت: ص172.

([8]) ينظرالذخيرة : ق3/م 1/ 229- 239. والنثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري :1/ 532 –537.

([9])المصدر نفسه : ق3/م1/149.

([10]) ينظرترجمته لاحقًا.

([11])الذخيرة: ق3/م1 / 150.

والثالثة لمجهول لانعلم من هو[1],بينما المعارضات من أنواعها المطريات, والزّهريات, والزرزوريات, والمعتضديات[2] سوف أتحدث عنها في الفصل الثاني.

3 ـ المناقضات: إنّ المدلول الأصلي لكلمة "النقض"هو:((إفْسَادُ ما أبرمت من عقد أو بناء)).[3] تكون في الشعر والنثر، وفي الشعر نجد لها الكثيرمن التعريفات الأدبية، أما في النثر- حسب اطلاعي - لا أجد لها تعريفًا إلا ما جاء به الأستاذ علي بن محمد، وهو: ((أن يكتب أديب مَا رقعة نثرية يرد بهاعلى كاتب آخر, وينقض الآراء الواردة في رقعته))[4].

لاريب أن المناقضة هي نوع من التحدي الأدبي, والمباراة , و ضربًا من المعارضة , فثبات قدرةٍ على الإنشاء والنَظم مماثلةٍ لقدرة المتحدِّي, فالمعارضة تكون بداعي الإعجاب، والمناقضة تكون بداعي الرد والإفحام, وهذه الرقعة التي وجهها الأديب عبد الله بن سليمان بن الحناط [5]إلى أصدقائه , نجد بها فقرات وصفية يختمها بمقطوعة شعرية, ثم يقول: ((فأنْشِدها أخاك الشُّهيدي, وكلْفه على العروض والقافية معارضتها ,وحمّله على اللين والشِدّة مُقَارَضَتها))[6], ولابن غرسية صاحب(المقالة الشعوبية)رسالة، وجاءتْ مجموعة من الكتب تناقض هذه الرسالة, يذكر منهم صاحب الذخيرة ثلاثة أدباء[7]هم,على الترتيب الذي أوردهم فيه: أبوجعفر بن الدودين[8], فأبوالطيب عبد المنعم القروي[9]، فابن العباس**[10]**، والمناقضة يغلب

([1]) الذخيرة : ق3/م1 / 148.

([2]) النثرالأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ،علي بن محمد : 540/2.

([3]) اللسان: مادة (نقض)،339/14.

([4]) النثر الأدبي في القرن الخامس الهجري: 548/2.

([5])هومحمد بن سليمان الرعيني القرطبي,أبوعبدالله ,ابن الحناط(437هـ)،طبيب شاعر ضريرأندلسي,تفرغ للعلم,غلب عليه المنطق, استقر بالجزيرة الخضراء ,ومات بها, له رسالة سماها "وشى القلم وحكى الكرم" بعث بها إلى الحاجب المظفر أبي بكر بن الأفطس، أورد له ابن بسّام جملة من شعره ونثره . ينظرالأعلام 6/ 149.

([6]) الذخيرة : ق 1/ م 440/1.

([7])هذه الردود موجوة كلها في كتاب "الذخيرة": ق3/م2: 715، 722، 746.

([8])هوأبو جعفربن الدودين البلنسي كاتب شاعر, لقيه صاحب الذخيرة, وشافهه سنة 477هـ بالشبونة, وأملى عليه فيها رسالته التي ردّ بهاعلى ابن غرسية . ينظر الذخيرة : ق3/ م703/2 .

([9]) هوعبد المنعم بن مِنّ الله القروي, كنيته أبو الطيب، كاتب وشاعر, توفي سنة 493هـ. ينظر الصلة :844/3.

([10])هوأبوجعفرأحمد بن عباس، وزير إمارة "المرية" في عهد زهير الفتى، وقتل هو وأميره في غرناطة عام 429هـ . ينظر الأعلام : 1/ 142.

عليها تقابل المعاني ووحدة الموضوع . قال ابن السيد البطليوسي:((إن المعارضات والمناقضات من سبل العلماء وطرائقهم))[1].

ويبدو أن فن المعارضات النثرية قد انتشر وذاع مكانيًا, وتحدُّه حدود جغرافية وسياسية, كما انتشروامتد زمانيًا, واستوقفه عصر وانحصر في الآخر، فإنه امتد وانحصرقليلاً حسبما تفرضه الدواعي الثقافية والسياسية.

من الطبيعي أن لكل مجال أدبي حسنات ومآخذ, أما حسنات المعارضات ومزاياها كالآتي : فالمعارضة تنشّطُ الحركة الأدبية نشاطاً عظيمًا، وتقوي الملكات الأدبية, فيكثرالشارحون والمعلقون, وأهل الرأى والانتصار لهذا دون ذاك[2], وفي مثل هذا الموقف وأخص هنا بالحديث الأدب الأندلسي في أنواع المعارضات النثرية منها على سبيل المثال, المطريات , والزرزوريات , والزهريات والتي بدأها ابن برد, ثم أبوالوليد حبيب, ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد, التي أورد فيها ابن شهيد مقدرته اللغوية وكفاءته على الخلق والإبداع, وإثبات جدارته في النظم والنثر, والنيل من خصومه, وقد تصدَّى لهذه الرسالة جمهرة من المهتمين بالنثرالأندلسي, الذين أثروا المكتبة العربية والأدب العربي إثراءً عظيمًا ما كان ليحدث لولا أسلوب المعارضة في هذا المجال.

من محاسن المعارضات أنها ساعدت في تطورالأدب العربي على مر العصور, وأدت إلى تجديده من نواحٍ مختلفة[3]. تعتبرالرسالة موسوعة تضم شتى جوانب الثقافة، فيصبح عملا خالدًا يعطي لكل جيل حصيلة ذات قيمة ومكانة[4].

من مزايا المعارضات أنها بطبيعتها تساعد على صقل الأفكار، والتنبه لموضوع معين أو فكرة معينة, مما يخلق المادة الأدبية للإعجاب[5] .

([1]) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، محمد رضوان الداية : ص348

([2]) ينظر تاريخ المعارضات في الشعر العربي، محمد محمود نوفل : ص32.

([3]) المرجع نفسه : ص 31 .

([4]) ينظردراسات في الأدب الأندلسي، محمد سعيد محمد : ص 296.

([5]) ينظر تاريخ المعارضات في الشعر العربي : ص 35.

تبقى من مزاياها أيضًا قيمتها في ربط أطراف الحركة الأدبية قديمها وحديثها, وكذا شرقيها وغربيها[1], فنجد الرسالة الهزْليّة لابن زيدون من الغرب عارض بها رسالة التربيع والتدوير للجاحظ في الشرق، وهو ما يزداد تأكيدا من خلال مراعاة الوقوف عند النماذج التطبيقية التي تخدم الظاهرة وتدعمها بالدليل النصي.

عند تعريفي لكل من المناظرة والمناقضة والمراجعة تبين ليّ اختلاف مدلول كل لفظة , وهذا لايعني قطع الصلة بينهم أوالاعتقاد بعدم وجود علاقة بينهم، فقد تشتمل المناقشة الواحدة على الأنواع السابقة هذا من جانب , ومن الجانب الآخر لايتعارض المعنى الاصطلاحي للمناظرة مع الأشكال الموجودة في الموروث الأدبي عند العرب, التي حفل تاريخنا الأدبي بها مثل: المفاخرة[2], والمطارحة[3] والإجازة[4], والمساجلة[5], التمليط[6].

([1]) ينظرالمعارضات الشعرية (أنماط وتجارب) :عبد الله التَّطاوي , دار قباء للطباعة, القاهرة ,1998م, ص98.

([2]) المفاخرة،هي أن يفخر شاعر أو ناثر بذكر مآثره ومآثر قومه, فيرد عليه آخر بمثل ذلك دون التزام البحر والقافية, أوهجاء أونساب أو الالتجاء إلى حكم وإن كان ذلك يقوم في المحافل كثيرًا. ينظر تاريخ النقائض في الشعرالعربي ،أحمد الشايب : ص3.

([3]) المطارحة،المجاوبة والمحاورة والمناظرة بين اثنين أو أكثر في موضع ما , يدلي كل منهما بدلوه فيه, وتكون غنائية وفقهية ولغوية وأدبية . ينظر أقرب الموارد في فُصح العَرَبَّية والشَّوارد: سعيد الخوري الشرتوني ـ مكتبة لبنان ، د.ط ، د.ت :701/1ـ مادة(طرح).

([4]) الإجازة، بناء الشاعر بيتًا أو قسيما يزيده على ما قبله, وربما إجازه بيتٍ أوقسيمٍ بأبيات كثيرة. ينظرالعمدة: 148/2.

([5]) المساجلة،هى أن يتناشد شاعران الشعر هذا يقول شطرا أو بيتًا وذلك شطرًا آخر أو بيتًا آخر. ينظر المعجم المفصل في اللغة والأدب : 147/2.

([6]) التمليط، مالطه, ممالطة, ويسمى الإجازة، وقال الشاعر نصف بيت وأتمَّه الآخر .المعجم الوسيط , مادة (ملط).اللسان: 123/14.

الفصل الثاني

المعارضات الأدبية في النثر الأندلسي

معناها ، مضمونها ، روّادها

المبحث الأول : معارضات الزهريات.

المبحث الثاني : معارضات المطريات.

المبحث الثالث : معارضات الزرزوريات.

المبحث الرابع : معارضات المعتضديات.

المبحث الأول

معارضات الزهريات

أولاً ـ معناها في اللغة .

يقال: زَهْرالسراج والوجه والقمر يزهَر زُهُورًا تلألأ, وزهر الرجل يزهَر زَهَرَا وزهَرُ يزْهُر زُهُورة: كان ذا زُهرةٍ أي بياضٍ وحسن. ازهرَّ النبات نوَّر. وازهرالنبات ازهرارًا، وإزهارًا، زهيرارًا نوَّر.الزَهْر جمع الزَهرة. والزَهْر من الألوان عند العامة الأحمرالصافي المائل إلى البياض. وزهرة الشيء عند المولدين أولهُ وباكورته. ويقولون: فلان زهرة المحضر أي زينتُه. والزَهريَّات من الأيام، أيام الربيع, والزَهْرَة البياض والحسن[1] .

ثانيًا ـ مضمونها.

الزهريات غرض شعري مهم , افتن فيه كثيرٌ من الشعراء , ولكن في الأدب الأندلسي نجد هذا الغرض الشعري قد طرق أبواب الرسائل الأدبيّة.

عرفت الأندلس هذا اللون من فنيات التعبير, والذي لم يقدّر للأدب المشرقي أن يعرفه , وعند المقارنة بين المغرب والمشرق يقول الدكتور مقداد رحيم: ((يبدو لنا أن اهتمام المشارقة بالنّوار والأزهار يتضاءل إزاء اهتمام الأندلسيين ؛ إذْ أنّ الاهتمام بها جاء اهتمامًا شعبيًا في الأندلس, فضلاً عن اهتمام الملوك والحُجَّاب والوزراء والأمراء والقوّاد وعِلْيةِ القوم بها))[2].

فإذا بدأنا بالعامة من أبناء الأندلس, فإننا نجد منهم التغلبي يذهب إلى المشرق, وعندما يعود إلى الأندلس لا يُخفي قصة إعجابه بوردة حمراء رماها سَقَّاء ببغداد في كأس من البلور[3] بهذا لا يُخفي ذوقه الأندلسي الخالص، كما نجد عبد الرحمن

([1]) محيط المحيط , بُطرس البستاني, مكتبة لبنان ، ساحة رياض العلم – بيروت - ط 1987م :(باب الزاي).*

([2]) أبحاث في الأدب الأندلسي, مقداد رحيم : ص132.

([3]) ينظر الحكاية في جذوة المقتبس، الحميدي: ص275، 276.

ابـن شبراق[1] يرى الأزاهير والأنوار حتى في منامه ، إذ يقول: رأيت في النوم كأني في مقبرة ذات أزاهير ونواوير, وفيها قبرٌ حواليه الريحان الكثير, وقوم يشربون, فكنتُ أقول لهم: والله مازجرتكم الموعظةُ , ولا وقَرْتم المقبرة , قال: فكانوا يقولون: وما عرفتَ قبر من هو؟ فكنت أقول لهم: لا. قال: فقالوا لي: هذا قبر أبي عليّ الحكمي الحسن بن هانئ , وإذا أطلّ زمان الورد فلا يجدون أغلى هدية ولا أجمل منه لمن يحبون ويعشقون, ولا يجدون أكثر متعة من مجلس أُنسٍ في حديقة مُنوّرةٍ , أو روضةٍ مُزهرةٍ ,أو قصر يزدان بأنواع مختلفة من الأزاهير والنواوير تُبْهر الناظر, وتأخذ بالألباب, ولذلك نجد أن لكثير منهم[2] جناناً ومنازه خاصة في دورهم وقصورهم , كان يجري لهم في أثنائها المجالسات المحتوية على فوائد الأدب والمتعة, وما يمكن أن توحيه لهم من روائع النصوص في الشعر والنثر.

لقد تميزا لأندلسيون بالإكثار من وصف الأزهار, حتى ألّف حبيب الحميري كتابه "البديع في وصف الربيع"[3], وعندما ألّف ابن سعيد المغربي كتابه "المغرب في حُلِيّ المغرب" قسمه إلى عدة أقسام سمّى كلّ قسم منها كتابًا , استعار أسماء الأزهار والأنوارلجملة من هذه الكتب. منها كتاب الوردة في حلي مدينة "شقندة "[4]، وكتاب "عرف النسرينة في حلي قرية مقرينة " وكتاب "نفحة الورد في حلي قرية ورد", وكتاب عرف النسرين في حلي مدينة شنترين , وكتاب " النفحة الزهرية في حلى مدينة ريَّة ", وهو من الكتب التي يشتمل عليها كتاب المملكة المالقية ، وكتاب "الحلة السندسية في حلي الرصافة البلنسية ", وكتاب "زهرالخميلة في حلي مدينة تُطيلة ", وكتاب نخبة الريحانة في حلي مدينة بزليانة[5].

وألف ابن سعيد كذلك كتابًا تحت عنوان" المقتطف من أزاهير الطرف". كانوا مولعين بذكر أسماء الزهور وحدائقها، ورياضها من خلال عناوين كتبهم و مؤلفاتهم،

([1])هوعبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الحضرميّ، المعروف بابن شبراق(ت413هـ), كان أديبًا وشاعراً, من أهل أشبيلية. ينظر ترجمته في الصلة : 6/ 214.

([2]) مثل أبي القاسم بن حسان الأشبيلي,وأبي بكرمحمد بن قسورة بن زهر الأيادي . ينظر أبحاث في الأدب الأندلسي : ص133.

([3]) ينظرتاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمرابطين: ص194.

([4]) ينظر المغرب في حلي المغرب : 218/1، 219 .

([5]) المرجع نفسه : 1/ 213، 214، 288، 417، 423.

منهاعلى سبيل الذكر لا الحصر كتاب"الحدائق "لأبي فرج الجياني (ت365هـ), و"زهر الآداب وثمرالألباب" للحصري(ت453هـ), و"الحديقة" لأمية ابن أبي الصلت الداني(ت529هـ)وغيرهم[1].

عُرفتْ الزهريات في الشعر في القرن الثالث الهجري في الأندلس على لسان عباس بن فرناس(ت274هـ)[2], وله إسهامٌ فيها في وصف الورد والأقحوان في بيت واحد حيث قال :

ترى وردها والأقحوان كأنه * بها شفة لمياء ضاحِكها ثَغْر[3]**

أما القرن الرابع الهجري، فقد كان قرنًا زاخرًا بالكُتّاب الذين كان لهم اهتمام بالنوريات في الأندلس, من أمثال: ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد, ويوسف بن هارون الرمادي[4], وابن شهيد الأندلسي الشخصية اللامعة في الشعر والنثر, صاحب رسالة "التوابع والزوابع" ،وغيرهم[5].

وفي أواخر القرن الرابع الهجري برز الجزيري ، فهو من المبدعين المولعين بالبحث عن صيغ جديدة , وأول من عالجها من خلال رسالة كتبها للمنصور بن أبي عامرعلى لسان بنفسج العامِريَّة , مُفَضِّلاً إيَّاه على كلِّ من البَهَار والنرجس[6]. فأنشِئتْ رسائل على ألسنة الأزهار, وطورالكُتَّاب هذا الفن ووسعوا مجالاته في القرن الخامس الهجري، حيث شهد هذا القرن تأليفًا في النوريات والزهريات, وخصصت كتب في ذلك كما أسلفت سابقًا. جاء هذا الاهتمام عند الأندلسيين بالمؤلفات عمومًا بتمامها أو بجزء منها , ومن المعلوم أن التأليف في أي فن يأتي بعد وصوله إلى مرحلة النضج والكمال, يقول الدكتورإحسان عباس:((إن ابن الرومي هوالذي افتتح باب المفاضلة))[7].

([1]) ينظر أبحاث في الأدب الأندلسي، مقداد عبد الرحيم : ص137 .

([2])هوأبو القاسم عباس بن فرناس, من أهل قرطبة, من موالي بني أمية, كان فيلسوفًا وشاعرًا, هو أول طيار اخترق الجو, اخترع آلة الميقاته لمعرفة الوقت. ينظر ترجمته في الأعلام : 4/ 264

([3])ينظر جذوة المقبس ، للحميدي : ص318 ، وبغية الملتمس، للضبي: ص431

([4]) ينظرأبحاث في الأدب الأندلسي : ص145.

([5]) ينظرالأدب الأندلسي- من الفتح إلى سقوط الخلافة, أحمد هيكل : ص379

([6]) ينظرالبديع في وصف الربيع : ص 77 - 78.

([7]) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي- عصر سيادة قرطبة : ص110.

وأختلف مع إحسان عباس ، فهذا القول غير مسلَّم به ؛ لأن أول من افتتح باب المفاضلة بين أنواع الأزهار, واستغل القضايا المنطقية في تحقيق هذه المفاضلة والوصول إليها, هوصريع الغواني عندما فضَّل الورد على النرجس بقوله:

كم من يد للورد مشكورة * عندي وليست كيد النرجس[1]**

لتأكيد صحة قولي, والرد على من نهج نهجه, ومن تبعه, أقول: إنّ وفاة صريع الغواني كانت قبل وفاة ابن الرومي بخمس وسبعين سنة, حيث توفي صريع الغواني سنة (ت208هـ) بينما كانت وفاة ابن الرومي سنة(ت283هـ)[2].

مهما يكن من أمر في هذا الشأن من حيث الصدارة في الابتكار، أو من حيث الإبداع والإكثار في التفضيل بين أنواع الزهريات ,فإنّ المشارقة لم يستطيعوا ابتكارهذا النوع من المعارضات النثرية, وهذا الفن كان حكرًاعلى الشعر, أما وصفهم للأزهار والنواوير, فالأندلسيون هم فرسانها, أضف إلى ذلك التنافس القائم بينهم, ما أكسب الحركة الأدبيّة والعلمية أبعادًا جديدة , فالقرن الخامس الهجري هو نقطة انطلاق الزهريات النثرية.

تميز هذا العصر بأقلام لمعت في هذا الفن, منهم ابن أبي الخصال الذي كان له اهتمام كبيرٌ بوصف الأزهار, وله رسالة كتب بها إلى أحد أصدقائه في إهداء طيب, جاء فيها: ((**أعزك الله, لمّا كان ألطف المعاني مأخذًا, وأقربها إلى الأرواح خلوصًا ومنفذًا, ماهبَّ نسيمًا, وسرى شميمًا, وتنافس فيه الأنفاس نشقًا، وتبارت به سبقًا, واستخفته نقلاً, ولم تحمل منه ثقلاً, تجهزت إليك بلطيمة, وفأرة مسك تاجر بقسيمة, مسكٌ يحمل أرج الثغور, ودعج العيون الحور...**))[3].

ففي هذه الرسالة نرى ابن أبي الخصال يصف مجموعة من نباتات العطور كالمسك, والألوى , والكافور, والند , وغير ذلك.

([1]) ديوان صريع الغواني : ص324- 325 .

([2])هو أبوالحسن علي بن جُريج, المعروف بابن الرومي(ت284هـ), كان شعره غير مرتب, له ديوان شعر ضخم، من طبقة بشار والمتنبي . ينظر ترجمته في الأعلام : 297/4.

([3]) ينظر رسائل ابن أبي الخصال ، محمد رضوان الدّاية : ص472.

ولم نجد من يخصص للزهريات الأندلسية بحثًا , أو يقف على دراستها مستقصيًا تاريخها وآثارها, وما يتصل بها على وجه الدقة والتثبيت ، فيّما عدا إشارات يسيرة, لا تخلو من التسرع في إطلاق الأحكام ,على الرغم من أنها تشكل ظاهرة مهمة من ظواهر النثرالأندلسي عند بعض المحدثين للحديث عن الزهريات النثرية.

ومن جملة ما منحته الطبيعة الأندلسية لهم : كثرة الأزهار والأنوار, تتنوّع بين روضة, أو قصر, أومجلس على كثرتها وبشكل يفوق حدود التصور,لا يعقل والحال هذه أن يشيح كاتبٌ أو شاعرٌ بوجهه عن هذه الأزهار والأنوار, وأن يمسك عنان فنه عن الإبدع فيها. فظهرت الرّسائل التي يتعارض فيها الكُتّاب بألسنة الأزهار والرياحين, وهذه الرسائل اعتبرها ردًا على من رأى بأن ليس هناك إبداع وابتكار في الأدب الأندلسي، واعتبره تقليدًا للمشارقة, فاهتمام الكُتّاب الأندلسيين بالطبيعة وبخاصة اهتمامهم بالجزئيات , وهي بشكل مخصوص النوريات[1] بالنسبة إليهم فالأمر متعلق بالإبداع والبحث عن كل ما هو جديد بوجه خاص . لم تجد النوريات لدى كُتّاب المشارقة اهتماماً خاصًا ، كالذي وجدته لدي الكُتّاب الأندلسيين , فابن أبي عون(ت322هـ)[2]عندما ألف كتابهُ "التشبيهات"خصص بابًا في النرجس .

إنّ أغلب ما كان يحرك المعارضات ويدفع إليها هو المفاضلة بين نورة وأخرى, أو بين عدة أنوار, أو بين زهرة وأخرى أو بين عدة أزهار.

شكلت المعارضات والمفاضلات بابًا واسعًا في هذا المجال, وتحتاج إلى دراسة وافية متكاملة[3] . إنّ من يدرس أدب الأندلسيين ويستقري نمط حياتهم يلمس شدَّة ولعهم بالأزهار, وكثرةَ شَدْوِهم بسمات الحُسْن فيها بكل ما تثيره من لون وعطر موضع افتنان الأدب الأندلسي على امتداد القرن الحادي عشر[4].

([1]) نسبة إلى النور, ونور الشجرة زهرها, والنور زهرة النبت, نستطيع أن نسمي هذا الفن(الزهريات) . ينظر تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، تح: محمد سليم النعيمي، منشورات وزارة الثقافة العراق، د.ط ، 1981م : 5/ 375,(في تعريف الزهريات) .

([2])هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي عون أحمد بن المنجم , أديب , من أشياع الشملغاني وثقاته ببغداد له كتاب"النواحي" في أخبار البلدان, و" التشبيهات" قتل صلبًا مع الشملغاني .ينظر الأعلام : 1/ 60، 61 .

([3]) ينظر أبحاث في الأدب الأندلسي : ص157.

([4]) ينظر الشعر الأندلسي في عصر الطوائف : ص 170

هذا الولع أخذ صورًا شتى وأنماطًا متباينة, أهمها ما قام به ثُلة من كُتّاب القرن الخامس الهجري, عندما أخذوا يُجْرون على ألسنة بعض الأزهار حوارات , كانت ذات أهمية في رصد واقعهم الاجتماعي والبوح بما يختزنه اللاشعور من طموحات .

والواقع أنّ ألمع ما قدمه النثرالأندلسي معارضات " الزهريات", وهي ضربان: أحدهما وصفي تصويري, والآخر يقوم على المفاضلة بينها .ونتعرف على هذين الضربين بالتفصيل في مبحث الزهريات من هذا الفصل[1].

([1]) يبدأ من: ص98– إلى نهاية مبحث الزهريات.

ثـالثـًا : روادهـا.

أ- ابن برد الأصغر، نشأته وحياته :

هوأحمد الأصغر بن محمد بن أحمد بن برد، مولى أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن شهيد, يكنى أبا حفص. الكاتب من أهل قرطبة , له حظ وافر من الأدب والبلاغة والشعر, من أهل بيت علم وأدب ورئاسة, بليغ الكتابة, رئيس في الدولة العامرية وبعدها ،وهو أول من سبق بالقول في ذلك بالأندلس, ومحور خطابة, له كتاب موسوم بـ "سرَالأدب وسبك الذَّهب" [1]وصفه ابن بسّام بأنه فَلَكَ البلاغةِ الدَّائر, ومثلُها السّائر, ووصفه بالنظم والنثر. لحق جده أبا حفص ابن برد الأكبر وقرأ عليه[2]. رحل من قرطبة إلى المرية, بقى بها حتى بعد الأربعين وأربعمائة. فاستوزره المعتصم بن صمادح, ثم رحل إلى مجاهد بن عبد الله صاحب دانية[3].

- **ومِنْ شعره:**

تأمل فقد شَقَّ البَهارَ مغلسًا*كمِاميه عن نوارهِ الخضِل الندِى[4]**

مدَاهنُ تبْر في أنامل فضَّة* على أذرُع مخروطةٍ من زبرْجدِ[5]**

قال عنه ابن بسّام: ((وأكثر شعر ابن برد مليح, متمكن القوافي، لا تكاد له قافية تخرج من مركزها))[6].

- **من نثره** :

نقلًاعن ابن سعيد قوله: ((وجعله الحجاري[7]فوق جده في النثر, قال: ((وأما النظم، فلا أستجيزأن أجعله بينهما أفعل))[8].

([1]) ينظرترجمته في الذخيرة : ق1/م1/ 486 ، والصلة : 74/1، وجذوة المقتبس : ص115،116، 119، وبغية الملتمس : 207/1، والمُغرب في حُلي المغرب : 86/1. وما بعدها، ونفح الطيب: 546/3.

([2]) الذخيرة : ق1/م1/ 486.

([3]) المُغرب في حلي المغرب : 1/ 91، وجذوة المقتبس : ص115.

([4]) الشطر في الذخيرة ،ق1/م1/519 : "كمائمه عن زهرهِ الخَضِل الندِي".

([5]) بغية الملتمس : 208/1.

([6]) الذخيرة : ق1/م2/ 771.

([7])هوأبوعبدالله بن حيون الحجاريّ,نسبة على وادي حجارة ,توفي بقرطبة(305هـ).ينظرجذوة المقتبس: ص41.

([8]) المغرب في حلي المغرب : 90/1، 91.

له فصول في التحميدات ، فصل: ((الحمدُ لله الذي علا وقهر, وبطن وظهر, وبحكمته قدَّر وأمر, وبعدله قدَّم وأخَّر)) [1].

له أيضًا رسالته الموسومة بـ(السيف والقلم)والمفاخرة بينها, كتبها إلى الموفق أبي الجيش مجاهد, ورسالته في النخلة, ورسالته المسماة بالبديعة، وفي وصف القلم والمداد[2].

●**وفاته :** توفي سنة (428هـ)[3].

1- الرسالة الأولي ـ زهرية ابن برد :

هي رقعة طريفة كتبها الوزير أبو حفْص أحمد بن محمد بن بُرْدٍ إلى الوزير أبي الوليد بن جَهْورَ, وصف فيها نواوير خمسةٌ, وغرضه في هذا تفضيل الورد على سائرالأزهار, وموضوع المعارضة هوالمدح، لم يذكرها ابن بسّام كاملة, تخفيفًا للتثقيل، وفيها يقول :

((**أمّا بعد , ياسيِّدي ومَنْ أنا أفديه, فإنه ذكر بعضُ أهل الأدب المتقدمين فيه, وذوي الظرف المعتنين بمُلح معانيه, أنَّ صنوفًا من الرياحين, وأجناسًا من أنوار البساتين, جمعها في بعض الأزمنة خاطرٌ خَطرَ بنفوسها..لم يكن لها بدٌّ من التفاوض فيه والتحاور, والتحاكم من أجله والتناصف, وأجمعتْ على أن ما ثبت في ذلك من العهد, ونَفَذَ من الحِلْفِ, ماض**على **من غاب شخصه...**))[4].

اتخذ ابن برد الأصغر في هذه الرسالة القالب القصصي إطارًا, ومن الحوار المشوب بنفس خَطابي أسلوبًا, ومن السمو بالورد إلى مرتبة الصدارة من(انتقاص للنفس)أقدمت عليه بقية الزهور- راضية طائعة- وغاية يسعى إلى تقريرها.

بدأ الكاتب رسالته بداية تستدعي مناخًا حواريًا, من بثٍ لدفء الواقع في تضاعيف موضوعاتهم، التي تتسم أحيانًا بالجفاف والإيهام , فجاءت أحداث معارضته الخيالية مَرْويّة بإسنادها لبعض المبدعين فقال:((**ذكربعضُ أهل الأدب المتقدمين فيه, وذوي**

([1]) الذخيرة : ق1/م1/ 491 . وما بعدها.
([2]) المصدر نفسه : 495, 523،535.
([3]) الصلة : 74/1، وبغية الملتمس : 207/1.
([4]) الذخيرة : ق 2/م1 /127.

الظّرفِ المعتنين بمُلح معانية, أن صنوفًا من الرياحين, وأجناسًا من أنوارالبساتين جَمَعَها في بعض الأزمنة...))[1].

نجد الأزهار جميعاً تتبارى على اختلاف ألوانها وأشكالها في مبايعة الورد بالرئاسة والتسليم له بالفضل, ما يضفي على هذه المعارضة بُعدًا رمزيًا, ويلحقها برسالة السيف والقلم, التي وجهها ابن بُرْد الأصغر إلى الموفق أبي الجيش مجاهد العامريّ[2]؛ أراد أن الورد يرمز به إلى ابن جهور نفسه , ليميزه عن حكام الطوائف الآخرين في ظلِّ احتدام المنافسة السياسية بينهم, أما الأزهار فيرمز بها إلى الأدباء والأمراء أو من يقومون بمنافسته على السياسة.

كما تنادتْ الزهور لعقد اجتماع, نابع من رغبة جماعية ملحة وصادقة لمناقشة خاطرخطر بالنفوس, وهاجس هجس في الضمائر, يتطلب الحوارحوله والبَتُّ فيه قدرًا كبيرًا من الاحتشاد والاجماع ؛ فتنادت الأزهارالمختلفة للتحاور في أحوالها. ويقول في ذلك: ((**خاطر خطر بنفوسها ,وهاجس هجس في ضمائرها, لم يكن لها بدّ من التفاوض فيه والتحاور, والتحاكم من أجله..))**[3] . عندما أرادواعقد الاجتماع وقع الاختيارعلى أطيبها بقعة, واتخذوا منها موطنًا لاجتماعهم المهيب ,يقول الكاتب الحميري: ((**فتخيرت من البلاد أطيبها بقعة, وأخصبها نجعة**[4]**، وأظلها شجرًا, وأغضرها زهرًا, وأعطرها نَفَس ريح, وأرَقها دَمْعَ...))**[5].

من خلال جلسة تُشِيعُ بها أجواء خطابية , يقوم حكيم مملكة الزهور مفتتحًا جلسة المبايعة بالتطرُّق إلى حكمة المولى -عز وجل - الذي جعل المخلوقات على اختلاف أنماطها وأشكالها, وتباين سُبل الحياة لديها درجات متفاوتة, اتخذت من الحكمة الربانية وسيلة للوصول إلى غايةٍ ثلاثية الوجه: تهيئة الحضورلقبول فكرة المفاضلة أولاً, وتعزيز الإحساس بالقدرة على المنافسة ثانيًا, ثم مبايعة الورد مَلِكًا لمملكة الزهور أخيرًا, يقول الكاتب: ((**إن الله تعالى اللطيف الخبيرالذي خلق المخلوقات**

([1]) الذخيرة : ق 2/م1 /127.
([2]) المصدر نفسه ق2/م1/ 127.
([3]) المصدر نفسه :ق2/م1/ 127.
([4]) النَّجعةُ : المَذْهَبُ في طلبِ الكلأ في موضعه.اللسان : مادة (نجع)،199/14.
([5]) البديع في وصف الربيع : ص53، وهي فقرة يتفرد بها البديع عن الذخيرة .

وذرأ البريّات، بَايَنَ بين أشكالها وصفاتِها، وباعد بين مِنَحها وأعطياتها. فجعل عبدًا وملكًا, وخلق قبيحًا وحسنًا...واتَّسَقَ[1]على لطف قدرته الجميع، فجعل لكلٍّ واحد منها جمالاً في صورته, ورقةً في محاسنه...وادَّعَيْنا الفضْلَ بأسره, والكمال باجمعه، ولم نعلم أنَّ فينا مَنْ له المَزيَّة علينا, ومَنْ هو أولى بالرئاسة منّا,وهو الورد الذي إن بذلنا الإنصاف من أنفسنا...))[2].

يُظهرابن بُرْد الأصغرأهمية الدورالكبيرو الإيجابي للورد في الاصلاح بين الأحبة، وبين القلوب المتنافرة ، قائلاً:((**حتى سفرنا[3] بين الأحبة, ووصلنا أسباب القلوب**))[4], وثمة إشارة مدح للورد وردت في سياق المفاضلة حين وصف الكاتب الورد بأنه من أهل الحسب والكرم, ومن أهل المكانة الرفيعة حيث يقول:((**هوالأكرم حسبًا, والأشراف زمنًا**))[5] .

لمَّا استشعر حكيم مملكة الزهورأن حُكْمه السابق يفتقر إلى دليل , أخذ يبحث عن جوانب التفرُّد التي يتسم ويتميز بها الورد, إذ يقول ((**إنْ فُقِدَ عَيْنُهُ لم يُفقدْ أثرهُ ، أو غاب شخصه لم يَغبْ عَرْفُه, وهوأحمرُ والحُمَّرةُ لونُ الدم, والدم صديق الروح, وهو كالياقوت المنضد, في أطباق الزبرجد[6]وعليها فرائد العسجد[7], وأما الأشعار فبمحاسنه حَسُنَتْ..))[8].**

وهنا يبين الكاتب أن الورد إن غاب شخصه فإنّ رائحته الزكية لم تغب, وأنه يضفي جمالاً على الأشعار, ثم ينعث الورد بالحمرة , والحمرة لون الدم , ونرى الكاتب اختاراللون الأحمر، وهو لون الدم ؛لأن الدم يجري في العروق، ويروي الجسم والروح, وبتوقف تدفق الدم في الجسم تنتهي حياة الإنسان, ونجد قوة دلالية وايحاءات كثيرة في هذه القولة: ((**والدم صديق الروح**)), فيرمي ابن برد الأصغر

([1]) ا تَّسَق : اجتمع. اللسان :مادة (وَسَقَ)،213/15.
([2]) الذخيرة : ق2/م1 /127، 128.
([3]) سفرنا : سَفَرَ / أصلح .اللسان: مادة(سفر)،197/7.
([4]) الذخيرة : ق2/ م1/128.
([5]) المصدر نفسه : ق2/ م1/ 128.
([6]) الزَّبَرْجُد : الزَّمُرُّذ .اللسان: مادة(زبرجد)،11/7.
([7]) العسجد : الذهب. اللسان: مادة (عسج)،144/10.
([8]) الذخيرة : ق 2/ م1/ 128.

إلى الإيماء بأن صاحبه متفرد بين الرؤساء والأمراء , تفرد الورد بين النَّوار بهذه الصفات , وأن هذا التفرد يجب أن يؤخذ بالتسليم الكامل للورد.

وما إنّ انتهى حكيم مملكة الزهور من سرد حيثيات تفضيل الورد على ما عداه ، حتى تدافع عدد من المشاهير من**"رؤساء الأنوار والأزهار"**[1] للإدلاء بشهادة تضيف أدلة جديدة تستند على التصاغر أمامه ونقد النفس, حيث شرع كل واحد منها في وصف محاسنه والتغنيِّ بها , لكن مازال يرى نفسه صغيرًا أمام الصفات التي ميِّز بها الله تعالى الورد , فيبدأ ابن بُرْد بالنرجس[2], ثم البنفسج[3], ثم البهار فالخيري النَّمَّام[4], مُجْريًا على ألسنتهم حديثًا يعكس قدرته على صياغة أسلوب جدلي يستمد اتساقه من أدلة عقلية دقيقة , ولا تخفى علينا الحالة النفسية الطيبة التي أملت علي الكـاتّب أن يقيم بأوصافه "مجلس للمبايعة " تشترك فيه الأزهار والأنوار,وقد استغل الكّاتب الخصائص الطبيعية لكل من الورد , والأزهار, وكُلَّ نَوْرٍ حضرهذا المجلس يؤدِّي شهادته ويدلي بوجهة نظره في مبايعة الورد . اتخذ ابن بُرْد من الانتقاص الذاتي للزهور وسيلة لتتويج الورد .

فقال النرجس الأصفر: ((**والذي مهَّد لي حِجْرَ الثرى, وأرضعني ثَدْيَ الحيا**))[5]**. وفي قوله:**((**لقد جئت بها**))[6], أي جئت بها بفضل الورد, **أي** أحسنت إقامة الدليل، وإقامة الموت دون لقائه ؛ لأنّه قلما أن يجتمع النرجس والورد.

ثم قام البنفسج فقال:((**على الخبيرسقطت**[7]**,أناوالله المتعبّد له, والداعي إليه,** المشغوف **به , وكفى ما بوجهي من ندوب, ولكن في التأسي بك أنس**))[8].

([1]) الذخيرة : ق2/م1/129.

([2])هو نبت تُشَبَّه به العيون, وأصلهُ بصل ,وورقه شبيه بورق الكُرَّات الإ أنها أرقٌ وأصغر, ثمره سوداء كأنها في غشاء مستطيل. معرِّب نَرْكِس بالفارسية , الواحدة نرجسة. ينظر محيط المحيط(باب النون) : ص 887.

([3])البنفسج معرَّب بنفسّة بالفارسيِّة نبات من نجوم الأرض ينبت في الأماكن الظليلة زهره اسمانجونيُّ اللون زهري عطرالرائحة يزرع للزينة, وهو من الأدوية الصدرية. ينظر محيط المحيط(باب الباء): ص 56.

([4]) الخيّري: نبات معرّب وهو المنثور الأصفر . زهري يستخرج دهنه لتحليل الأورام, وهو زيِّت ينقع فيه زهر الخيّري في زجاجة, وتوضع في الشمس أيامًا. ينظر محيط المحيط,(باب الخاء) : ص 363.

([5]) الذخيرة : ق2/م1/ 129.

([6]) المصدر نفسه : ق2/م1/129.

([7])مجمع الأمثال، للميداني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية، بيروت، د.ط ،2011م: 2/ 236 . مثل يضرب لمن تكلف أمرًا لا يحسنه, أو قصر فيه.

([8]) الذخيرة : ق2/م1/ 129.

وقام البهارالذي سلّم بالطاعة والمبايعة للورد؛ إذ يقول:((**لا تنظرُنَّ إلى غضارة منبتي, ونضارة ورقي ورقتي, وانظروا إليّ وقد صرتُ حدقةً باهتةً تشير إليه, وعينًا شاخصة تندى بكاءً عليه**))[1].

ولولا كثرة الباكين حولي *** على إخوانهم لقتلتُ نفسي[2]

ثم قام الخيّري فقال:((**والذي أعطاه الفضل دوني, ومدَّ له بالبيعة يميني, ما اجترأ اجترأت قط إجلالاً, واستحياءً منه**)) [3].

تبلغ قدرة ابن بُرْد غايتها من دِقة إحكام وبراعة إخْراج, عندما يجعل الخَيْري النَّمَّام يكتم عبيره نهارًا, ويبوح به ليلاً, متخذًا من الليل ملجأ ومنزلاً له ؛ لا لأن هذه طبيعته التي فُطِرَعليها, بل إكباراً للورد واستحياءً منه, فقال علي لسان الخَيْري النَّمَّام: ((**والذي أعطاه الفضلَ دوني, ومَدَّ له بالبيعة يميني, ما اجترأتُ إجلالاً له واستحياءً منه, على أن اتنفسَ نهاراً...فلذلك جعلتُ الليلَ سِترًا, واتخذتُ جوانحه كِنّا[4]فلما استوت...**))[5].

وألاحظُ على هذا المجلس التخاطبي في طبيعة الحوار الدائر بين هذه الأنوار العطرة ، فهو"انتقاص للذات" فكل نوع يسجل على نفسه هذه النقائص, مقابل ما للورد من فضائل, وهو انتقاص يدل على المعاناة الحقيقية. فالنَّرجس الأصفر يتحدث عن نحول جسمه, وسقم أعضائه[6].والبنفسج يشيرعلى ما بوجهه من ندوب[7]. أما الخيري فهو من شدّة إجلاله للورد, يكتم أنفاسه, ولا يستطيع أن يتنفس نهارًا[8].

ثم ينتهي المجلس بكتابة عقد مبايعة للورد يكون شاهدًا على صدق مملكة الزهور, تنص هذه المبايعة على معنى الخضوع التام والمطلق, الذي يبلغ حد الرق والعبودية؛ حيث يقول الأديب:((**هذا ما تحالفتْ عليه أصنافُ الشجر, وضروب**

([1]) الذخيرة : ق2/م1/ 129.
([2]) ديوان الخنساء، تح : درويش الجويدى,المكتبة العصرية , بيروت, ط 2009م : ص121.
([3]) الذخيرة : ق2/م1 /129.
([4]) الكِنّ : ما يَرُدَّ الحَرَّ والبرْدَ من الأبنية والمساكن. اللسان : مادة (كنن)،122/13.
([5]) الذخيرة : ق2/م1/129.
([6]) المصدر نفسه : ق2/ م1/ 129.
([7]) المصدر نفسه : ق2/م1/129.
([8]) المصدر نفسه : ق2/م1/129.

الزهر...وعرفتْ أنه أميرُها المقدَّمُ لخصاله فيها، والمؤمّر لسوابقه عليها ، **واعتقدتْ له السَّمْعَ والطاعة , والتزمتْ له الرِّقَّ والعبودية**)) [1].

وأعلنتْ مملكة الزهور،والأشجار التبرؤ من كل نَوْرٍ يرفض هذا العَقد, أو يخالف له. هذا العقد الذي اتفقتْ عليه أصناف الشجر, وضروب الزهرالمختلفة, وكذلك(السمي)مطرالربيع الأول, إذ يقول الكاتب: ((**وبرئت من كل زهرٍ نازعته نفسه المباهاة له**)) [2], واتبع الكاتّب الإيحاء بالمهابة والطاعة مع توخي الحذر, " **الانتزاءَ**"[3] أي في حالة الخروج على إمارته, وأسلوب تذكير نستشفه من: ((**فأية زهرة قصَّ عليها لسانُ الأيام هذا الحِلْفَ فلتعرف أنَّ رشادَها فيه, وقوامَ أمرها به**)) [4], والضمير هنا للحلف والعهد المأخوذ , اعتقدت له السمَّع والطاعة .

في مجلس حاشد من مشاهير الأزهار, ورؤساء الأنوار، النرجس الأصفر، والبنفسج والبهار، والخيري النَّمَّام , تمت فيه الغلبة لأسطعها حجة، وأوضحها محجة, وأحدها لسانً, وهو الورد الذي أصبح رئيسًا لمملكة الزهور, وتمت له المبايعة بالرئاسة, وكتابة عقد لهذه المبايعة , اعترفت الأزهار دون تردد أو حقد بزعامة الورد, وما يلاحظ على هذه الرسالة أسلوب التفضيل والتغليب .

حَفَّزَتْ الرسالة السابقة لابن بُرْد , قرائح ثلاثة كُتَّاب معاصرين له, وهذه المعارضة لا تخلو من الرغبة في الغلبة, وهم : أبوالوليد إسماعيل بن حبيب الحميري المُلقَّب بحبيب , وأبوعمر يوسف بن جعفرالملقب بابن الباجيّ, وأبوالفضل بن حسداي الإسلامي, فعارضوها بثلاث معارضات , أهديت إلى اثنين من ملوك الطوائف, اثنان للمقتدر بن هود ملك سَرَقُسْطَة(ت474هـ)[5], وواحدة للمُعْتَضِدِ العبَّادي(ت461هـ)[6].

([1]) الذخيرة : ق2/م1/ 130 .
([2]) المصدر نفسه : ق2/م1 /130.
([3]) المصدر نفسه : ق2/ م1/ 130 .
([4]) المصدر نفسه : ق2/ م1/ 130.
([5])هو أحمد بن سليمان محمد بن هود, الملقب بالمقتدر بالله. من ملوك الطوائف بالأندلس, ثاني ملوك آل هود ، توفي بسرقسطة. ينظر ترجمته في البيان المغرب :3/224- 227، والأعلام : 1/132.
([6])هو المعتضد بالله أبوعمرو عباد بن محمد بن عباد, والد المعتمد بن عباد, حكم إشبيلية. ينظر ترجمته في الذخيرة : ق2/م1/23, المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص151,ونفح الطيب : 4/227.

ب- أبوالوليد إسماعيل بن محمد بن عامر، نشأته وحياته:

أبو الوليد إسماعيل بن محمد الحميري، الملقب بحبيب, وقال ابن الأبار إن أباه كان يلقب بذلك, الوزيرالكاتب بإشبيلية , ولأبيه قدم في الرئاسة عند المعتضد, وهذا بفضل أدبه, أشار إلى ذلك ابن بسّام في الذخيرة[1]، وصفه ابن الأبار: ((كان آية في الذكاء والفهم والبلاغة))[2].

●مؤلفاته:

له كتاب سمّاه بـ(البديع في وصف الربيع)، جمع فيه أشعار أهل الأندلس خاصة, من أدب غزير، وكان آية في تجويد الشعرعلى حداثة سِنّهِ[3].

● من شعره :

وقـهوةٍ لايـجيدها مُبصِرْ * رقت وراقّتْ في أعيُن النُّظَّر**

إذا رنْتْ فالسرورُ مُبْتسمٌ * وإن نأتْ فالسرورُ مستعبرْ**[4]

●من نثره :

وفصل منه: ((فصل الربيع آرجُ وأبهج, وآنس وأنفسُ, وأبدعُ وأرفعُ, من أن أحُدَّ حُسْنَ ذاته , وأعُدَّ بديعَ صفاتِه , وهو مع سماته الرائقة, وآلائه الفائقة, لم يعن بتأليفها أحد, وما انفرد بتصنيفها منفرد))[5].

●وفاته :

توفي ابن اثنتان وعشرون سنة قريبًا من سنة(440هـ)[6]((وقال ابن سعيد ابن تسع وعشرين عامًا...ولم يطل به العمر طويلاً ؛وذهب ابن سعيد إلى أن المعتضد هو الذي قتله, وله أخ اسمه محمد بن محمد بن عامر, وهو شيخ أبي بكر بن العربي))[7].

([1]) الذخيرة: ق2/م1/ 124، 125، وجذوة المقتبس : ص162، والمُغرب، لابن سعيد : 1/ 250.
([2]) ينظر البديع في وصف الربيع، الحميري. مقدمة المؤلف: ص(و).
([3]) الذخيرة : ق2/م1/ 125.
([4]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 133.
([5]) المصدر نفسه: ق2/م1/ 125 .
([6]) الذخيرة: ق 2/م1/125، والبديع في وصف الربيع، مقدمة المؤلف: ص(و)،وجذوة المقتبس : ص162.
([7]) المغرب في حلي المغرب : 250/1.

المعارضة الثانية ــ زهرية إسماعيل بن محمد حبيب[1]:

وهي رقعة عارض بها رسالة ابن الأصغر،و مشتملة على وصف سبعة أنوارهي: البنفسج , والنّرجس، والخيريِّ النَّمّام, والأقحوان[2], والخيريِّ الأصفر, والبهار[3], والورد ، وغرضه الردِّ بتفضيل البهارعلى الورد , وموضوعها المدح, خاطب بها المُعْتَضِدِ العبادي وهي المعارضة الصريحة الوحيدة من بين هذه المعارضات الثلاثة ؛ إذ ذكر ابن بسّام الشنتريني في معرض تقديمه لها قوله:

((**ووجدتُ لأبي الوليد...رسالة عارض بها أبا حَفْص بن بُرْد...وقد اقتضبْتُ من الرسالتين قبْضَ فصول, تخفيفًا للتثقيل, وجمعًا للشمل, ومقابلة للشَّكل...**))[4].

اعتمد الحميري في بناء معارضته علي أسلوب القص والحوار؛ **إذ** يقول: ((**فأوَّل من رأى ذلك الكتاب, وعاين الخطاب, نواوير فصل الربيع التي هي جيرة الورد في الوطن, وصاحبته في الزمن, ولما قرأته أنكرتُ ما فيه, وبنت على هدم مبانيه, ونقض معانيه...**))[5], ويشيرأبوالوليد إلى الكتاب يقصد به عقد المبايعة بين الأزهار, ويبدأ الكاتب معارضته بإشارات توحي بالارتباط القوي بين الورد ونواوير فصل الربيع المجاورة للورد مكانًا , والمعاصرة له زمانًا، والألفاظ الدالة هي(**الجيرة - الوطن- الصحبة -الزمن**), ولكن حبيب الحميري يرى أنَّ اختيارالورد هي خطيئة ارتكبت؛ لأنّه وصفه بما لا يستحق, ووضعه في موضع لا يستأهله.

ويقول الكاتب: إنّ أول من اطَّلع على عقد لواء الرئاسة للورد نواوير فصل الربيع, ولها موقف ورأي يخالف ما ذهبتْ إليه الأزهار في المعارضة السابقة من مبايعة للورد. وقد دعت تلك الأزهار إلى مجلس للمعارضة والمفاخرة ، فكتبت إلى الأقحوان والخيريِّ الأصفر كتابًا تُخالِفُ فيه عقد لواء الرئاسة للورد , وعزمت على

([1]) الذخيرة : ق2/ م1 /127.

([2]) الأقحوان، هو نوعان نوع ينبت في الجبال الباردة جدًا ونوع يزرع في البساتين, فما كان مزروعًا، فهو الأقحوان. وورقه يشبه ورق الخيري الأصفر, ينظرنهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري : 3/ 234.

([3])هونباتٌ طيب الريح جعدٌ ينبت أيام الربيع ,ورده أصفر الورق أحمر الوسط أسمن من ورق البابونج. المعجم الوسيط: مادة(بهر)،73/1.

([4]) الذخيرة : ق2/ م1/ 127.

([5]) المصدر نفسه : ق 2/م1 /130.

اسقاط هذه الإمامة, ونقض ما عقد منها, **ويقول الكاتب:**« **لواستحقَّ الورد إمامةً أو استوجب خلافةً لبادرتها أباؤنا ولعقدها أوائلنا التَّي لم تزل تجاوره في مكانه, وتجيء معه في أوانه**» [1], وهي إشارة إلى حداثة عهده بالخلافة.

وقد اتفقت تلك الأزهارعلى أنَّ البهار أحق بالرئاسة والتقديم على سائرالنّوار, واعتمد الكتاب على الاستدلال العقلي واتخذه وسيلة, « **وهو نَوْرُ البَهار البادي فضله بُدُوَّ النَّهار والذي لم يزل عند علماء الشعُّراء وحكماء البلغاء مُشبَّهًا بالعيون التي لا يحول نظرها ولا يحور حَوَرها**» [2], ونصَّبته إمامًا عليها, وخاطب(حبيب)برسالته تلك المعتضد في إشبيلية.

نجد الكاتب يستفيد من الخصائص الطبيعية للبهار والورد في اثبات ما يذهب إليه، فالبَهَارُ مُشبَّه بالعيون, في حين أن أفضل تشبيهٍ للورد الخدود, والفرق بينهما كبير وواضح بين الخدود والعيون, فالعيون من الحواس, وليست الخدود منها, يقول في ذلك: « **وأفضل تشبيهٍ للورد بنضرة الخدُّ عند من تشيَّعَ فيه؛ وأشْرَفُ الحواسّ العينُ, إذ هي على كلِّ مُتَوَّلٍ عين, وليس الخدُّ حاسَّة, فكيف تبلغه رئاسة ؟**»[3], واحتجَّ حبيب على ابن بُرْد في تنصيبه للورد, ورأى بأن البهار أعلى منزلة من الورد؛ لأن البهار يشَّبه بالعيون, وهي أشرف الحواس, بينما يشبّه الورد بالخدّ, وليس للخدِّ حاسة.

أينَ الخدودُ من العيون نفاسة * ورئاسةً لولا القياسُ الفاسِدُ**[4]

ورأى حبيب أن يضفي على هذه الأدلة التي أوردها في المعارضة في تفضيل البهارعلى الورد, أبياتًا شعرية من هجاء ابن الرومي للورد في الشعر الطائي, وألصق به العيوب بالإيماء إليه, ولم ترد الرسالة كاملة وذكر ابن بسّام أنَّ حبيبًا الحِمْيَريَّ طوَّل فيها وختمها بمبايعة الأزهار للبهار.

([1]) الذخيرة : ق 2/م131/1.

([2]) المصدر نفسه : ق2/م131/1.

([3]) المصدر نفسه : ق2/م131/1.

([4]) البيت لابن الرومي, وأصل البيت : أين العيون من الخدود نفاسة...ورياسةً لولا القياسُ الفاسد ؟
الديوان، شرح وتحقيق: عبد الأميرُ علي مَهنّا ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ط2، 1998م: 162/2.

جـ - أبُوعُمَرَ البَّاجي، نشأته وحياته:

هو يوسف بن جعفر المعروف بابن الباجي, والباجي: نسبة إلى باجة إحدى مدن الأندلس القديمة, فقيه جليل القدر,رحل إلى المشرق وحجّ ,وعاد إلى الأندلس, كاتبًا لسانه لؤلؤ مكنون, ولاح نجمه في سماء المعالي, ونال حظوة عند المقتدر بالله وعند أهل سرقسطة , ثم بعد ذلك رحل عنهم, وحن إليهم شوقًا[1].

● **من شعره** :

سَلامٌ عَلَى صَفَحاتِ الكَرَمْ * عَلَى الغُرر الفَارِجَاتِ الغُمَمْ**

عَلَى الهِمَمِ الفارعاتِ النجوم* عَلَى الأيمُنِ الغامراتِ الدَّيَمْ[2]**

ويقول عنه ابن بسَّام: أنسلَ أربعةً من حَمَلَة الأقلام وفرسان الكلام, أولهم جدُّه يوسف, وابنه جعفر بن يوسف, وعبد الله ويوسف ابنا ابنه جعفر, ويوسف هو المكنى بأبي عمر. كان أبوه أول من كتب صدر الفتنة المؤرخة في كتاب الذخيرة، كان آخرهم يحيى بن إسماعيل بن ذي النون, توفي سنة خمس وثلاثين[3].

● **من نثره:**

له رسائل في أوصاف مختلفة . منها رقعة عن ابن هود إلى المعتضد: ((**كثرت- أيدك الله- محامِدُكَ فصارت زادَ الرفاق, وأشرقت محاسِنُكَ فَرَمَتْ بساطع نورها إلى الآفاق, ففي كل سبيلٍ طليعة من ثنائكَ مرحل, وفي كلّ أفق بريدٌ من أنبائك..**))[4].

●**وفاتـه:** توفي سنة(520هـ)[5].

المعارضة الثالثة - زهرية أبُوعُمَرَالبَّاجي[6]:

عارض بها رسالة ابن برد الأصغر، وهي معارضة ذهب فيها أبوعمر إلى تفضيل البهار أيضًا في رسالة كتبها إلى المقتدر بن هود, وقال أبوالوليد: ((ويُسمَّى

([1]) ينظرالذخيرة : ق2/م1/ 186، وقلائد العقيان : 300/1 . والمغرب في حلي المغرب : 405/1.
([2]) قلائد العقيان :301/1.
([3])الذخيرة : ق2/م1/186.
([4])المصدر نفسه : ق2/ م1 / 187, 188.
([5]) ينظر المغرب :405/1.
([6]) الذخيرة : ق2/م1 / 194 ,195.

البَهارُالنَّرْجِسَ, وأكْثرأشْعارالمَشْرقيّين اسْمه فيها النَّرجسُ, وأمَّا الأندلُسيّون فاستعملوا الاسْمَيْن وذكروا اللُّغتيْن)) [1], وغرض ابن البَّاجي من المعارضة هوالتذكير بالذات, والتميّزعلى الأقران, والتخلص من حقد الحاقدين: ((**أطالَ الله بقاءَ المقتدرمولاي وسيّدي, ومُعْلي حالي ومقيمِ أوّدي، وأعاذني من خيبة العناء, وعَصَمني معه من إخفاق الرجاء, ولاأشْمَتَ عدوّاً من الرياض يناصبني, وحاسدًا من النواوير يراقبني...**))[2].

بدأها البَّاجي بالدعاء للمقتدر بالله: ((**أطالَ الله بقاءَ المقتدر بالله مولاي وسيد**))[3], فابن الباجي يجعل البَهارَ يخاطب المقتدر بن هود(ت474هـ) شاكيًا تعدّي الورد عليه واغتصاب مُلكِهِ, طالبًا أن ينتصر له، ويَرُدَّ إليه ما اغتُصِبَ منه, وتبدو في هذه المعارضة منافسة شديدة بين البهار والورد: ((**ولا أشْمَتَ بي عدوّاً من الرياض يناصبني, وحاسدًا من النواوير يراقبني, وقد علم الوردُ موقعَ إمارتي, وغنَي بلطِيفِ إيمائي عن عبارتي...**))[4]. فهو يتودّد للمقتدر، ويشير إلى الولاء, ويطمع أن يحسنَ إليه ويكرم وفادته, فهو مناط كل إحسان, فقال: ((**أتيتُ في أواني, وحَضَرْتُ وغاب أقراني, ولم أخْلِ من خدمتك رُتْبتي ومكاني...**))[5],ويبحث عن استدارة عاطفة ابن هود, وذلك بإثبات ولائه وطاعته له ؛ إذ يقول: ((**وأنا عَبْدٌ مُطيع مُسَخَّر, ومملوك يتصرف مدبَّر, حقيقٌ بأن يُحْسَنَ إليَّ فأدنَى...**))[6]

وصرح البَّاجي مفتخرًا بذاته على بقية الأزهار والورد, وأن يقربه الخليفة منه؛ لأنَّه حقيق بالتكريم والتقديم, وأنه أهل للجود والكرم, لما امتاز به من صفات نادرة في الشكل واللون والرائحة, والتذكير بمواهبه الخاصة نديمًا ومسامرًا فهوأحق من غيره في نيل هذه المكانة, **فقال:** ((**وجديرٌ بأن يُهْتَبَلَ بي ولا أجفي؛لأني سابقُ**

([1]) البديع في وصف الربيع : ص96.
([2]) الذخيرة : ق2/ م1/ 195.
([3]) المصدر نفسه : ق2/م1 /194.
([4]) المصدر نفسه : ق2/م1 /194.
([5]) المصدر نفسه: ق2/م1/194.
([6]) المصدر نفسه : ق2/م1/194.

حَلْبةِ النّوار, وأوَّل طلائع الأزهار..ونضارُ[1]الروّض ولجينه, وقائدُ الظَّرفِ وفارسُهُ, وعاقدُ مجلس الأنس وحارسهِ...))[2], ويشير إلى أنّه أول السباقين والحاضرين إلى مجلس ابن هود وحلبته.

بعد ذلك اتجه الباجي ليفصح عن رغبته في نيل الحظوة والتكريم, والإشادة بصفات السلطان ومدحه , للتقرب إليه، وكسب عطفه؛ فيقول:((**فهل لمولاي أن يُحسنَ إليَّ صنيعًا, ويُكرم النّوْرَ جميعًا, ويدنيني فأرقىّ إلى أختي الثريَّا سريعًا في مجلس قد أخلصته سحائبه...وجهك بدره, وغُرَّتُكَ فجره, وأخلاقك زهره, وثناؤك دُرُّه وعطره...))**[3].

نرى البَّاجي في فقرة أخرى من هذه المعارضة , يشاكل بينه وبين البَهَار في صفة أخرى من صفاته, وهذه الصفة لا يختص بها البهار وحده, وإنّما أراد أن يكسب قلب ابن هود, وينال مراده معبرًا عن إحساسه بقصر العمر وقرب أجله, ما جعله يحرص على اغتنام هذه الساعات التي يعيشها يقول في هذا الشأن:((**ولو صَلُحَ الكَمَدُ لأحدٍ لكنتُ أنا أحقَّ مَنْ لَزِمَهُ, وأثْبَتَ عليه قدَمَهُ, لأني سريعُ الدُّبول, وشيكُ الأفول, لا يصحبني الظهورُ إلا قليلاً, ولا أمْنَحُ من مَتاع السُّرور إلا تعليلاً ,غيرَ أني مُغْتَنِمٌ لساعاتي, آخِذٌ من الأُنْس بقدر استطاعاتي...))**[4]. ثم يتحدث الباجي عن أزمته الخاصة, ويعبرعن همومه الذاتية, وإهمال ابن هود له , فشعر بذلك بعد إنَّ كان قديمًا حائزًاعلى منزلة كبيرة , ويرى الكاتب قد يكون هذا الاهمال لكبر سنه ، أو لوشايات الوشاة الحاقدين عليه , جاء تعبيره عن تقلب حال ابن هود اتجاههِ في قوله:((**وقديمًا أكرمني مولاي فلا يهنَّي, ووصلني فلا يصرمني, ومنحني فلا يحرمني))** [5]. فكانت غايته استرضاء ابن هود , واستعادة دوره الذي تميزّ به بين أقرانه , وختم الكاتب معارضته ببيت من الشعر:

([1]) النُّضار: الخالص من كل شئ خاصة الذهب والخشب. اللسان: مادة (نضر)282/14.
([2]) الذخيرة : ق2/ م1/ 195.
([3]) المصدر نفسه : ق2/ م1/ 195.
([4]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 195.
([5]) المصدر نفسه : ق2/م1 / 195.

لا تُهنّي بعدما أكْرَمْتَني * فشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَهْ[1]**

د – أبُوالفَضْل ابنُ حَسْداي، نشأته وحياته :

هـو أبـو الفضل حسـداي بن يوسـف بـن حسـداي بـن إسحاق، نجم في سرقسطة في ذرا دولة ابن هود، وجرى في ميدان البلاغة والأدب, من بيت أشراف اليهود بالأندلس، متصرف في دولة ابن رزين, كان له في الأدب باع, وبرع في علم العدد والهندسة والنجوم , نشأ أبوالفضل هضبة علاء, وجذوة ذكاء.

اهتم في إقليم رُزين بأنواع التعليم, وتناول شتى الفنون, فطارت الكتابة باسمه, فكان أحد كتاب عصرالطوائف , وأسلم , كان سبب إسلامه أن جارية ذهبت بلبه, وغلبته على قلبه, فجنّ بها جنونه, وخلع إليها دينه[2].

لم يكن له بالشعر فضل اهتمام وعناية , وقدر صفة أبوعبد الرحمن بن طاهر في فضلٍ من خطاب خاطب به المقتدر بن هود , يقول فيه:« **والوزيرالكاتبُ أبوالفضل, وحيدُ الفضلِ وينبوعُ النبل, وما عداه قول القائل:**

إن أبا الفضلِ له فَضْلُه *** وأين في الناسِ فتىً مِثْلُه[3]

- **من شعره :**

وَأطرَبَنـا غَيْمٌ يمـازحُ شَمْسهُ * فَيُسْتَرُ طَوْرًا بالسَّحابِ ويُكَشـفُ**
تَرى قُزحَاً في الجوّ يَفتحُ قوْسَهُ* مُكبًّا على قُطْنٍ من الثَّلج يُندَفُ[4]**

- **من نثره :**

له رقعة إلى رزين:« **كنتُ أرتاح إذا ومضَ من أفقه البسام بارق,أو ذرَّ من سمته الوضّاح شارق, فأ قتصرُ من تلقائه على استنشاق نسيم, وأنّي لي من عرار نجدٍ بشميم...ويصون عيون الحوادث عن كماله بمنّه** »[5].

([1]) الذخيرة : ق2/م1 / 195.
([2]) ينظرالذخيرة: ق3/م1/ 458, 459، والمغرب : 2/ 441 ،وقلائد العقيان : 545/2 وما بعدها، ونفح الطيب : 535/1- 640 ،294/3.
([3]) الذخيرة : ق3/م1/ 459.
([4]) المصدرنفسه : ق3/م1/490.
([5])المصدر نفسه: ق3/م1/ 459.

المعارضة الرابعة- زهرية أبي الفضل بن حسداي.

عارض بها ابن برد الأصغر، كتبها إلى المقتدر بن هود على لسان النرجس, غايته فيها أن ينال حظوة من ابن هود, وأن يتغير حاله بالقرب منه, وهي رقعة ذات طابع قصصي ورمزي؛ إذ يقول: ((**أنا–وصل الله بهجة سلطانك, ونضرة َأوطانك- إذا لحظتني بعين الاعتبار, قائدُ النَّوار...))**[1].

بدأ ابن حسداي معارضته فجعل النّرجس يتحدث بنفسه لابن هود بعرض خصاله، ويعددها وما يمتاز به على سائرالأزهار والأنوار:((**قائد النوار، ووافد الأزهار, وأنا لها جالبٌ وهي طاردة, ومبشر بورودها, وهي مُيْئسة متباعدة, فإني غلبت, بما في طبعي من التيقظِ والذكاء ,خُلْدَ التراب وصُرّدَ الهواء**[2] **فقمتُ عن ساءة))**[3].

هذه المعارضة لاحقة بمعارضة ابن الباجي, وجارية في سياقها, إلا أن ابن حسداي لم يجر الحوار بين النَّرجس والأزهار، بل أجراه بين النَّرجس ورجل ظريف من خواص الأمير ابن هود , ليكون وسيطًا له لقربه منه, فاختلفت عن معارضة الباجي في طريقة التخاطب والحوار, وعَبّرعن ذلك بقوله:((**حتَّى أوتيحَ لي ظريفٌ من خواصّك يقصدني, ونبيلٌ من عبيدك يعتمدني, فأوجستُ حَذرًا وتشوّقًا, حتَّى أنَّسني بالكلام تألّفًا, وقطفني بغير إيلامٍ تلطفًا, وحاورني بلفظٍ يلقنه النَّوار))**[4].

اختار ابن حسداي النَّرجس؛ لأنه كان زاهيًا بنفسه شاعرًا بحسنه وتفرده , فمرَّ به ظريف, فبادر إلى تأنيسه, وملاطفته حتى ألف قلبه, ثم قطفه دون إيذاء وألم, ولاحظ سوء حالته فأشفق خادم الملك عليه وحاوره , قائلاً:((**يا أيها الزهرُالفاردُ والنَّورُالشارد, الساحر بحدقه وأجفانه, الناظرُ بورَقِهِ وأغصانه, الباهر بورَقِهِ وَعِقْيانه**[5]**، ما لي أرى قُضُبَكَ غبرًا ذابلة, ومنابتَكَ شعثاً ناحلة...وقد ساءني ما عاينتُ من ضناك ونحولك...))**[6].

([1])الذخيرة : ق3/م1 / 470.

([2]) صُرَد الهواء: وهو السحاب البارد الذي لا ماء فيه.اللسان: مادة (صرد)،222/8.

([3]) الذخيرة : ق 3/م1 /470.

([4]) المصدر نفسه : ق3/ م471/1.

([5])عِقْيانُ : بالكسرذهبٌ يَنْبُتُ، وقيل الذَّهب الخالص. اللسان : مادة (عقا)،239/10.

([6]) الذخيرة : ق 3/م1 / 471.

كما شاكل ابن حسداي بينه وبين النرجس, وسعى إلى إثبات تفوقه على أقرانه, فوصف نفسه بأنه:((**قائد ُالنّوّار, ووافدُ الأزهار**))[1], وغلبها بما في طبعه من التيقظ والذكاء, وفضل الورد((**سيد الأزهارطرًّأ**))[2] , وأختلف عن أبي الوليد إسماعيل, الذي جعل النّرجس يعترف للورد بأنه سيد الأزهار, ويقدمه على نفسه ولاءً وطاعةً.

ذهب ابن حسداي مذهب حبيب الحميّري في الحجة التي ساقها في تفضيل البهارعلى الورد, وزاد عليه إذ قرن توردُّه بالخجل إذ رأه صفة معيبة، فقال:((**وفضلتُ الوردَ سيّد الأزهار طرًّا, وتورّدُهُ شاهدٌ خجله، وتسثُرهُ من الحياءِ في أكمّته وكلله, فلي عليه فضلُ العيون على الخدود وشرفُ السيّد على المسود**))[3].

يصورالكاتب لحظة رؤية هذا الظريف للنرجس, وقد ساءه ما عاين من ضناه ونحوله , وماعاناه من الظروف الصعبة , حيث تجلى هذا التأثر في ذلك الحوارالذي دار بين ظريف والنرجس , فلم يجد إلاّ أن يسارع وسيطًا وإشفاقًا من ذبوله ومجاورته((**للنبات الهشيم**))[4], لينقله إلى ابن هود((**جَنَابِ السُّرورالمقيم**))[5] , حيث يسعد: ((**بالفوزالعظيم, باستلام ِراحةِ الملك الكريم**))[6]. ولم يذكر ابن بسّام في الذخيرة رد النَّرجس على ظريف ؛ لأنه لم يورد المعارضة كاملة.

عاد النَّرجس يفتخر بنفسه وبذاته ,ويتغنى بكريم أوصافه ,وأشار إلى المكان الذي تتمناه الجموع، والمنزلة التي تحلم بها جميع طوائف البشر. معبرًاعن ذلك , **قائلاً:** ((**فليت الرياض تعلمُ بمكاني فتذبل كمدًا, وتذوَي حَسَدًا, وتراني وقد أثَرْتُ في أفقك البهيج, وزهرتُ في روضِكَ الأرج**))[7].

حذا ابن حسداي حذو بعض سابقيه في بثّ همومه, والشكاية من حسد الحاسدين, الذين نقمواعليه لتقدُّمه عليهم , حيث يرجو من الملك التميزعلى أقرانه, ويرجو منه أيضًا أن يقسوعلى الذين يكيدون إليه المكائد, ويكدرون مشربه من الحاقدين

([1]) الذخيرة : ق3/ م1/ 470.
([2]) المصدر نفسه : ق3/ م1/ 470.
([3]) المصدر نفسه : ق3/ م1/470 , 471.
([4]) إشارة إلى قوله تعالى:﴿فَاصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاح﴾ . سورة الكهف ، الآية:(44).
([5]) الذخيرة : ق 3/م1 / 471.
([6]) المصدر نفسه : ق 3/م1 / 471.
([7]) المصدر نفسه: ق3/م1 / 471 , 472.

والواشين, ويظهر فضله على غيره من كُتَّاب القصر,فقال على لسان النرجس: ((**فكم تمنَّى الأزهار أن تضام لديكَ مَطالِبِي, وتكدَّر في ذِرَاكَ مَشَاربي فأزلْ عنِّي حَسَدهم بكتبهم[1] فقد شجاهم تقدَّمي قبل وقتهم...**))[2].

يختم الكاتب معارضته بخطاب يمتزج فيه المدح بالرجاء بقصد الوصول إلى غايته في نيل حظوة ابن هود، فقال: ((**فلا تُضعْ أيها الملكُ سَبْقَ تقدُّمي, وحقّ مَقدَمي, فقد أشخصتُ طرَفِي إليكَ آمِلاً, وبَسَطتُ نَحْوَكَ كفّي سائلاً, وحسبي أن تلْاقيني ببشرك، وتناجيني بفكرك, فننبّه العزمَ[3]من وَسَنه[4], وتنشرَ الحزم[5], من جنَنه, فلك من براعة العلا, وأصالة النَّهى, ذكاءً يَري لأوّلِ اقتداحِ زنْدُهُ, ومضاءٌ يفري بأيسر هزَّ حدُّه,ولديك من مناهلِ الكرم, وفواضِلِ النعم, ما يزري بالمُزن[6],ويوفي على الديم**:

فانفُخْ لنا من طيبِ خُلْقِكَ شيمة *** إنْ كَانتِ الأخْلَاقُ مِمَّا توهب

وروّ برح ظماي, وانقع صداي[7], ولا تكلْ إلى الأنواء سقياي[8].

يمكن القول إنّ المعارضات الزهرية من أشهر نصوص الأدب الأندلسي . فقد احتفل بها احتفالاً عظيمًا إلى غاية عدّها نتاجًا أندلسيًا بحتًا ، فهي تكشف عن براعة الكُتَّاب في التنافس والاحتجاج والجدل , ما يدل على تأثرهم بأسلوب الحوار والجدل، وأخذت الزهريات منحى رمزيًا , لعل الذي مكن لهذه المعارضات الزهرية الذيوع هو ما عُرِفَ عن الأندلس من جمال الطبيعة الخلابة , وبهاء المروج وكثرة الزرع وخصوبة الريّع , وافتتان الأمراء والملوك والخلفاء باتخاذ القصور,والاعتناء بالبساتين, وأقاموا حول هذا الجمال الرباني موضوعًا أدبيًا للبراعة والإبداع .

([1]) ضمنّه من بيت للمتنبي في قصيدة يمدح فيها سيف الدولة، الذي يقول فيه :

أزلْ حسدَ الحُسَّادِ عني بكبتهم *** فأنتَ الذي صيّرتهم ليّ حُسَّدا

ديوان المتنبي،بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري وأخرين , دار المعرفة ، بيروت ، د. ط ، د. ت : ص534.

([2]) الذخيرة : ق3/م1 / 472.

([3]) العزم :عقد القلب على الشيء، توظيف من قوله تعالى:﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾. سورة طه، الآية: (112).

([4]) وسنه: وسن :غشي عليه, أي بمعني استيقظ ،توظيف من قوله تعالى:﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.سورة البقرة، الآية :(253).

([5]) الحَزْمُ : ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة.اللسان: مادة (حزُم)،108/4.

([6]) تضمين من قوله تعالى:﴿ءانتُمْ أنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾. سورة الواقعة، الآية: (72).

([7]) انقع صداي : أي إنّ الشَّراب الذي يُتَرَشَّف قَليلاً قَليلاً أقْطَعُ لِلعَطَش وأنْجَع. اللسان: مادة(نقع)،342/14.

([8]) الذخيرة : ق3/ م1 /472.

فمنذُ أن أطلق الجزيري البنفسج وجعله يقاضي البهار والنّرجس, طفق أدباء الأندلس يعارضون هذا اللون الأدبي الرقيق , ويناقضونه. فجاءت معارضة ابن بُرْد الأصغر من أجودها على الإطلاق ؛ لما وفره لنصه من تمهيد جيد كسب إقناع المتلقي والرئاسة على عقد مكتوب لهذا الغرض, فكانت معارضة خَطابية ؛ إذ إنها تتم في مجلس يحضره أنواع من النباتات العطرة , كل نوع يلقي كلمته التي تؤيد هذا الاختيار ثم ينسحب، ولا مكان للخصام فيها ؛ لأن الأطراف متوافقة في الرأي.

لاحظتُ على وردية ابن بُرْد الأصغر, أنها الزهرية الوحيدة التي لم يتناول فيها صاحب الشأن الكلام, بل جعل الأديبُ الأنواع الأخرى هي من يثني على الورد, ويطالب بمبايعته .

أمّا المعارضات الزهرية الأخرى فقد أسقطت إدارة الحوار المتعدد, واكتفتْ بجعل من اختارته من أنواعِ الرياحين يتناولُ الحديثَ مطالبًا بأحقيتهِ في الفضل والتقديم.

أوشك ابن الباجي في بهاريته, وابن حسداي في نرجسيته أن يقضيا على لطافة ورمزية هذا النوع من الأزهار, عندما لم يستطيعا كظم اندفاع طموحاتهما , ويعبَّران عَمَّا يحسُّان به من حياة البؤس, وهما يخاطبان دوائر الحكم؛ ونتيجة للتملق إلى الملوك قد دُفِعَ الكُتَّاب الأندلسيون إلى تفضيل ملك بعينه على غيره من ملوك الأندلس، فيتخذ من وردة أو زهرٍ معين رمزًا لأميره وولي نعمته , فجاءت هذه المعارضات صدىً عميقًا للحالة السياسية لملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري، كانت هذه المعارضات سببًا في ظهور التنافس, والحسد الذي كان بين الكُتَّاب في قصور الأمراء, وهذا ما لاحظته عند ابن الباجي في بهاريته, وابن حسداي في نرجسيته ، فالنرجس هو الذي يتحدث إلى الملك.

لمستُ في معارضة ابن بُرْد الأصغر, أن طريقة بناء ورديته تجعل القارئ للزهرية يستعيد قصة المسرح الإغريقي , والتعبير عنه بالنحت والرسم ؛ لأن ابن بُرْد جعل النواوير شخصيات تتحاور, توحي للناظر أن هذه صيغة تخريجية لإظهار فن المسرح بعد إخضاعه للمعالجة التراثية المحلية, واستطاع ابن برد أن يبدع في هذا الجانب الأدبي؛ فقد شَخْصَ الطبيعة وبثَّ فيها الحركة والحياة.

المبحث الثاني

معارضات المطريات

أولاً : معناها في اللغة.

المَطَرْ: الماء المنسكب من السَّحاب , والمَطَرُ: ماء السحاب. والجمع: أمْطارٌ. ومَطرٌ: اسم رجل سُمّي به من حيث سمي غَيْثًا قال لامَتِك ينبتُ مطر ما أنت وابنَة مَطرْ. والمَطَرُ: فِعْل المَطَر. ومنه قوله تعالى :((وأمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ))[1]. أي جعل الحجارة كالمطر؛ لنزولها من السماء. يقال: ذهب البعير،ولا أدري من مَطَرَ به. أي أخذهُ , وقيل: مَطَرَ في الخير والرحمة، وَأمْطَرَ في الشرِّ والعذاب[2].قال: القوم أصابهم بالمطر, ومنه في قوله تعالى:﴿وأمْطَرْنَا عَلَيْهم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُالمُنذَرِينَ﴾[3].المَطَرُ: ماءُ السَّحاب . أمطارٌ . ومَطَرتْهُمُ السماءُ مَطَرًا: أصابتهُمْ بالمطر.

ثانيًا : مضمونها.

هي المعارضة التي توجه عناية خاصة للأوصاف , وتقوم على الموازنة والمقابلة بين حالتي الأرض في الجدب والخصب , وغالبًا ما تفتعل هذه المعارضة قصة أو موضوعًا يكون وصلة ينفذ الكاتب من خلالها إلى غرضه الأساسي في الوصف, وتعبرعن صفة الأرض حالة جدبها وقحطها, وعادة ما تجرالمعارضة الواحدة معارضات أخرى, حين يدخل حلبة النِزال كُتّاب آخرون بقصد إظهار براعتهم واقتدارهم في الوصف , ثم مجاراة المعارضة الأصل, ومحاولة التفوق عليها, عُني الأدب الأندلسي- شعرًا ونثرًا- بالاهتمام بظاهرة المطر وتداعياته , أوردها ابن بسّام في ذخيرته , تحت عنوان"صفة مَطَرً بعد قُحطٍ"[4].

المطريات غرض نثري, من أغراض الرسائل الوصفية المفضلة - في القرن الخامس الهجري- وللمطر مكانة خاصة في تصورات العربي, وله منزلة كبيرة ؛ إذ

([1]) سورة هود، الآية :(81).
([2]) اللسان، مادة:(مَطَرَ)،90/14، 91.
([3]) سورة الشعراء، الآية : (173
(4) الذخيرة : ق 2/م1 / 196, 289, 342 وما بعدها.

تتيح للكاتب مجالاً خصبًا للوصف؛لأن المطرعند العرب هو الحياة وقد أسموه - الغيث, أما القحط فهو الموت المحقق عندهم, وعبرالعربي عن إحساسه العميق والتغني به , والتفنّن فيه: نجد الكاتب- غالبًا- يقسم المعارضة إلى فواصل ثلاث كالآتي :

- الأولى : تبدأ بالتسليم الكامل لقضاء الله وقدره.
- الثانية: وصف الأرض حالة جدبها وقحطها، وحالة الناس في مثل هذه الظروف الصعبة.
- الثالثة : وصف الأرض حالة اخضرارها وازدهارها غب هطول المطر...وتختم الرسالة بحمد الله وشكر نعمه.

في هذا الشأن ينصب اهتمامنا على ثلاث معارضات لألمع الكُتَّاب يتنافسون على ذكر ما يكون للغيث من أثر بعد القحط والجفاف, ويعد أبو القاسم ابن الجدّ(ت515هـ) أوّل من قال في هذا الجانب, وجاراه ابنُ الباجيّ(ت520هـ), ثم جاء أبو محمد بن عبد الغفور(ت531هـ)فعارضهما[1]؛ إذ أشار ابن بسّام في معرض تقديمه إلى ذلك في ذخيرته تحت عنوان: ((**صفة مطر بعد قحط**))[2].

([1])ثمة تضارب بيِّن في الرأي اعترى موقف الدكتور على بن محمد حيال هذا الأمر ؛ إذ ذكر في ص 403، وأن ابن الجدّ مبتكر هذا النمط , وعاد ليقرَّ في موطن آخر ص 540، أن ابن الباجيّ أول من راد الحديث في هذا المضمار . أما الدكتور فايز القيسيّ فقدّم رسالة ابن الباجيّ على رسالة ابن الجدّ, وهو تقديم ينطوي على اعتراف ضمني بالأسبقية. ينظر أدب الرسائل في الأندلس , فايز القيسي ص 250 ، والنثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري, علي بن محمد :2/ 540.

([2]) ينظر: ص130 وما بعدها من هذا المبحث..

ثـالثًـا : روادهــا .

أ - أبُوالقاسِمِ محمد ابن الجَدَّ، نشأته وحياته:

هو محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجد الفهري، يكنى أبا القاسم شلبي سكن إشبيلية(مدينة أندلسية), يعرف بالأحدب , له أخ يسمي الحافظ أبي بكرابن الجد, كان فاضلاً , حسن العشرة , عالمًا متفننًا في المعارف والأداب والبلاغة , ذا حظ جيد من الفقه وعلم الحديث, عُين مفتي في بلدة لبلة[1].

- **من شعره :**

أمَا وَنَسِيمُ الرَّوْضِ طابَ بِه فَجْرُ *** وَهَبَّ لَـهُ مِنْ كلَّ زَاهِرَةٍ نَشـرُ

تحَافِي لَهُ مِـن سِرَّهِ زَهـرُ الرَّبى *** ولم يَدْرأنَّ السرَّ في طيّه جَهَرُ[2]

- **من نثـره :**

له عدة رسائل ومراجعات , اخترتُ من بينها رسالة له على لسان مَنْ صدَرَ من بيت الله الحرام, وزيارة قبر نبيه عليه السلام: ((**كتبت يا أكرمَ الأنبياء وسائل, وأعظمهم فضائلَ, وأعمَّهم فواضل, وأتمَّهُمْ فرائضَ ونوافلَ, وقلبي بحبَّك معمورٌ ومأهول, وعلى الإيمان بك مفطورٌ ومجبول...**))[3].

- **وفاته :** توفي سنة (415هـ)[4].

الرسالة الأولى- مطرية ابن الجَدَّ أبا القاسم:

هي رقعة احتفظ فيها الكاتب بسمة خاصة, تدورحول لوحتين تقعان على طرفي نقيض, هما: الجَدْبُ وتداعياته, والخِصْبُ وتجلّياته ؛ يقول فيها: ((**لله تعالى في عباده أسرارٌ, لا تُدْركها الأفكار, وأحكامٌ ,لا تنالها الأوهام...**))[5].

بدأ الكاتب معارضته بالحديث عن قدْرةِ الله وحكمته, التي تتجلى في السرّاء والضرّاء في العباد, وأن حكمة المولى عزَّوجل لا تنالها يد الأوهام, فهوعادل

([1]) الذخيرة : ق2/م1/ 285, 286، والمغرب :331/1, 342، والصلة:837/3.

([2]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 320.

([3]) المصدر نفسه : ق2/م1/286.

([4]) المصدر نفسه: ق2/م1/285.

([5]) المصدر نفسه: ق2/م1/289.

وفاضل ورحيم, نجد ذلك في قوله: ((**لا تُدركها الأفكار, وأحكام, لا تنالها الأوهام، تختلف والعدل متفق...ففي مَنْحها[1] نفائس المأمول, وفي منحها مَدَاوس العقول,وفي أثناء فوائدها حدائق الإنعام رائقة...**))[2]. يصورالكاتب الجدب الروحي لمّا أمسكت السماء؛ فهو من تدبيرالعزيزالخبير, والتسليم الكامل بقضاء الله وقدرته؛ إذ يقول: ((**وصدع ليلَ اليأس صبحُ الرجاءِ, وخلع عاملَ البأس والي الرخاء[3], ذلك تدبيرُ اللطيف الخَبيرُ, وتقديرالعزيز القدير**))[4]. ثم يصف الكاتب ما أشاعه القحط من علامات الحزن والآسى على وجه الطبيعة, وأثر ذلك على نفوس النّاس, فقد شمل الحزن كل بقعة فيها كانت مكانًا للبهجة, وكل نبتة كانت مصدرًا للسعادة والسرور. هذا الوصف لا يتناول التصويرالمباشر لكآبة الإنسان وحزنه, وصورها الكاتب في دقة عندما رفعت الأعلام السوداء من الحزن والكآبة على كل المعالم, التي ترمزإلى البهجة والهناء,وصارت في حالة تأهب للموقف، قائلاً في ذلك :((**ولما ساءت بتثبّط الظنون, وانقبض بتبسّط الشكّ اليقين, واسترابت حياضُ الوهاد, بعهود العِهاد[5], وتأهبت رياضُ النِّجاد[6], لبرود الحداد, واكتحلتْ أجفانُ الأزهار, بإثمد النقع المثار, وتعطّلت الأنوار...**))[7].

عندما جاءت بشائر الخلاص التي تأتي الرحمة الشاملة في موكبها الجليل؛ قال الكاتبُ في هذا الشأن: ((**أرسل الله تعالى بين يدي رحمته[8] ريحًا بليلة الجناح, مخيلة الجناح, سريعة الالقاذح, فنظمتْ عقودَ السحاب, نَظْمَ السّخاب[9], وأحكمت**

([1]) متح : أي مَدَ. المَنَحُ : العطاء. اللسان: مادة(منح)،132/14.

([2]) الذخيرة : ق2/م1 /289.

([3]) والي الرخاء : الولي : الربيع .

([4]) الذخيرة : ق2/ م1/ 289.

([5]) العهادُ :ضعيفُ مطر الوَسْميّ وركاكُه. اللسان :مادة (عهد)،319/10.

([6]) النجاد : وهو ضابط الأمور، غالب لها. اللسان : مادة(نجد)،14 /193.

([7]) الذخيرة : ق2/م1 /289, 290.

([8]) ضمنّه من قوله تعالى : ﴿وَهُوَالَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾. سورة الفرقان،الآية :(48).

([9])هي القلادة أو كل قلادة ذات جوهر, اللسان (مادة: سَخب). عن ابن عبَّاس أنَّ رسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((خرجَ يَوْمَ أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ. فَصَلَّى رَكْعَتَيْن. لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلا بَعْدَهَا. ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ وَمَعَهُ بِلالٌ . فَأَمَرَهُنَّ بالصَّدَقَةِ. فَجَعَلْتِ المَرْأَةُ تُلقِي خُرْصَهَا وَتُلْقِي سِخَابَهَا)).صحيح مُسْلم ,الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابوري , راجع ضبطه : محمد تامر, مطبعة المدني المؤسسة السعودية - القاهرة - مصر, ط1, 2008م, 401/1 , كتاب صلاة العيدين, باب تَرْك الصَّلاةِ قَبْلَ العيدِ وَبَعدَها، رقم الحديث(884).

برود الغمام))[1], ثم انهمرت الأمطار, ونزل الغيث المنتظرانتظارالمشتاق غداة الفراق, نرى الكاتب يستعجل الوصول إلى آثارالغيث في الطبيعة, فيصورلنا كيف تقابلت دموع المطر بضحكات الروض, وشدة فرح النبات الميت الذي اهتز رفاته رقصًا بهجةً بالغيث, وهي إشارة إلى حياة النبات بعد موته، قائلاً:((**وحين ضربت تلك المخيلةُ في الأفق قبابها, مدَت على الأرض أطنابها**[2]**,لم تلبثْ أن انهتك رواقها**[3]**,وانبتك وشيكًا نطاقُها,وانبرت مدامِعهُا تبكي بأجفان المشتاق,غداة الفراق,وتحكي بنان الكرام,عند أرْيَحِيّة**[4]**.المُدام, فاستغربتْ الرياض ضحكًا ببكائها,اهتزتْ رُفاتُ النبات طربًا لتغريد مُكّائها**[5]..))[6].

نرى الكاتب ابن الجد في مطريته يربط بين حياة العرب في الماضي- الجزيرة العربية - من حيث وصف المطر وآثاره في الطبيعة , فالكاتب يعبر فنيًا عن هذا الحدث, ويقول في تشبيه ما أحدثه المطر من أثر في الطبيعة الأندلسية قوله : ((**فكأنَّ صَنْعَاء قدْ نَشَرتْ على بسيطها بساطاً مُفوَّفًا**[7]**, وأهدتْ إليها من زخارف بزّها**[8] **ومَطارفَ وَشْيهَا**[9]**ألطافًا وتحفًا...**))[10]. نتساءل لماذا جاء ابن الجد بهذا التشبيه ؟ وهو بعيد كل البعد عن موضوع المعارضة, وذكره سوق صنعاء التي هي في اليمن. قد يرمي ابن الجد من ذلك إلى أثر الألوان في الربط بين الصور وفقًا للحالة الشعورية المصورة والمعبرة عنها.

يختم ابن الجد هذه المعارضة بوصف السعادة والبهجة عقب نزول الغيث بعبارات شبيهة بالشعر إلى حد ما, وقريبة من طريقته. هكذا هوالنثر في القرن الخامس الهجري في الأندلس عندما يعبرعن هذه المعاني الرقيقة, يغدو شعرًا خالصًا دون أن

([1]) الذخيرة : ق2/م1 / 290.
([2]) الأطناب : ما يُشَدُّ به البيتُ من الجبال بين الأرض والطرائف. اللسان، مادة: (طنب)،148/9.
([3]) الرواق : ألحَّتْ السحابة بالمطروالوَبْل،وألقت أرواقها. اللسان،مادة: (رَوْقَ)،266/6.
([4]) الذخيرة : ق2/م1/290.
([5]) المُكّاء: وجمعه مَكاكِيُّ ، وهو طائر حسن الصفير. اللسان، مادة :(مَكَّا)،113/14، 114.
([6]) الذخيرة : ق2/م1 / 290.
([7]) البساط المُفَوَّفُ: الرقيق .اللسان، مادة:(فوف)،240/11.
([8]) البَزّ : الثياب.اللسان ،مادة :(بزز)،78/2.
([9]) المطارف : رداء من خَزّ مُرَبَّعٌ ذو أعْلامٍ. اللسان، مادة: (طرف)،108/9.
([10]) الذخيرة : ق 2/م1 / 290.

يحتاج إلى الأوزان، يقول: ((**فيا بَرْد مَوْقِعها على القلوبِ والأكبادِ, ويا خُلُوصَ ريِّها[1]إلى غُلَل النفوس الصَّواد؛ كأنَّمَا استعارتْ أنفاسَ الأحبابِ,أو تَرَشَّفَتْ؛ شنبًا[2]من الثنايا العِذَابِ، أو تحملت ماء الوصال إلى نارْ البلبال,أوسَرتْ على أنداء الأسحار وريحان الآصال, لقد تبين للصّنْع الجميل من خلال ديمَيها تنفس ونصول, وتمكَّن للشكر الجزيل في ظلال نعمها مُعَرْسٌ ومقيل[3]...**)) [4].

ختم ابن الجدّ مطريته, بالشكر والحَمْد والثناء لرب العباد على نعمهِ, فالشكر الجزيل لله وحده في ظلال هذه النعم: ((**فالحَمْدُ للهِ عَلَى ذَلِكَ مَا انْسَكَبَ قطْرٌ, وانْصدَعَ فَجْرٌ,وتَوَقَّد قبْسَ وتردَّد نَفْسٌ, وَهْوَالكَفِيلُ تَعَالى بإتمَامِ النُّعْمَى,وصلة أسْبَابَ الحَيَاةِ, بعزَّتِهِ**))[5] .

نالتْ هذه المعارضة شهرة لدى الكُتَّاب المعاصرين للكاتب, وحفزت بعضًا منهم لمعارضتها, إذ نجد أديبًا كبيرًا هوأبوعمر بن الباجي, ينشئ في معارضتها رسالةعلى منوالها, أما المعارض الأخر فهو الوزيرالكاتب أبو محمد عبد الغفور .

المعارضة الثانية ـ مطرية عمرالباجي :

عارض بها ابن الجَدَّ، وهي معارضة تقوم على عنصري الموازنة , بين حالة الأرض حال جدبها وحالة الأرض حال خصبها, وهي قريبة إلى حد ما برسالة ابن الجد السابقة .

يتحدث فيها الباجي عن نزول المطر بعد جدب طويل؛ إذ يقول: ((**إنّ لله تعالى قضَايا واقعةً بالعدْل, وعطايا جامعةً للفَضْل, ومنحًا يبسطها إذا شاء إنعامًا وترفيهًا, ويقبضها إذا أراد إلهامًا وتنبيهًا, ويجعلها لقوم صلاحًا وخيرًا...**))[6].

بدأ الكاتب معارضته بالتسليم لقضاء الله وقدرته , وهي بداية يتفق فيها مع ابن الجد ، ويعبّرعن إعجابه بقدرة الله وحكمته الربانية, ويسلم بذلك بأنه مدبر شؤون

([1]) الرّيَّا : الرّيحُ الطَّيّبَةُ. اللسان، مادة: (روْى)، 272/6.
([2]) الشَّنَبُ :البَرْدُ والعُذوبةُ في الفَم. اللسان، مادة:(شنب)،141/8.
([3]) المُعْرِسٌ :الذي يسير نهاره ويُعرّسُ أي ينزل أول الليل.اللسان ، مادة:(عرس)،95/10.
([4]) الذخيرة : ق 2/م1 290 / 291.
([5]) المصدر نفسه : ق2/م1 / 196.
([6]) المصدر نفسه:ق2/م1/196.

الكون, فتنزل رحمته بعد اليأس والقنوط , فانقطاع المطر هي حكمة المولى عز وجل, يقول: ((**إنّ لله تعالى قضايا واقعةً بالعدل, وعطايا جامعةً للفضل, ومنحًا يبسطها إذا شاء إنعامًا وترفيهًا..**))[1].

نرى الكاتب قد احتج لقوله بالدليل القرآني على رحمة الله وقدرته في قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ, وَهُوَ الوليُّ الْحَمِيدُ﴾**[2].

ثم يمهد لوصف حالة الأرض المجدبة , بوصف حال الجدب في النفوس أولاً, وهي وقفة نفسية دقيقة يربط فيها بين الجدب الروحي(ممثلاً في الهلع والخوف والذهول وخيبة الأمل), والجدب المادي(ممثلاً في الجفاف وموت الزرع والضرع): ((**وأنه كَانَ مِن امتساك السُّقْيا, وَتَوَقف الحيا**[3]**, ما ريْعَ به الآمنُ, واستُطيْرَ به السّاكنُ, ورجفت الأكبادُ فزعًا,وذُهِلَتِ الألبابُ جَزَعًا, وأذكتْ ذُكاءُ**[4]**حَرَّها, وَمَنَعتِ السماءُ دَرَّها...**))[5], أما جدب النفوس نحسه في الارتجاف – والفزع - والذهول- والتطير- والجزع الذي كان حصيلته أن ((**ريْـعَ الآمِـنُ واستُطِيْر السّاكنُ**))[6] وهو– بعد –((**وَمَنَعَت السماءُ دَرَّها, واكتستِ الرياض غُبْرَةً بعد خضُرَةٍ...وكادت برودُ الرّياض تُطْوي,ومدودُ نعم الله تُزْوَى...**))[7].فكأن النعم تتنحى وتقبض، فصورالعذاب والنقمة, والخوف والموت التي تتمثل في الجدب والمحل , فتتحول حياة الناس شقاء وعذابًا وفقرًا, وهي صورة مبنية على اللون .

يصف الكاتب رحمة الله تعالى وبسطه لنعمه , فأزاح محنته وجاءت الرحمة الإلهية بالغيث النافع الغزير, الذي روَّى الأرض, فأصبحت الأرض من كثرة السيول كالمستنقعات, وهذا استجابة من الله لرجاء الخلق, ونزول الغيث برهانًاعلى الإرادة الربانية القادرة على الإحياء والبعث من الموت, قائلاً: ((**ثم نشرالله تعالى رحمته,**

([1]) الذخيرة : ق 2/م1 /196.
([2]) سورة الشورى ، الآية: (28).
([3]) السُّيقا من أسماء المطر أيضًا.اللسان، مادة:(سقي)،211/7. ــ والحيا:هواسم لغوي للمطر، اللسان، مادة: (حيا)،295/4.
([4]) الذُّكَاءُ : اسم الشمس معرفة . اللسان، مادة: (ذكا)،38/6.
([5])الذخيرة : ق 2/م1 / 196.
([6]) المصدر نفسه : ق 2/م1 / 196.
([7]) المصدر نفسه: ق 2/م1 / 196.

وبَسَطَ نعمتَهُ, وأتاح مِنّتَهُ, وأزاح مِحْنَتَهُ فبعث الرياح لواقح[1],وأرسل الغمام سوافح, بماءٍ دَفق[2], وَرواءٍ غَدَق[3] سماء طَبَقَ[4]...وسمحَ دَمْعُها فهمع[5],وصابَ وَبْلُها فنقع[6]فاستوفت...))[7].

يتحدث الكاتب أيضًا عن الأثرالإيجابي من جراء ذلك , وعن نعم الله الموفورة التي لا تحصى ولا تعد, فبدأ بوصف الأرض, ثم يصور نبات الأرض بمختلف أنواعه, يقول: ((**الأرض ريّا, واستكملت من نباتها أثاثًا ورئيّا, فزينَهُ الأرض مشهورة, وَحُلَّةُ الزهر منشورة, وَمِنَّةُ الرب موفورة**)) [8], إن زوال الجدب المادي يصاحبه بالمثل زوال الجدب الروحي, فصورالكاتب مشاعرالناس بعد نزول الغيث، واخضرار الأرض, وعبرعن الماء بمعنى السعادة والكرامة وطيب العيش؛ فأصبحت الوجوه ضاحكة, والنفوس مبتهجة قائلاً: ((**والقلوب ناعمة بعد بؤسها, والوجوهُ ضاحكة بعد عبوسها[9], وآثارالجزَع ممحوَّة, وَسُوَرُالشكر متلوَّة**))[10], فظهرت آيات الشكروالحمد متلوة لله رب العالمين .

ختم الباجي معارضته بعبارات قصيرة في الدعاء , بدوام النعمة , وألا تعود عليهم هذه النعمة نقمة, والمنحة أن تعود محنة, يسأل الله الهداية وسبيل الرشاد, وسار الباجي في معارضته على نهج المعارضة السابقة. حيث يقول:((**ونَحْنُ نستزيد الواهبَ نعمة التوفيق,ونستهديه في قضاءالحقوق..ومن المنحة أن تعود مِحنْة**))[11].

([1]) ضمنّه من قوله تعالى:﴿وَأَرْسَلْنَا الرِيَاحَ لوَاقِحَ﴾. سورة الحِجر، الآية: (22).

([2]) ضمنّه من قوله تعالى :﴿خُلِقَ مِن مَآءٍ دَافِقٍ﴾. سورة الطّارق، الآية :(6).

([3]) رواء غدق: مطركثيرعامّ, ضمنّه من قوله تعالى:﴿وَأَن لَّو اسْتَقَامُواعَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّآءً غَدَقاً﴾. سورة الجنّ، الآية: (16).

([4]) الطبق: المطرالذي يطبق الأرض. توظيف من قوله تعالى:﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًاعَن طَبَقٍ﴾. سورة البروج،الآية: (19).

([5])هَمَعَ : أَسَالتِ الدَّمْعَ .كناية عن المطر . اللسان، مادة :(همع)،92/15.

([6]) الوَبْلُ : المطر الشديد الضَّخمُ القطر.اللسان، مادة:(وبل)، 144/15.

([7]) الذخيرة : ق2/م1 / 196.

([8]) المصدر نفسه : ق2/م1 /197.

([9]) من قوله تعالى:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئذٍ مُّسْفِرَةٌ(37)ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ . سورة عبس، آلآية:(37).

([10]) الذخيرة : ق 2/م1 / 197.

([11]) المصدر نفسه : ق2/ م1/ 179.

ب- أَبُومُحَمَّد ابنُ عَبْدِ الغَفُور،نشأته وحياته :

هو ذو الوزارتين، أبوالقاسم محمّد بن عبد الغفورالأشبيلي، كان كاتبًا بمراكش، حرض أميرالمسلمين على إغاثة سرقسطة، صاحب المعتمد, أحد الذين كتبوا لأمير المرابطين عليّ بن يوسف بن تاشفين، أنه صارمٌ , وقال فيه المعتمد بن عباد:

أبا قاسمٍ قد كنت دُنيا صحبتها* قليلاً كَذاَ الدنيا قليل متاعها**

نشأ بين يدي أبيه في دولة المعتمد , وداع إحسانه يملأ المشارق والمغارب[1].

●من شعره :

له من رقعة خاطب بها بعض أهل عصره, وافتتحها بهذين البيتين:

لَوْلا عدىّ غاظوا الصديـ * قَ بنفيـهمْ عنـي الكتابَـهْ**
لـم أوذِ سَمعَـكَ بالـهُـرَا ***ء ولا انحرفتُ عن المهابةِ[2]

● من نثره :

يصف ألفاظ نثره بالمعقدة , فنذرت الألفاظ السهلة , وهذا ما وصفه به ابن خاقان، في قوله: ((**فإنه كان بادي الهوَج, وعرَالمنهج , لَهُ ألفاظٌ مُتَعقدةٌ , وأغْراضٌ غَيْرُ متوقّدةٍ...**))[3], وله من رقعة: ((**توفي الصبر فهششتُ لاقامةِ رسم العزاء, ثم تذكرت فتأخرت, وأنَّ نفسي – فأديتَهُ – عَيَّرتني تَرْكَ المقال, وقالت: اين ما ذخرتَ, لهذه الحال؟ فقلتُ: أحسنَ الله عزاءَ من بكاه...**))[4].

● وفاته : مولده ووفاته مجهولان[5].

●المعارضة الثالثة ـ مطرية ابن عَبْد الغَفُور:

يعارض ابن عبد الغفورالرسالتين المتقدمتين معًا؛ ويفهم من قول ابن بسّام في التقديم له: ((وعرضت عليه رسالة أبي عمرالباجي وأبي القاسم بن الجد المتقدمتين في صفة المطر بعد القحط فعارضهما برقعة))[6].

([1])ينظرترجمته في الذخيرة : ق2/م1/ 325، والمغرب في حلي المغرب:241/1، وقلائد العقيان: 466، وأحكام صنعة الكلام: ص5- 13.
([2]) الذخيرة : ق2/م1/ 326.
([3]) ينظر قلائد العقيان : 466.
([4]) الذخيرة : ق2/م1/ 333.
([5])ينظر أحكام صنعة الكلام:ص9.
([6]) ينظرالذخيرة : ق2/م1 / 342– 345.

يقول فيها : ((**ولله جلّت عظمته أوامر تُحيل المنيرةَ عن طباعها, وتسلب من حصى المعزاءِ فُضْلَ شُعاعها, وتردُّ في خِلْفٍ تمريه حَلَب ارضاعها,لا تُلْحَق...**))[1].

بدأها ابن عبد الغفور, كما بدأ ابن الجد والباجي بداية لا تختلف عن المعارضتين السابقتين, بالإشارة إلى الحكمة الإلهية ,وتجسيد قدرته المطلقة في كل التصرفات الكونية التي يراها البشر, ولكنّها تختلف عنهما في البنية والهندسة التركيبية التي تقوم عليها, من حيث إخراجها مخرج الإجلال لعظمة الله وقدرته سبحانه وتعالى, ثم يوضح غموض أسرارها , وقدرة الله في طلوع الشمس وغروبها, بأنها تسير بأوامر من العلي القدير, وكيف يسطع شعاعها على الأرض الحَزينة, وهي تطلب السقاية من الله تعالي لكي يروي جدبها بالغيث النافع, حيث يقول: ((**والله جلب عَظْمَتـهُ أوامر تحيل المنيرةَ عن طباعها, وتَسْلُب من حصى المعزاءِ فُضْل شُعَاعِها، وتردِّ في خِلْفٍ تمريه حَلَبَ ارضاعها،لا تُلْحَق بسوابق الرِّهان, في ميادين الأذهان, ولا تُدْرَك بقِدَاح القِمار...حِكْمَةٌ بَهَرتْ حقيقتُها زَوَاهِرالأفكار...له الخلق والأمر**[2] **وبيده النفع والضّر...**))[3].

ثم يتحدث ابن عبد الغفورعلى ما أصاب الطبيعة من الحزن, فذبل النبات, والأرض أصبحت كالأموات, لا حياة فيها ؛ نتيجة لِاحتباس الغيث, وإلحاح الجفاف. فنراه بدأ بحمد الله وشكره على أن أتاح نزول المطر, وأغاث لهفة المستغيث بعد مدة القحط التي ألحقت ضرراً كبيراً بالبشر والطبيعة, وصورالكاتب الأرض حالة جدبها. وهنا يشير إلى قدرة المولى– عز وجل- في تبديد الكروب, وتفريج الهموم، ومَحق ما يعترض الإنسان والأرض من عثرات ومصائب, وإحلال الراحة بعد الجهد فيقول في ذلك:((**وإنَّ أحق النعم بالشكر...نُعمى أحْيَتْ بالسُّقْيَا أرض مَوَاتاً...وقدعَبَط طيرُ الماء ضِبَابِ اليَهْمَاءِ**[4]**, وحجب كاسف الرجاء نَيّرات النَّعماء, وشابت مفارق**

([1]) الذخيرة : ق2/ م1/ 342.

([2]) ضمّنه من قوله تعالى:﴿ألاَ لهُ الخَلْقُ وَالأمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالمِينَ﴾.سورةالأعراف،الآية: (53).

([3]) الذخيرة : ق2/ م1/ 342، 343 .

([4]) اليَهْماءُ : الفلاة الملساء ليس بها نبتٌ. اللسان، مادة : (يهم):328/15.

الرياض,...وحلَّ نبتُ الحاجر[1]عَقْدَ الحُبا, وباتت أزهارالغيطان, عليلاتِ الأجفان, تستقي نجوم السماء، وتَتَوَسَّل بالشَّبَه إلى ذوات الأنواء...)) [2]. صورلنا الكاتب لوحة بلون أسود نحسه في ذبول الرياض ,وجفاف أحواض المياه.

ثم ينتقل الكاتب ليصف نزول المطر بطريقة مشوبة , يلفها شيء من الغموض أراد الكاتب أن يتبعه في معارضته فيقول:((**فعندما أمست البسيطة على شفا[3], وأجْبَلَ المُحْتَفِرُ[4] ولم يجدْ مُرْتَشفا, أرسل الله تلك النعمة, بين يدي الرحمة, ريحًا لَيِّنَةً هُبوب النسيم, في الروض الهَشيم, شديدةً حَفْزالغَمَائم...ورمتْ أمْراسَها[5] وَدلاءَها, فلما لَمَّتْ قزَعَها[6], ووَصَلت بقُدرة الخلّاق قِطَعَها, سَفَحَت عيونُ تلك النجوم...رحمةً لعليل النبات, ورقَّةً لأليل المُهَجَاتِ...))**[7] .

للمطر آثار حميدة على الأرض والطيروالحيوان والنّاس, هذه الصورة الرائعة في الجمال جاءت في روح شاعرية ,يضاهي بها ابن عبد الغفورابن الجد في معارضته, فضحكت الأرض بعد حزنها, وأحيت النائم الميت, وخطب الطيرعلى منبرالشجرترنيمة الشكر والحمد للبارئ عزَّ وجل , فنرى الكاتب يصفها لنا في قوله: ((**فأهتزت القطاريَّةُ لذلك القطار...وضحك ثَغْرُ الروض بعد عبوس, ونُقل إلى سَعَة الرحمة من ضَنْكِ البُوس, وسَحبت فواهِقُ الأنهار مَذَانِبَهَا، ونَشَرت عرائسُ الأزهار ذَوَائِبَهَا...مالئة لبّتها من جوهره الرائق وجيدَها, تفوحُ مجامرُ أزهارها, وتلوحُ خفيَّاتُ أسرارها, في مرائي أنوارها, فترمي الدَّاهِل بريّاها, وتحيِّي النائمَ وما حيّاها مؤذنةً بإدراكها على لسان مِسْكها في ساحة مَدَاكها, وقام من متَرَنّم الأطيارعلى منابرالأشجار خطيبٌ يتلو ما حَبَّرَ من الثناء على...فيا لها نعمةً ما أحسنَ مَوْقعها ورحمةً ما ألطف محلَّها من النفوس ومَوْضِعَها, لقد بَرَّدَتْ حَرَّ**

([1]) الحاجر: الأرض المرتفعة في وسطها انخفاض يمسك الماء. الممعجم الوسيط ، مادة:(حجر):157/1.
([2]) الذخيرة : ق2/ م1 / 343.
([3]) توظيف من قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارفَأَنقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ آل عمران: (103).
([4]) وأجبل المُحْتَفِرُ : خاب في العثورعلى الماء.اللسان، مادة(حفر):7/ 283.
([5]) الأمراس : الحبال .اللسان، مادة:(مرس):55/14.
([6]) القَزعُ : قِطَعٌ من السحابِ المتفرق.اللسان، مادة:(قزع) :96/12.
([7]) الذخيرة : ق2/م1 / 343.

الأكبادِ, وشفتْ غليلَ القلوب الصَّواد, وفديتْ بنفائس النفوس ولأولاد, نفَّستْ خِناقَ الامال, وحلّتْ عِقالَ الإقبال, وكادت تُجْري الأرواحَ في الرّمَم البوالي))[1] .

كانت هذه الصورة الجميلة من الكاتب أكثر إجهادًا لنفسه في سبيل الحصول عليها, فنراها في تعدد ألوان الأزهار من أصفر, وأخضر, وأحمر, توحي بالبهجة والسعادة.

تنتهي هذه المعارضة , كما انتهت سابقتاها, بعبارات قصيرة في حمد الله وشكره على ما أنعم به وأسداه, يقول:((**والحمد لله كما حضّ عليه منتهى الحمد, وَمَبْلَغَ الوُسْع والجهد, وما لا يحصره العَدّ, وما شاء تعالى من شيء بعد))[2].**

ما لاحظته على هذه المعارضات الثلاثة, أنها تتفق حول الخطوط العامة مع احتفاظ كل واحدة منها بسمات خاصة, فهى تدورحول لوحتين تقعان على طرفي نقيض, هما الجدب والخِصب, يسبقهما حديثٌ عن قُدَرة الله وحكمته في السرّاء والضرّاء .

هذه المطريات تعد في الأدب العربي الأندلسي تحفة سنية منعشة مستساغة؛ لا يقل ما تفعله بالنفوس عن ما فعله القطر فعلاً ويفعله بالأراضي المُجدبة, وساكنيها من الإنسان, والحيوان, والطير, والنبات. اختلفت معارضة ابن عبد الغفورعن معارضتي ابن الجدّ وابن الباجيّ , واتسمت بسمات خاصة تتمثل هذه السمات في العناية بالتفاصيل الدقيقة في الوصف , مع توشية الأسلوب بوشاح من الغموض .

تري الباحثة في هذه المعارضات الثلاثة , أن اللون هو قوام هذا النوع من المعارضات , يتعامل معه الأديب ببعدين: بعد داخليَّ وبعد خارجي, يجعل تلوين الصورة خاضعًا لتجربته ، واستعمال الألوان المتضادة والمتعارضة من أنجح وسائل التصويرفي هذه المعارضات

([1]) الذخيرة : ق2/م1 / 344.

([2]) المصدر نفسه: ق2/ م1/ 344.

المبحث الثالث

المعارضات الزرزورية

أولاً ـ معناها في اللغة .

تدورمادة(زرر) في المعاجم حول معانٍ متقاربة تنحصر فيما يلي[1]:

ـ الزّرزور: طائر, يُزرزر بصوته, والجمع الزَّرَازِرُ.

ـ الزرازر: هنات كالقنابر مُلْسُ الرؤوس تُزَرزِرُ بأصواتها زَرْزَرَةً شديدة.

ـ زرزر : إذا ثبت بالمكان. والزَّرْزَارُ: الخفيف السريع.

ثانيًا ـ مضمونها.

الغرض من الزرّزوريَاتِ[2]الشفاعة والتوسّط للأشخاص, وهي كتاب يكتب, ويحمل من الذي طلب الشفاعة لهم والتّوسّط والتودُّد والعتاب , إلى الذي تُرجى استجابته, بالنظرإلى الوسيط المبجّل لصداقته أو جَاهِهِ أو أدبِهِ أوعلمهِ أو سلطانهِ، وسبب الاستشفاع بالشخصيات التي لها وزن عامة , أوعلاقة حميمية بمن يؤُمُّهُ المُشفّعُ فيه خاصة , وهذا شعورالمشفوع له بالخجل, أوخوفه من الصّدّ , أوأنه ليس له وزن اجتماعي أو شخصي لا يكفيان لتقبّل دخوله على من يقصده.

هذه الرسائل في مضمونها ترمي لوصف ((أصحاب الكدية))من الأدباء في سخرية لطيفة فكهة أداة لهم, وتستعير صورة "الزرزور" لما يمتاز به هذا الطائرمن خفة وحركة وذكاء. نشأت الزرزوريات نشأة أندلسية خالصة , ليس لها مثيل في النثرالأدبي المشرقي[3].

لعل الوزيرالكاتب أبو الحسين بن سراج(ت508هـ)أول من استثارهذا الموضوع، حين كتب لابن الجد رسالة شفاعة في أمر((شخص يعرف بالزريزير)) فاستغل ابن سراج هذا اللقب بما يوحي به من معان, وربط بينَ صاحبه وبين طائر الزرزور وجعل له مصطلحات جسدها في شخصه[4].

([1]) اللسان , مادة: (زرر) ، والوسيط: 393/1.

([2]) سميت بهذا الاسم نسبة إلى الزَّرزور, وهو طائر صغير الحجم, يشبه العصفور.

([3])ينظرالزرزوريات - نشأتها وتطورها في النثرالأندلسي- فوزي عيسى, دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1990م: ص13.

([4]) ينظر الزرزوريات : ص14.

أ ـ أبُوالحُسَيْن بن سراج، نشأته وحياته :

هو الوزيرالكتاب سراج بن أبي مروان بن سراج ,يكني أبا الحسين, ولد سنة(439هـ), من أبرزالأدباء والعلماء أيام المرابطين, عاش في قرطبة, وهو سراج علمٍ وأدب , وبحرُ لغةِ لسان العرب, من بيئة علم ونباهة , فله عناية كاملة بكتب الآداب واللغات والتقييد لها , وضبطها , له نظم ونثرٍ ذو ديباجة رائعة. أخذ الناس عنه كثيرًا, وكان حسن الخلق , كامل المروءة[1].

- **من شعره:**

يخاطب الراضي بن المعتمد بن عباد:

بثَّ الصَّنائع لاتحفـلْ بَمـوْقعَـها * مِنْ آمِلِ شكرَ الإحسان أو كَفَرا**

فالغيثُ ليس يُبالي أين ما أنسكب * فيه الغمائم ترُبًا كَانَ أو حَجَرا[2]**

- **وفـاته :** توفي الوزير أبو الحسين في سنة(ت508هـ), ودفن بالرَّبض[3].

الرسالة الأولى ـ زرزورية أبي الحسين بن سراج:

يقول في فصل منها:((**كتبتُ أحْرُفي هذه, والودَّ صقيلُ الوذائل, مَطْلول الخمائل, جميل البكَر والأصائل, والله تعالى يَزيدُ أزهارهُ وضَوحًا وأطيارَهَ صدوحًا, وظباءَهُ تيامناً وَسُنُوحًا[4], بمنّه...))[5].**

كُتبتْ هذه الزرزورية إلى الوزيرأبي القاسم بن الجد كما أسلفت سابقًا. تناول ابن السراج فيها موضوع الشفاعة, بمقدمة قصيرة مادحة ودعائية, دخل من باب: عالم الطيورالمهاجرة؛ منطلقًا في سرد قصة الرجل مُسْقطة على حياة الطيور, واختار طائرالزرزور ليعبر به عن حال الكدية التي يعيشها هذا الرجل, وألصق به أوصاف هذا الطـائـر من تـحسير وتشكير وريش وفرخ وعش وقطوع, جعل صفات هذا الرجل وتصرفاته قريبة إلى حدٍ كبير من تصرفات هذا الطائر,**عبرعن**

([1]) ينظرترجمته في الذخيرة : ق1/م821/2, 822 ، وق2/م1/ 347، والمغرب : 116/1، والصلة : 1/ 354.

([2]) الصلة : 1/ 355.

([3]) المصدرنفسه : 1/ 355.

([4]) السُّنْحُ : التفاؤل والبركة. المعجم الوسيط، مادة:(سنح)، 456/1.

([5]) الذخيرة : ق2/م347/1.

ذلك: ((ويصل به ـ وَصَلَ الله علوَّكَ, وكبتَ عدوَّك- شخصٌ من الطيورِ يُعْرَفُ بالزريزير, أقام لدينا أيامَ التحسير,وزمانَ التبلَّغ بالشكير, فلما وافى ريشُه, وَنَبَتْ بأفراخِهِ عُشُوشُه,أزمع عنَّا قطوعًا، وعلى ذلك الأفق اللدن[1] تدليّاً ووقوعًا,رجاءَ أن يلقي في تلك البساتين معمرًا, وعلى تلك الغصون حَبَّاً وثمرًا...))[2].

يختم الكاتب معارضته بإشارة مدح وثناء , مخاطبًا وده وعطفه, يرجوالكاتب أيضًا الرعاية والعمل على قضاء حوائجه من المشفع, حيث يقول:((**وأنت بجميلِ تَأتّيكَ, وكرم معاليك تصنعُ له هنالك وُكوناً, وتستمع من نغم شكره على ذلك أغاريدَ ولحوناً, دون أن يلتقط في فنائك حَبَّةً , أو يسترط[3]من مائك غَبَّةً [4]:**

وإذا امْرُؤٌ أهدى إليكَ صنيعةً * من جاهه فكأنَّها من مالهِ[5]**

هذه المعارضة أفرزتْ قرائح من الكُتاب الذين اتَّسموا بولعهم الشديد بالبحث عن صيغ فنية جديدة , وقد جمعت بينهم صداقة ومحبة لابن سراج منشئى هذا الفن, فعارضها العديد من كتاب عصره برقاع تحذو حذوه وتنحو منحاه , وكل معارضة تتفرَّد بميزاتها عن غيرها . كان أول المعارضين لهذه الزرزورية , هوالوزير أبو القاسم ابن الجد، كما يفهم ذلك من كلام ابن بسّام[6]

([1]) اللدْنُ :اللِّيِّنُ. اللسان، مادة:(لدُن) :76/25.

([2]) الذخيرة : ق2/م1/347.

([3]) يسترط : يبتلع. الوسيط، مادة :(سرط): 429/1.

([4]) من مائك غَبَّة : أي من مائك شَرِبَتْ غِبًّا. اللسان، مادة :(غبب): 20/ 5.

([5]) ديوان أبي تمام: بشرح الخطيب التبريزي, تح: محمد عبده عَزّام, دار المعارف بمصر,ط3، 1964م : 60/3.

([6]) ينظرالذخيرة : ق2/م1 / 347.

ب ـ أبُوالقاسِمِ بن الجَدَّ[1].

المعارضة الثانية - زرزورية أبي القاسم بن الجد:

قال فيها:((**فإنْ كَانَ رَوْضُ العَهْدِ –أعَزّكَ اللهُ – لَمْ يُصِبْهُ مِنْ تَعَهُّدِنَا طَلٌّ وَلاَ وَابِلُ, ولا سَجَعَتْ عَلَى أيْكِهِ وُرْقٌ وَلاَ بَلابِلُ, فإنَّ أزهارَهُ على شِرْبِ الصَّفَاءِ نَابتَةٌ...**))[2].

يلتقط ابن الجدَّ فكرة المعارضة ويتخذها محورًا لإدارة الوصف على دعائم متعددة، من هزل وسخرية وتلاعب بالألفاظ , بدأها بمقدمة طويلة في مدح وتودد لابن سراج، اعتنى بوصف محاسن طائره، واهتم بجمال صوته.

يوظف هذا في التغني بمحاسن ابن سراج , وفي معرض حديثه يذكرأسماء أشخاص وهذا من باب التشبيه , نلمس ذلك حين نقرأ ما كتبه ابن الجدَّ: ((**حَسُنَتْ لك يا سيَّدي أبَا الحُسَين ضَرائبُ الأيام, وتشوَّفتْ نحوكَ غَرَائبُ الكلام...فإن كَانَ رَوْضُ العَهْدِ- أعَزّكَ اللهُ- لَمْ يُصِبْهُ مِن تَعْهدنا طلّ ولا وابل, ولا بلابل...من طائرٍ شهيَّ الصفير, مبنيِّ الاسم عَلَى التَّصْغير, فإنه رَجّع بذكركَ حنينًا وابتدع في نَوبَة شكرك تلحينًا, وحرَّكَ من شوقي إليكَ سُكونا, ودمَّثَ[3]في قلْبي لودِّك وُكونًا,ثم أسْمَعَني أثناءَ تَرَنّمه كَلامًا وصف به نفسه, لَوْ تغنَّتْ بهِ الوَرْقاء[4],لأذنَتْ له العنقاءُ, أوناح بمثلهِ الحَمامُ, لبكى لشَجْوهِ الغمام, أو سمعه قيس بنُ عاصم[5] في ناديه, وبين أعاديه , لحلَّ الزَّمَعُ[6] حُبَاهُ...**))[7] .

يعود الكاتب ليصف الزرزور, فاعتمد على دعامة السخرية والهزل, يقول: ((**لئن سمّي بالزريزير,لقد صُغِّر للتكبير,كما قيل:"حُرَيقيص"وَسِقْطُهُ يحرقُ الحَرَج[8],**

([1]) سبقت ترجمته في المعارضات المطرية،ص112.

([2]) الذخيرة : ق2/م1 / 347 ،350.

([3]) دمث : سهل ولَيّن. المعجم الوسيط ، مادة: (دمث)، 295/1.

([4]) الورقاء :الحَمامةُ اللسان، مادة: (ورق): 30/ 112.

([5]) هو أبو قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي, أحد أمراء العرب وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة. كان شاعرا، توفى سنة (20هـ). ينظر ترجمته في الأعلام : 206/5.

([6]) الزمع : القلق والدهش.المعجم الوسيط ، مادة :(زَمع):402/1 .

([7]) الذخيرة : ق2/م1/ 348.

([8]) حريقيص: حشرة صغيرة لها وخز مؤلم مثل البرغوث أو فوقه,وقيل:أصغر من الجُعَل. اللسان،مادة : (حرقص): 6/ 20. إشارة إلى طرفة ذكرها أبوعلي القالي يقول : إن الأصمعي وقف عليّ غلام من بني أسَدٍ في أطمارٍ ما ظننته بين كَلمتَين, فقلت: ما اسمك؟ فقال: حُرَيقيص؛ فقلت : أما كفَى أن يُسمُّوك حُرْقُوصا حتى حَقَّروا اسمك! فقال: إنِّ السَقْط ليُحْرق الحَرَجة؛ فعجبت من جوابه. ينظر أمالي القالي, البغدادي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الكتاب العربي- بيروت ، ط2، 1967م: 1/ 66.

و"دويهية"[1] وهي تلتهمُ الأرواح والمهج...))[2].

يستمرالكاتب في وصف الطائر بأنه يتفوق في الفهم والذكاء, وحسن اليقين, ويدعوإلى الخير والموعظة الحسنة بلسان فصيح , ذكرفي ذلك الأماكن التي تقام فيها المجالس الأدبية, كسوق عكاظ ،حيث يقول: ((**ومعلومٌ أنّ هذا الطائرالصافرَ يفوق جميعَ الطيور في فَهْمِ التلقين, وَحُسْنِ اليقين, فإذا عُلِّم الكلامَ لهج بالتسبيح...فمن أحبَّ الاتّعاظ, لقيَ منه قسَّ إياد[3] بعكاظ, أو مال سماع البسيط والنشيد[4],وَجَدَ عِنْدَهُ نُخَبَ المَوْصِلِيّ للرشيد[5], فطورًا يبكيك بأشجى من مراثي أرْبَد[6],وحينا يسليَّكَ بأحْلى مِن أغَانِي مَعْبَد[7], فسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَهُ هاديًا خطيبًا, وشاديًا...))[8].**

أما الطريف أن ابن الجد , رد الزرزور إلى ابن سراج , فصور ضعف حاله وشدة فقره بمعاني الشوق والمودة , ليرق قلب المشفوع على المشفوع عليه ويلين, اتخذ ابن الجد من الرمز وسيلة يصور من خلالها موطنه وعيشه, مما دفعه إلى البحث عن وطن آخر ليقطن فيه , بعد أن عانى من قلة إثمار شجرالزيتون، وهو أساس معاشه, طامعًا في كرم وجود ابن سراج , وعبرعنه في هذه الفقرة قائلاً :

((**ولما طار ببلاد الغرب ووقع, وَزَقا في أكنافها وَصَقَع, وعاينَ ما اتَّفقَ فيها هذا العامَ من عَدَمِ الزيتون...ومَلاكُ انتعاشِهِ, إليه يقطعُ، وعليه يقع, كما يقعُ على العَسَلِ الذبابُ, وتقطعُ إلى العَرادِ[9] الضِّبابُ, فاستخفّهُ هائجُ التذكار,نحو تلك الأوكار, حيث**

([1]) دويهية : مصيبة عظيمة نكرا. وردت مصغرة للتعظيم في بيت لبيد بن أبي ربيعة:
وكلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدخُل بَينَهُمْ *** دُوَيْـهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنها الأنَامِلُ.
ديوان لبيد بن ربيعة ، تح : يحيى الجبورى , مكتبة الأندلس, ط1, 1970م : ص324.

([2]) الذخيرة : ق2/م1 / 348, 349.

([3]) هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك , من بني إياد أحد حكماء العرب, ومن كبار خطبائهم, في الجاهلية أول عربي خطب متوكئًا علي سيف أوعصا, ينظر ترجمته في الأعلام : 196/5.

([4]) البسيط : الرجل المُنْبَسط ، الوسيط: 56/1. – النشيد : رفع الصوت.

([5]) الموصلي والرشيد : أي الأخبار التي تروى عنهما.

([6]) أربد : شقيق الشاعر الجاهلي : لبيد بن ربيعة العامري , يرثي أخاه أربدا قال :
وقد كنت في أكناف جار مَضنَّةٍ *** ففارقني جارٌ بأربدَ نافعُ
الديوان : ص334.

([7]) معبد:هو أبوعباد المدني(126هـ), مغنّ شهيرفي العصرالأموي. ينظر الأعلام:7/ 264، والأغاني:43/1.

([8]) الذخيرة : ق 2/م1/ 349.

([9]) العراد : شجر صلب العود.ومنه ما قيل على ألسنة البهائم قالت السمكة. اللسان(مادة ضببً): 11/17.
أصبح قلبي صرّردا *** لها يشتهي أن يردا
إلاعَرادًا عَردا *** وصِلِيانًا بَـردَا

يكتسي ريشُهُ حريرًا, ويحتشي جَوْفُهُ بريرًا...واثقًا بأنَّ ذلك القَطْرَ النّاضرَ سَتَنْفحُهُ حدائقُهُ, ولا تلفحه وَدَائقُهُ[1]..))[2].

يختم ابن الجد معارضته بالثناء والدعاء لابن سراج, يقول في ذلك: ((**لاسيما وَفْضَلُكَ دليلُهُ إلى ثُرَع رياضه, وَفُرَض حياضه,مع أنه لا يَعْدَمُ في جنابك حَبّاً نثيرًا, وخصبًا كثيرًا, وعشّاً وثيرًا:**

فإذا مَا أرَادَ كُنْتُ رشَاءً * وإذا ما أرادَ كُنْتُ قَلِيبَا[3]**

والله تعالى يكفيه, فيما ينويه, شرَّالجوارح, ويقيه شُؤْمَ الجابهِ[4] والبَارح[5], بمَنّه. وبعد هذا الهزل العجاب, جدَّ كالظّلام المنجاب, وبروز صفحة الشّمس من الحجاب ...جدَّدتَ للعهد شبابًا, واستوجبتَ من الحَمْدِ مَحضَ الُبابًا, واقرأ عَلَى سيّدي سلامًا أعْطر من مسك دارين[6],وأكثر من رَمْلِ يبرين[7]...على سيدي ,ورَحِمهُ الله))[8].

جـ ـ محمد بن عبد الغفور[9] :

المعارضة الثالثة ـ زُرزورية ابن عبد الغفور.

كتب أبو محمد بن عبد الغفور معارضتين في موضوع الزرزور, وجه الكلام في معارضته الأولى لغرض العتاب, وجعل الثانية في غرض الشفاعة[10].

قال فيها :((**إنّ عجبًا برُّ الوزير بالزَّعانفِ والزَّرَازير, وحَظْرُهُ على قلْبٍ يَكَادُ من الشَّوق إليهِ يطير, وَمَن الظمَأِ يَتَشكىّ قُطْعًا وَيَسْتَطِير...إن لَهِجَ فبذكره,أوهَزَجَ فبأفانين شكره؛ فكيف به ضاحَكَ مِنْ خفيَّ برِّهِ فُرضَ شؤبوبٍ شُنانٍ[11],غَمَرَه بذوبِ**

([1]) الودائق : جمع وديقة ، شدة الحر. اللسان، مادة :(ودق):30/ 86.

([2]) الذخيرة : ق 2/م1 /349.

([3]) الرِّشاء: الحبل أو حبل الدلو، الوسيط ، مادة :(رَشا): القَلِيبُ: البئرُ العاديَّة القديمةُ. مادة:(قلب):346/1.

([4]) الجابه : ما يلقاك بوجهه ويُتشاءم منه. الوسيط ، مادة: (جبأ): 1/ 104.

([5]) البارح : ما مرّعن يسارك من الطيرأوالوحش. الوسيط، مادة : (برح) : 1/ 46.

([6]) وهي قرية من بلاد فارس علي شاطئ البحر،وهي مرفأ سفن الهند بأنواع الطيب، فيقال : مِسْك دَارين وطيب دَارين. ينظرالروض المعطار : ص231.

([7]) يبرين : هي اسم مكان يقال له يَبْرُونَ. معقل قبيلة آلمرة, وسبب بقائها على الوجود, هو صعوبة الطبيعة الجغرافية للمدينة, من حيث الكثبان الرملية الشاهقة والصحراء القاحلة. ينظرالروض المعطار: ص163.

([8]) الذخيرة : ق2/م1 /350.

([9]) سبقت ترجمته في معارضة المطريات، ص118.

([10]) ينظر الزرزوريات ، فوزي عيسى : ص 17.

([11]) شُنان : الماء البارد.الوسيط ، مادة :(شَنَّ): 1 / 499.

عز اليه نَوْعَ الإنسان؟!...))[1]. يأخذ الكاتب ابن عبد الغفورعلى الكاتب أبي الحسين بن سراج اهتمامه بالزعانف والزرازير, وتقصيره إزاءه ومجافاته ، وهوالمحبَّ له, فابن سراج كان مهتم بمن هم دونه في المكانة.

نرى الكاتب يصف الحالة النفسية التي تعثري طائر الزَّرزور من السخط والألم, وهذا من تجاهل صديقه له , فيصفه بالزور وقلة الورع , وبالضعف، ويرميه باللغط والتلعثم في الكلام، وبالغباء, وألصق الأديب الصفات الآدمية بالحيوان, وفضل طيورأخرى عليه , نلاحظ على أسلوب الكاتب يميل إلى الهجاء؛ والهجاء من الأغراض التي ينفرد بها الشعر,مثل قوله:((**ثم نَبدَأ من شَأن الحيوان بزرزور, لا يَعْرِفُ حقًا مِنْ زور,مَشْهُورٍ في الطير بالضّرَع, كثيرالعَادِية قليلِ الوَرَع, كأنما رَهْطُهُ عبيدٌ للبلابل, ولغْطُهُ وَقْعُ الحصى المتقابل, وفي غيره من ذواتِ الريش,النازحةِ بكلّ ضراءٍ وعريش,أنجبُ منه على اللّغْن**[2]**, وأحسنُ تصريفَ لسانٍ وذقنٍ, كَبَبّغًا لا تلعثُمُ في عويص اللُّغي, وشَغْنين**[3]**, يثيراللوعة بالرنين كأنما عَاسَرَتْهُ عند التلقين الرّاء, وداخلهُ بَعْدَ الظَّفر بهَا امْتِراء, فاستظهرها بالنكير, قيْنٍ بكيرٍ, قيْنٍ لا بكِيرٍ,وَبُهْمَهٍ**[4]**في المِصَاع بكَريرٍ**[5]**...وَيَكَادُ يَذُوبُ لَهُ العميد,وربَّ عصفورٍ,صَفَرَ لذات سفور,فحكتْ نقْر الزير**[6]**, وبعثتْ العينَ...))**[7]**.**

يستمرالكاتب في الوصف واللوم على صديقه ابن سراج ؛ لاهتمامه بغيره وإهماله له, ويعبرعنه بقوله: ((**وبلبلٍ حَرَّكَ بلَابل واقداتٍ, وَشكَّ القلوب بمعابلٍ**[8] **نافذاتٍ, وكائنْ من غَردٍ, حرَّان قلبٍ أو صردٍ يفوت مدى العدِّ, ويملأ ديار معدّ... حتى**

([1]) الذخيرة : ق 2/ م1 / 351 .

([2]) اللغن : هي ناحية من اللهاة مُشْرِفَة على الحَلْق, والجمع ألغانٌ . اللسان (مادة لغن): 20/ 161.

([3]) شغنين : اليمام ، اللسان: 15/ 165.

([4]) البُهْمَه : بالضم: الشجاعُ الذي لا يُهتَدى من أيْنَ يُؤتَى.الوسيط، مادة: (بهم) 1/ 74.

([5]) الكرير : بُحَّة تعتَري من الغبار.وفي الحديث.أن النبي صلى الله عليه وسلم, وأبا بكر وعمر- رضي الله عنهما-((تضيَّفوا أبا الهَيْثَم فقال: لامرأته, ما عندك ؟ قالت شعير, قال: فكَركيري أي أطحني)). والكَرْكَرة: صوْت يُرَدِّدُه الإنسان في جَوْفه. ومنه الحديث "وتُكرْكِرُ حَبَّاتٍ من شعير" أي تَطْحَن. ينظرالنهاية في غريب الحديث والأثر,ابن الأثير,تح : محمود محمد الطناجي, دار إحياء الكتب العربية,عيسى البابي الحلبي وشركاه , د.ط ، 1979م ،165/4, 166 . واللسان ، مادة :(كرر)24/ 78.

([6]) الزِّيرُ: ما استحكم فتله من الأوتار. الوسيط، مادة: (زور): 1/ 408.

([7]) الذخيرة : ق2/م1 / 351, 352.

([8]) مِعبلة : وهوأن يُعَرَّض النَّصْل ويَطوَّل, والجمع معابل . اللسان، مادة:(عبل): 19/ 201.

تُبرَّعَلَى الغريض, بنّسَقٍ كالإغريض[1], وتَدُلَّ بسرّ التعريض,عَلَى سرِّ الأضْرب والأعاريض,على أنّي قد تُحُوميتُ وما ثُوغيتُ, أي كأني مِن الحَفَارة ألغيت, ولا نعيم لعين الوهمْ وقد وضحَتْ شاكلة اليقين للمتوهِّم, وسأطَّقَّلُ على السمع, وأبذلُ مَدّحورالدمع, فأبثُّ شجوناً, وأنبذ نَبْذ النّواة مجونا, فلا أرقُّ البهارة[2], ولا أخفِض الجهارة, ولا أصفُ أزاهر, ولا أنعتُ القمر الزَّاهر, بل أندب ربوعًا, وأحرزُ العمر أسبوعًا[3]:

وأبْكَي عَلَى فَقْدِ الدرَاهم إذْ لَهَا * أبا قاسم غَيْري مِنْ النَّاس يُكْرِمُ**

وما سلف للأدب مع الذّهب إخاء, ولا هاله منه انتخاء[4],هذا خالدٌ موجود, لا يلحقُ جَوْهَره بُيُود[5]...ولعرائس نَوْرها تُضاحك ثغرًا عابسًا, وتستدُّر جلمداً يابسًا, تبّرج وليس من فِعْل النَّوار, وتأرجُ لأنفٍ لا يَعْرف فَضْلَ الصوّار[6]...ويَنْبُلُ عنها المُنْصَرفُ, فلتحدث العلياءُ منها مَتَابا, ولتكتَف بقَرْع هذا العصا عتابًا, فشدَّ ما منحت البَرَّعقوقًا, ومنعت التشيُّع لها حقوقا)) [7].

يختم ابن عبد الغفورمعارضته بالدعاء للخليفة, بقوله: ((**طالعت ـ أعزّك الله ـ بهَذهِ الشكاية مستريحًا, ومثلتُ لها قلبًا قريحاً, وهو بحكم جلالها يودعُها من الكتمان ضَريحًا, ويُرْضعُها مِن أخْلاَفِ التجاوز مَحْضًا صَريحًا, فَيَسَّرهُ الله لبّر حُرّ, وجَعَله بنجوةٍ من كُلّ ضُرّ)) [8].**

له معارضة أخري[9] يقول فيها:((**لله قُطْرٌ باهى بك على الأقطار, واستغنْى بخَضل ظلّك عن صوْب القطار,أذكَر نعيم الجنان بنَضْرتِه...ومائح[10] من النَّعم زخّارٍ من**

([1]) الإغريض: الطَّبع ,ويطلق على كل أبيض طريٍّ .اللسان، مادة :(غرض): 20/ 61.
([2]) البهارة : عظم الجسم . مادة (بهر) :3/ 278.
([3]) الذخيرة : ق2 /م1 / 352.
([4]) الانتخاء : الافتخار.اللسان،مادة :(نخو): 27/ 102.
([5]) البيود : الانقطاع والذهاب.الوسيط، مادة:(بيد):1/ 78.
([6]) الصوُّار : القطعة من المسك. اللسان، مادة: (صور): 16/ 210.
([7]) الذخيرة : ق2/م1/ 353.
([8]) المصدر نفسه : ق2/ م1/ 353.
([9]) الذخيرة : ق2/م1/ 354.
([10]) مائح : المَيْحُ الذي يملأ الدلو من أسفل البئر. اللسان،مادة: (ميح): 26/ 15.

الخير, وآهًا لقاطعٍ، قُطِعَ به مَعَ الفجرالسّاطع,وبحيّ[1] خَلَص مِن بحرٍ لُجّيّ, فاهتاج طرَبَ الجذل النجيّ, لهفًا يُعْثِر في البيت على الجنيّ...ومحبوبُ السَّجْع[2] بأعَالي الأشجار, يُمْتِعُ بشتَّى أفانينَ, ويُخْجِلُ البلابلَ والشفانين...))[3].

في المعارضة الزرزورية الثانية لابن عبد الغفور تناول فيها موضوع ((الشفاعة)) من جديد, جسد فيها صورة المشفوع له وكأنه طائر الزرزور, فكبرهذا الزرزور ولكنّه اشتد به الفقر والفاقة, وساءت أحواله مما أثرعلى حالته النفسية والصحية, فخرج ابن الجدّ بموضوع (الزرزو)عن الوصف في معارضة أخرى تحدث عن ضيعته واغترابه, حين قال:((**حتى اشتَد مِنْهُ الفقار[4],واسودَّ فَرْعُهُ[5] والمنقار,ولم يكن به إلى العول افتقار,فنهض وكسب,وأعرب عن نجرته وانتسب وأخذ بالطباع في التوليد, وصدحَ غردًا ببيتِ الوليد[6], إلاّ ما غيّر منه وأحال, ولا يعرف الممكن ولا المحال))[7]:**

لكَ اللهُ عُشًا غُصَّ ليلاً بأقرح * بعلياء فرع الأثلةِ المُتهَدِل**

يتفق ابن عبد الغفور في معارضته مع ابن الجد , فنجد زرزوره وقد ضاق به الحال، واحتاج للميرعندما عقم شجر الزيتون, وكشف ابن عبد الغفورعن صورة صاحبه المتخفي في صورة هذا الزرزور, والمعنى على الكناية, يصرح بذلك في قوله :((**فيا للعجب العجيب, ولسان هذا الزرزورالنجيب, أنْطقَهُ فضلُ الوزير بلسانٍ, نَقَلَهُ من نَوْعِ الزرازير إلى نوع الإنسان, فُشَكَرَ وَشَعَرَ, حتى غلا مِرْجَلُ[8] أشَرِهِ واستعر, وأخذ عَنْ وكنِهِ في الرحيل, وباع مُبْرَمًا من العيش بسحيل[9],**

([1]) بحى : البَحَّاء : رابية بالبادية.اللسان، مادة: (بحح): 3/ 37.
([2]) السجع : سَجَعتِ الحَمامةُ رَدَّدَتْ صَوْتَها. اللسان، مادة:(سجع): 13/ 64.
([3]) الذخيرة : ق2/م1/ 354.
([4]) اشتد منه الفَقَار :عظام الظهر. اللسان مادة : (فقر).كناية عن قوته.
([5]) واسودَّ فرعُهُ : اسود رأسه.فَرْعُ كلِّ شيءٍ: أعلاهُ. اللسان، مادة :(فرع): 21/ 94.
([6]) يقصد به البحتري , واسمه (الوليد بن عبيد).
([7]) الذخيرة : ق2/م1/435.
([8]) مرجلُ : القِدْرُ مِنَ الحِجَارَةِ والنُّحاس .اللسان، مادة: (مرجل): 26/ 79.
([9]) السحيل : الحبل الذي يُفتل فتلاً واحدًا, وهي كناية بمعنى عوّض عيشا جيدا بآخر سيّء.اللسان، مادة: (سحل): 13/ 83.

فرَشَقَ[1]...فما احتلّ من الجانبِ الغربيّ شرقًا, حتى اعتقدَ إلى الجنابِ المرضيّ مُنْصَرَفًـا, وشُغِلَ عَنْ النظر فـي عطفيه, بالنظر في أسْرار كَفّيهِ, يَا لَهُ من عازمٍ, خوافي عادَتْ باللائمةِ على القوادم... لأنه سقط من شجر زيتونه, بعقم بطونه, في هذا العام ومنونه,على خالياتٍ من المَيْر[2], موحشاتٍ مثل جَوْفِ العَيْر...))[3].

يستمرالكاتب في وصف حال هذا الشخص الكدي, الذي أنطق بمعانته لسان هذا الطائرالزرزير, وتجلى هذا الوصف في قوله:((**ولمّا نشر جناحًا للإياب وخفت, وتنفّس الصِّعداء والتفت, أشفقتُ منه لغريبٍ غربيب[4],وصعَّدْتُ فيه وصَوَّبْتُ نظرَ المستثيب, فشفعت له بهذا الكتاب, يقيه... يشفعُ ويرفع ويسوّغه قراحًا وقرواحًا[5],ليمرح في هذه مِراحًا[6],وينال من هذه الربى[7] مغدىً ومَراحًا, ولو اقتصر من مذنبٍ على مُقْتَضَى المتاب, لَغْنِيَ عِنْدَ سَيده عن شفاعةِ الكتاب))[8].**

هنا يتحدث الكاتب ابن عبد الغفورعن نفسه نفهم ذلك من كلامه , حيث يقول:

((ولو صَرَّفْتُ فيها الأنفاسَ كلامًا, والأشجارَ أقلامًا, والبسيطة قرطاسًا, والدجّنة أنقاسًا[9], لرأيتني مقصَّراً لم أبلغْ ما أريد, وكنتُ أسألُ عونًا وأسزيد, وبودَّى لتناهى المحبّة والولاء, واعترافي باليادي الجسيمة والآلاء, لوأضحى مكانة كتابي, فأسعدَ بالوقود عليه, وأخترمَ من حيف الزمن الغشوم بالمثول بين يديه, ولكنّه قد حِيل بين عبده البائس وبين مُراده, وشُغِلَ بقوتِ يومه لنفسهِ الشقيَّة وأولاده, فتاخّرعن حضرته السنيَّة تأخُّرَ الكسير[10], ونَظَرَ إلى سنا حوزته البهيّة نظرَ الأسير)) [11].

([1]) الرَّشْقُ : الرَّمْيُ بالنَّبل وغيره .الوسيط، مادة : (رشق): 1/ 348.

([2]) المير: المِيرَةُ :جَلَبُ الطعام. اللسان، مادة :(مير): 26/ 285.

([3]) الذخيرة : ق2/م1 /355.

([4]) غريب : بعيد عن وطنه ـ غربيب : أسود اللون.اللسان، مادة :(غرب):20/ 37.

([5]) القَراحُ: الأرض الصالحة للزرع – القِرْواحُ : الأرض الواسعة ليس بها شجر.اللسان،مادة:(قرح): 22/ 101.

([6]) المِراح : شدة الفرح والحيوية ـ المَراح : فناء الدار أو حظيرتها.اللسان، مادة : (مرح): 26/ 80.

([7]) الرّبى: أشار الدكتور إحسان عباس في حاشية الذخيرة إلى هذه اللفظة زائدة؛ لأن الإشارة بقوله "هذه" هي إشارة إلى قرواح والقراح, ينظر الذخيرة : ق2/ م1/ 355 .

([8]) الذخيرة : ق 2/م1 / 355.

([9]) النِّقْسُ : الجمع أنْقاسٌ. الحبر أو المداد، الدباغ .اللسان ، مادة : (نقس): 28/ 288.

([10]) الكسير: الضعيف المقهور.اللسان، مادة :(كسر): 110/24.

([11]) الذخيرة : ق2/م2 / 215.

د - أبوبكرعبد العزيزالبطليوسي،نشأته وحياته:

هو أبوبكرعبد العزيز بن سعيد البطليوسي, الملقب بابن القبْطرْنَة، أحد فرسان العلوم والكلام, وحملة السيوف والأقلام كان كاتبًا مترسلاً, كتب للمتوكل بن الأفطس, ثم ليوسف بن تاشفين من بعده, وله أخوان أبا محمد طلحة وأبا الحسن محمدًا , أعجوبة في النثر والنظم[1].

● **من شعره :**

كتب إليهم الوزير أبو محمد بن عبدون بأبيات منها :

سُيُوفي بني عبدِ العزيز وما أنا * بنـابٍ إذا التـفَّتْ عِدًا ونـوائبُ**
لعًا لـسرورٍ لـم يقـمْ منـكـمُ بـه * مُحَيٍّ على طولِ المدى أومخاطب**

فأجابه أبو بكر منهم بأبيات , منها :

تَباعدُ فِي طولِ المَدَى وَتُقاربُ * وتذنبُ في بابِ الجفا وتعاتبُ**
بمجدك أرْشِـدْنَـا إليـكَ ودلَّنـا * عليكَ من الدنيا وخذنا نكاتب[2]**

● **وفاته :** توفي بعد سنة(520هـ).

المعارضة الرابعة : زرزورية أبي بكرالبطليوسي :

يدخل البطليوسي حلبة المعارضة من خلال وصف "الزرزور" بقوله: ((**أمَّلك أبا الحسن الأحرار, وامَّك الكبار, وانتجعتْ قطرك الأقطار, وشكرتْك حتى بترجيعها الأطيار**))[3].

جاءت معارضته في موضوع الشفاعة أيضًا ،وصغر البطليوسي زرزوره لغرض الإعجاب والإشفاق, كما صغّر **"سهيَّل" و"ذؤيب وهُذيل..."**[4].

يرى الكاتب البطليوسي أن زرزوره صغّروه للإعجاب والإشفاق, كما جاء في قوله:((**أمَّلك أبا الحسن الأحرارُ, وأمَّك الكبار, وانتجعتْ قطْرك الأقطارُ,وشكرتْك حتى بترجيعها الأطيارُ- ويصلُ بهِ - وصل الله سعودك- من الطّير نطّاق, من غير**

([1]) ينظر ترجمته في الذخيرة : ق2/ م2/ 753، والمغرب: 1/ 367 ، ووفيات الأعيان : 3/ 96.
([2]) الذخيرة : ق2/م2, 765, 766.
([3]) المصدر نفسه : ق 2/م2 /758.
([4]) المصدر نفسه : ق2/م2/ 758.

ذوات الأطواق، يميسُ من المسك في حبرةٍ أوطاق[1], صغّروه على جهة التعجّب والإشفاق, كما صُغّر سُهيلٌ، وذُؤيب وهُذيل, وَقِيلَ العُذيق والجُذيل, وكما صغّروا العُذيب, وقال عمر- رضى الله عنه- أخافُ على هذا العُريب[2], وكقولهم ياسُميَراء, وكقوله- عليه السلام- لعائشة: ياحُميراء[3] مَهَّدتْهُ العذارى الحجور))[4].

رسم لنا البطليوسي زرزوره في صورة مترفة , ألحفها شعورًا بالإنتماء إلى بني الإنسان, وأفصح تسبيحًا وتكبيرًا نرى ذلك في قوله:((**مهدته العذارى الحجور, وألحفتْهُ الشّعور, وربَّتْهُ بين الترائب[5] والنحور, وعلَّلتْه بالرِّضاب[6],وسقتْه بأفواها العِذاب, فما خلع الشّكير, حتى رفض الصَّفير,وهجر الراء الدائمة التكرير, وتحلَّى في المنطق بحليةِ الإنسان, ودخل في من عَلِم البيان[7], وزايل عميّة البلبل والورشفان[8], وافصح تسبيحًا وتكبيرًا, وخرج من جملةِ من قال تعالى فيه:﴿وَلَكِنْ لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[9]...)) (10).**

يقترب البطليوسي بمعارضته الزرزورية من شكل القصة , حيث جعل زرزوره يأخذ كل صفات الشخص الذي يشفع له, جاعلاً منه بطلاً للقصة، وجعله يعيش في أجوائه فترة من الزمن, وله حديث ذو شجون, يتجول في البساتين ذات الأرض اللينة والمنبسطة والأشجار الطيبة ينتقي العنب والتين, حيث يقول:((**فإن طلبتَ- أعزَّك الله-**

([1]) الحبرة والطاق : نوعان من الثياب. اللسان، مادة : (حبرة): 6/ 18.

([2]) العُريب : تصغير العربيّ أو الأعرابي.

([3]) حميراء: تصغير الحمراء يريد البيضاء . ومنه الحديث , رقم :(2474), كتاب الرهون , باب المسلمون شركاء في ثلاث .عن سعيد بن المسيب عن عائشة:((إنها قالت: يا رَسُولَ اللهِ مَا الشيْئ الذَّي لا يَحلُّ مَنعُهُ ؟ قَالَ : المَاءُ وَالمِلحُ والنَّارُ, قَالتْ قُلتُ: يَا رَسُولَ الله هذا الماءُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فما بال المِلح وَالنَّار؟ قَالَ ياحُميْرَاء: مَنْ أعطى نارًا فكأنَّما تَصدَّقَ بجَمْيعَ مَا نَضَّجَتْ تِلْكَ النَّارُ,وَمَنْ أعْطى مِلحًا فكأنَّما تَصدقَ بجميع مَا طيَّبَ ذلِك المِلحُ)) .
سنن ابن ماجة, حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشارعوَّاد مَعرُوف، دارالجيل - بيروت - لبنان، ط1998،1م : 108/4. والمسند الجامع لأحاديث الكتب الستة , تح: بشارعوَّاد معرُوف وآخرين، دار الجيل – بيروت ، ط1993،1م :كتاب المعاملات، ص 23، حديث رقم (16776) .

([4]) الذخيرة : ق 2/ م2 /758.

([5]) توظيف من قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾ سورة الطّارق،الآية: (7).

([6])عللته بالرّضاب : ما يَرْضَبُه الإنسانُ من ريقِه كأنهُ يمْتصُّه. الوسيط، مادة: (رضب):1: 350.

([7]) توظيف من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾. سورة الرحمن، الآية: (2).

([8]) الوَرَشفان : طائر من عجائب الحمام . ينظر كتاب الحيوان ، للجاحظ :162/3.

([9]) سورة الإسراء ، الآية : (44).

([10]) الذخيرة : ق 2/م2/ 759.

اسمَهُ مكبّرًا, وَجَدْتَهُ لَفْظًا مِن الزيادة مكرّرًا, أقام عندنا زمانًا, **لا يتألّفُ إلاّ رندًا أو بانًا[1], ولا يلتقطُ إلاّ عنّابًا أو سيسبانا[2], يتدرّجُ في البساتين, يتطلّبُ العنب المنتقى والتين, فذكرتُ لَهُ يومًا والحديثُ ذو شجون[3], مُنْتبَتَة الزّيتون, وأرضك الميثاء ذات الشجر والعيون, وأطيار محامِدِك فيها السُنَّح الميامين, فصفَّقَ جناحًا, واهتَزَّ ارتياحًا, وحنَّ إلى ذلِك القُطْر,وانْتَفَضَ كَمَا بلّله القَطْر[4],ورجَّع اطرابًا, وسألني إلى مجدك كتابًا, فأنلتُه ما ابتغى, وَقُلْتُ: سلمتَ أخا الببغا, من المنسرالأشغى[5]وبُلِّغْت المدى, وجُنِّبت من حزَّة المُدى[6], وعوفيت من كُلَّ حيّة صفراء, ترنو إلى الطائر في السّماءِ, بمقلةٍ سريعة الأقذاء، ولقّيت الوفاء, غيرالّلفاء, وخوِّلت حتى من التبن والحلفاء, فإنه يسِّبد[7] ريشك))[8].**

((ويبِّرد عشوشك, فانهضْ فقد لقيت مُعْمَرًا, وما شئت مَنْقرًا ومَصْفرًا[9], ورعيت ريفًا, ونزلت بحرًا وريفًا[10], فأخذه الكتاب بمنقار, وصفَّق من ريش الجناحين سرورًا وطار؛ ومن ركب-أعزّك الله- الجناح, وامتطي الرياح, طوى البراح,وهو

([1]) الرَّند:هو الأس أو شجر ُستاك أو يُتبخر به, البان : شجر مستو ليس لخشبة صلابة.الوسيط،(رند): 1/ 376.

([2]) العُنَّابُ : من الثمر ويقال له السَّنجَلانُ. اللسان، مادة: (عنب):19/ 506.والسيسبان: نوع من الأشجار.

([3]) ذو شجون: يقال الحديث ذو شجون, أي ذو طُرُق , يتذكر به غيرُه .المستقصي في أمثال العرب, أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري(538هـ), دار الكتب العلمية، بيروت, ط2, 1977م : 1/ 310.

([4]) تضمين من قول مجنون ليلى :

وإني لتعروني لذاكرك هزة *** كما انتفض العصفور بلّله القَطْرُ

ديوان قيس بن الملوح ، تح: مجيد طراد , عالم الكتب , بيروت , ط1, 1996 م : ص95.

([5]) المنسرالأشغى: المنقار به زيادة تشبه المخلب الناتي, اللسان: (مادة شغا): 13/ 160.

([6]) المَدى(الأولى) بفتح الميم : الغاية, والمُدى (الثانية) بضم الميم، جمع المُدْيَة وهى الشفرة, ومنه قول الشاعر : فَوُقيتَ بقراط الطيور تطَّبُبًا *** إذا عالجَ البرسامَ أو أبْرَأ البرص

منَ المنْسَرِالأشغى ومن حزَّة المدى *** ومن بندق الرامي ومن قصّة المقصْ

فهذى دواهى الطير وُقّيتَ شرَّها *** إذا الدهرُ من أحداثه جرَّع الغُص

الذخيرة : ق3/م1/475.

([7]) يسبّد ريشك : ما يجعله ينمو ويطلع. اللسان، مادة: (سبد): 110/13.

([8]) الذخيرة : ق2/م2/ 759.

([9]) منقرا ومصفراً : كناية عن الاقتيات والشّدو : ومنه قول طرفة بن العبد:

يا لكِ مِنْ قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ *** خَلا لكِ الجَوُّ فبَيضي واصفِري

ونقّري ما شِئتِ أنْ تُنقري *** قَدْ رَحَلَ الصيَّادُ عنْكِ فأبشِري

الديوان ، بشرح الأعلم الشنتمري ,تح: لطفي الصقال, المؤسسة العربية، ط 1975 م : ص157, 158.

([10]) البحر الوريف : الواسع المهتز النَضِر.مادة اللسان: (ورف): 108/30.

آتيك كالبرق في لَمْعَةٍ, تصفيقة الطائرالمستحر سُرعَة, فإن حلَّ البساط ,فابنُ سريج والغَريض[1], وإن احتفلَ السّماط فأبو جلدة[2]وابن بيض[3]...))[4].

ويستمرالكاتب في وصفه: ((**حتَّى تلبس من أغاريده الحلل المنشّرة, وينشرعلى منابرأدواحك شبيبًا[5] وابن لسان الحُمَّرة[6], وتنبتُّ أرضك مندلاً[7], وجوَّك صَندلا** وثراك خزامي وقرنفلاً, وتهبَ له ريُحك جنوبًا, **ويحقُّ لشأسٍ[8]** ،أمله من نداك **ذنوبًا[9]** حتّى يرجّع بتطريب, **وينشد في الخفيف الأوّل لحبيب[10]:**

وما يَلحظُ العَافِي جَدَاك مُؤَمِّلاً * سِوَى لَحْظَةٍ حتى يَؤُوبَ مؤمّلا[11]**

وأهديك ودادًا مُزج باشتياق,وأقرئك سلامًا يُنسي سلام حبيبٍ[12]على الحسن بن وهب **[13] والعراق))[14].**

([1]) سريج : هو عُبيدُ بن سُريج من أشهر المغنيين في الإسلام، وأول من ضرب على العود بالغناء في مكة.ينظر الأغاني: 231/1 ، والألإعلام : 3/ 120.

والغريض:هو لقبٌ لُقب به عبد الملك وكنيته أبوزيد، شُبّه بالإغريض وهو الجُمَّار فُسمّى به.وهو مُوَلّدًا من المُوَلّدي البربر،مغن مشهور في صدر الإسلام. ينظر الأغاني :318/2.

([2]) أبو جلدة :هو أبو جلدة بن عبيد بنُ مُنقد اليشكري، شاعر أموي سِكير، قتله الحجاج من ساكني الكوفة، ينظر الأغاني،أبو الفرج الأصفهاني، دار الثقافة – بيروت ، ط1957م: 291/11- 312. .

([3]) ابن بيض :هو حمزة بن بيض الحنفي، أحد بني بكر بن وائل, شاعر مجيد ماجن.ينظر فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي(ت764هـ)، تح : إحسان عباس،دار صادر– بيروت، ط1973م، 395/1، والأغاني :143/16.

([4]) الذخيرة : ق2/م2/ 760.

([5])هو شبيبُ ابن شيبة التميمي, أبو معمر؛ أديب الملوك وجليس الفقراء. ينظر البيان والتبيين : الجاحظ , مكتبة الخانجي, القاهرة, ط2، 1986م : 1/ 112، 113.

([6]) هو عبيد الله بن حصين بن ربيعة بن جعفر بن كلاب التيمي, أو ورقاء بن الأشعر. وفي أمثالهم أنسب من ابن لسان الحمرة. تاج العروس : 81/11.

([7]) المندل : عود طيب يتبخر به. اللسان، مادة: (ندل): 27/ 110.

([8]) هذه إشارة إلى علقمة بن عبدة يشفع في أخيه شأس عندما أسره الحارث بن أبي شمر الغساني :

وفي كُل حيٍّ قد خَبَطْت بنعمةٍ *** فحقّ لشأسٍ من نَذاك ذنَوبُ

ديوان علقمة, تح: لطفي الصقال , دار الكتاب العربي ، حلب, ط1، 1969م : ص48 .

([9]) الذنوب : الدلو العظيمة, أو الدلوالتي يكون الماء دون مِلئها. الوسيط، مادة: (ذنب)1/ 316.

([10]) يقصد أبا تمام (حبيب بن أوس الطائي).

([11]) ديوان أبي تمام : 3/ 99.

([12]) إشارة إلى قول أبي تمام :

سَلامٌ ترجُفُ الأحشَاءُ مِنْه *** على الحَسَنِ بن وَهْبٍ والعرَاق

علَى البَلَدِ الحَبيب إليَّ غَوْرًا *** ونَجْدًا والفَتَى الحُلو المَذاق

ديوان أبي تمام : 2/ 425.

([13])هو أبوعلى الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي.شاعر وكاتب, كان معاصرًا لأبي تمام, وهو أخو سليمان(وزير المعتز والمهتدي) , وعندما مات رثاه البحتري(ت250هـ). ينظر الأعلام : 226/2.

([14]) الذخيرة : ق2/م2/ 759- 761.

ويمكن القول: إن أول من أطلق تسمية "الزرّزوريات"على رسائل ابن سراج ومعارضته, الدكتور إحسان عباس في كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي- عصرالطوائف والمرابطين), فذكرذلك في- قسم النثر- فقرة من الرسائل بعنوان: "الزرزوريات" كتب تحته:((أصل هذا النوع من الرسائل استثارة لفظية عابرة طوّرها الكُتاب لإبراز البراعة في التفكه والسخرية))[1].

ولم يكن في حسبان أبي الحسين بن سراج - وهو بهذا الأسلوب التقليدي الدارج للشفاعة - أن يثيرهذه الهبّة المفاجئة من ردود الفعل المتعاطفة والمُعْجَبة بظرف الرسالة وطرافتها الباعثة على الارتياح. فما عدّه الوزير وسيلة لتحقيق غايةٍ , صار غاية أدبية في حدّ ذاته.

ويلاحظ على االمعارضات الزرزورية وكُتَّابها, أولهم الوزيرالكاتب أبي الحسن بن سراج, وزملائه هو إظهارالجديد, ومبارحة الصيّغة الدّارجة للشفاعة, ومراودة أفق آخرعُمدته الإطراف والتعجب, للشفاعة والعناية. لكن ابن سراج ومن معه قد انتهجوا طريقة مبتكرة ؛ منها ما سلكه أدباء الزرّزوريات من جعل المُشّفَع له طائرًا مهاجرًا رقيقًا يودّ انتجاع البساتين, بل ويصيرأشبه بالمكدين . بعد أن أصاب بلاده القحط والجفاف.

فالغرض من هذه المعارضات هوالتوسط لرجل فقير لدى رجل من الأعيان ؛ بغية اعتنائه به, والجود عليه ممّا يملك من نفوذ وميرة ونقود. ويكون المقابل في ذلك أدبًا وشعرًا من قبل الرجل الفقيرالمشبّه بالزريزير؛ إمعانا في استدرارعطف ومحبة من بُعث إليه, واتخذ منحى رمزيًا يصورمكان عيش الأديب وقريته, وضيق عيشه وضياع صوته.

فجاء بناء النص النواة الذي فجّر تلك الصيّحة الأدبية والنقدية في ربوع الأندلس, وقد نجح ابن سراج في ابتكارهذه اللمسة الأدبية ، التي زلزلت الأوساط الأدبية آنذاك في الأندلس, فترامتْ القرائح لمعارضتها, وتلقى الأدباء الأندلسيون نص الزرزورية بحفاوة, ففعلت الزرزورية الأمّ في الأوساط فعل النار في الهشيم. وأرى أن هذه

([1]) تاريخ الأدب الأندلسي "عصر الطوائف والمرابطين",إحسان عباس: ص295.

المعارضات اتخذتْ مجالاً من القول في موضوع هين, من حيث الأوصاف التي تعنى بالتتبع والاستقصاء, واستعراض البلاغة والتمكن من البيان .

وتعتبرالمعارضة الزرزورية لأبي بكرعبد العزيز بن سعيد البطليوسي, ضمن المعارضات المقنعة , فإن نصَّ البطليوسي يباين محاولتي ابن الجدّ وابن عبد الغفور؛ في طريقته وأسلوبه, ومن حيث النظر والمعالجة ؛ ذلك أن البطليوسي لم يباين ابن سراج في مادة النصّ فقط , بل خالفه في الأسلوب وفن الكتابة , مع هندسة بناء النصّ الأم من حيث اللفظ والمعنى, على سبيل استعراض البلاغة الأسلوبية من خلال وصف (الزرزو).

وقد يكون البطليوسي نظر إلى نص ابن سراج وأحد النصين الأخرين- ضمن نصوص أخرى لم تصلنا - دفعة واحدة ؛ بدليل قول ابن بسّام:((وعُرضَتْ عليه بعض تلك الرسائل التي تقدّمت في صفة الزرّزور فكتب في ذلك رقعة))[1].

([1]) الذخيرة : ق2/م2/ 134.

المبحث الرابع

معارضات المعتضديــات

أولاً ـ معناها في اللغة.

العَضُدُ : القوة ؛لأن الإنسان إنما يقوى بعضده ، فلذالك سميت القوَّة به. واعْتظيْتُ الشيء: جعلته في عضدي[1], وجاء في القرآن الكريم:﴿سَنَشُدُ عَضُدَكَ بأخِيكَ﴾[2].

ثانيًا ـ مضمونها.

كان للمناخ السياسي المضطرب الذي هيمن على حقبة ملوك الطوائف أثر كبيرٌ في بروزالطموحات الفردية بروزًا دفع الابنَ إلى التآمرعلى أبيه والوثوبِ على مُلكِه, والأخ إلى أن يضع يَدَهُ في يد عَدُوّ أخيه[3]. يُعَدُّ موقف المُعْتَضدِ بن عبّاد من ولده إسماعيل أكثرالمواقف إيلامًا وتأثيرًا , إذ أمربقتله ومَنْ والاه من((**قُرَناء سوءٍ أعْدَوُهُ..وجلساء مَكْرٍ أغرَوْهُ وأغوَوْهُ**))[4]. ثم نُودِيَ ابنُ عبد البَرَّالنَّمِري فجيئَ به, ودعاه إلى كتابة رسالة يصف فيها ما حدث من خلاف وخصومات على الملك, قال ابن بسّام: إن هذه الرسالة موجهة إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر صاحب بَلَنْسيَة[5],شاهد ذلك المجلس الذي دعا إليه المعتضد الوزراء والخاصّة, ومُبَرِّرًا ما أقدم على فِعْله[6], فكتب- ارتجالاً- معارضة تُعَدُّ من أجود رسائله وأسْيرها، وهي تحمل مدلول(المأساة).

ثــالــثًا ـ روادهــا.

([1]) اللسان،مادة :(عضد): 18/ 307.

([2]) سورة القصص، الآية :(35).

([3]) مثال ما دار بين علي بن مجاهد وأخيه حسن الذي تآمر مع المعتضد ضده , وعادا بخفيْ حنين ,((مدَّ أخي حسنٌ ببيعتي يدًا , وأظهرفي طاعتي مُعتَقدًا)). وما دار أيضًا بين المقتدر بن هود وأخيه المُظفر , فحاول أن يسلك سبيل المودة , فأبى مما أضطر المقتدر إلى مقاتلته , واستولى على قاعدة لأردة , ((فلما رأيته عن سوء معتقده .. وفساد رأيه غير راجع)). ينظر الذخيرة: ق3/م1 / 169, 170. وأدب الرسائل ,فايز القيسي: ص 155

([4]) ينظر الذخيرة : ق 3/م1/ 140.

([5]) هو عبد العزيز بن الناصر بن المنصور محمد بن أبي عامر، تولى شؤون بلنسية منذ سنة (417هـ / 452هـ). ينظرترجمته في البيان المغرب: 3/ 163، وأعمال الأعلام ،لابن الخطيب: 1/ 195، والمغرب: 2/ 300.

([6]) ينظر الذخيرة : ق3/م1 / 136 .

أ- عبدالله بن عبد البرالنمري، نشأته وحياته:

هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البرالنَّمري, كان والده أبوعمر يوسف بن عبد البّر إمام الأندلس, من أهل قرطبة. كان كاتبنا من أهل الأدب البارع, والبلاغة الرائعة, والتقدم في العلم والذكاء , صاحب حيلة وذهاء, وكان والده عالمًا مشهورًا, علا نجمه, وحظي بمكانة رفيعة في بلاط مجاهد العامري, وحاول أبو الوليد بن زيدون, إراقة دمه. قيل إنه دخل إشبيلية، وعندما شعر فيها بالخوف غادرها ، ونجا من يد عباد, وذكر ابن الأبار أن والد الفقيه يوسف ابن عبد البرّ سافرمن شرق الأندلس إلى إشبيلية لتخليص ابنه من عباد , فأطلقه له[1].

- **من شعره :**

لا تكثرنَّ تأمُّلاً * واحبسْ عليكَ عنانَ طرفِكْ**
فلربّما أرسَلتَهُ * فرماكَ في مَيْدان حتفك**[2]

- **من نثره :**

له رسائل كثيرة منها في صحبة الدهر, وفي التهنئة والهدايا, وفي الزفاف, والألفة. كما كتب في وصف المحن والنكبات التي حلَّت بالمسلمين, وفي الحضَّ على الجهاد ضد الصليبيين. قوله في تهنئة للمعتضد بأخذ شلب:((كتابي– أعزّك الله – عن حالٍ قد أطلَّ جناحُها, وآمال قد أسفر صباحها, ويدٍ قد أروى زندُها ,ونفسٍ قد انتُجِزَ وعدها...)) [3].

- **وفاته:** كانت وفاة أبي محمد سنة أربع وسبعين وأربعمائة(474هـ)[4].

([1]) ينظر الذخيرة : ق3/ م1/ 125،126, والقلائد: 2/ 538، والمغرب في حلي المغرب : 402/2, 403، والأعلام : 207/1.

([2]) الذخيرة : ق3/م1/128.

([3]) المصدر نفسه : ق3/ م1/ 129، وجذوة المقتبس: ص 268

([4]) المصدر نفسه : ق3/ م1/ 126، وقال صاحب القلائد : إنه توفي سنة(ت458هـ) . ينظر2/ 538. هذا مخالف لما ذكره ابن بسّام .

الرسالة الأولى ـ معتضدية ابن عبد البرّ :

يقول ابن عبد البَرّ:((**إذا تقوضيَ- أيدك الله- حقُّ المشاركة, وتعوطيّ حقُّ المساهمة بَيْنَ إخْوَان الصفاءِ, في صغارالأبناء, فأخلق بتقاضيه في العجائبِ العُقم...**))[1].

كتب الأديب على لسان المعتضد معارضة شرح فيها كيفية قَتْلهِ لابنه إسماعيل, والحالة المأسوية التي مر بها المعتضد, والظروف الصعبة غير الطبيعية لحظة تدوين المعتضدية, وهي ترصد لنا أحداث هذه المأساة , فقد كان المعتضد بالله بعد قتل ابنه إسماعيل, في حالة نفسية مائجة هائجة , مما جعله يستدعى الوزير ابن عبد البرّ، ويأمره بالكتابة , في هذه الحادثة الشديدة السوداء, ووصفها بأنها من العجائب العقم التي ليس لها مثيل, فأصيب بمصائب الأيام , بمصيبة عمياء صماء بعد أن كان في نعيم يتفيء به فاجعة الزمن؛ إذ يقول: ((**وطرأتْ عليَّا[2] سيدي وأغلى عددي من خطوب الأيام طارئة دَهياءُ[3]دَهماءُ[4]وفجأتني من ضروب الأقدار فاجئة عمياءُ صماءُ..وطلعتْ عليَّ من مأمَني ...وأديرها متفيئًا بها من تلقائها وتجاهها...**))[5].

يتوجه الكاتب لله ـ عز وجل ـ بالشكروالحمد والثناء قائلًا:((**إلا إنَّ الله بصُنعِه الجميل الذي لا أنفكُّ أشكرُهُ وأحمده، كفاني أولاً، ثم شفاني آخرًا,له الحمدُ دائبًا, والشكرُ واصبًا...**))[6].

نرى المعتضد يصف ابنه في هذه المعارضة بأسلوب ذمّ وتوبيخ مباشر, ويصرح باسمه, وهذا التصريح له مدلولات , فوصفه بالغباوة ،وبأنه الابن العاق اللعينُ الذي انجبه من صلبه, وقد مال كل الميل بالمحبة إليه, وقدّرَهُ وقدمه على من هو أكبرمنه سِنًا من إخوته, وحبه له هوالذي جعله أصمّ وأعمى, وطمس عينيه عن رؤية الحق بعين واضحة, قائلاً في ذلك: ((**وشرْحُ ذلك أيدّك الله أن الغبيَّ العاقَّ,اللعينَ**

([1]) الذخيرة : ق 3/م1/ 138– 143. - أوجزها ابن بسّام تخفيفًا للتطويل.

([2]) عليّا: هكذا وجدت في نص الرسالة، والصحيح، (عليَّ).

([3]) دهياء : من شدائد الدَّهْر .الوسيط مادة :(دها) : 301/1.

([4]) دهماء: وهى ليلة تسع وعشرين من الشهر القمري حيث يلف االظلام كل شيء, الوسيط،مادة:(دهم)،300/1.

([5]) الذخيرة : ق 3/م1 / 138.

([6]) المصدر نفسه : ق3/م1/ 138.

المشاقَّ, إسماعيلَ ابني بالولادِ لا بالوداد, ونجلي بالمناسبِ لا بالمذاهبِ, كنتُ قد ملتُ بهوايّ إليه, وقدَّمْتُهُ على مَن هو أسنُّ منه, وحبُّكَ الشيءَ يُعمي ويَصُمّ, والهوى يطمسُ عينَ الرأي أو يُلِمّ[1]..))[2].

يستمرالكاتب في ذكر فضل الأب على ابنه فلقبه بأفضل الأسماء, وأجزل له العطايا من الذخائر والأموال, وجعل منه أميرًا قائدًا للحروب, وعلمه الشجاعة والإقدام وركوب الأهوال, نراه يقول في ذلك: ((**فآثرْتُهُ بأرفعِ الأسماءِ والأحوال, ووسَّعْتُ عليه في خطيراتِ الذخائر والأموال, وأخضعتُ له رقابَ أكابرالجندِ ووجوهَ الرجال, ودرّبتُهُ في مباشرةِ الحروب, وأجرأتُهُ على مُقارعةِ[3] الخطوب..**))[4].

ولم يحسب المعتضدّ أنه ذات يوم سوف يتواجه بالسيف مع ابنه ولي عهده , وكأنه بالتدريب الذي تلقاه الابن من الأب يعاقب به الأب , ويصفه المعتضد كأنه جمرة في حضنهِ ،وقد آثرهُ على نفسهِ في جميع المقاليد؛ لأنه كان يتوسم فيه العظمة والشهامة, ولكن الجزالة فيه جهالة, والشهامة هي شرٌ وضعف, قائلاً في ذلك: ((**ولم يكنْ فيما أحسبهُ أنّي إنما أشدُ على نفسي منه شَفرةً, وأوقد منه لجزالةٍ كنت أتوسّمها فيه.. وشهامة كنت أتوهمها...فإذا الجزالة جَهالة,بالتدريب والتخريج تحت حِضْني جمرة.. واستعملته في المكافحة والغِوار, إلا والشهامَةُ شِرَّةً وكهامة...**))[5].

نلتمس من كلام الكاتب بأن هذه الفعلة هي أمر طبيعي في الدنيا , فقد يحدث لهم ما حدث لنا فالجزاء من جنس العمل ؛لأن النفوس قد تصفو إذا وجدت من يرشدها إلى الخير والرشاد, وسرعان ما ينقلب الطيّب إلى خَبيث بتأثير رفاق السوء؛لأن الشيطان

([1]) يُلِمُّ : معناه يقتل أو يقرب من القتل والإلمام. ومنه الحديث في صفة أهل الجنة : رقم (1052) باب تَخَوُّف مَا يَخْرجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنيا : لولا أنه شيء قضاه الله الألم أن يذهب بصره لما يرى فيها أي: لقرب أن يذهب بصره . وأصل الحديث:((إني أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها)). فقال رجل أو يأتي بالشرّ يارسول الله فقال الرسول عليه السلام: ((إنِّ الخَيْرَ لاَ يَأْتي إلاَّ بخَيْرٌ. أوَ خَيْرٌ هُوَ؟ ! . وإنّ كُلْ مَا يُنْبتُ الرَّبيعُ يقتلُ حَبَطًا أوْ يُلِمُّ, إلاَّ آكلة الخَضِر.أكَلَتْ.حتى إذا امتلأتْ خَاصِرتَاهَا استقبلت عين الشَّمْسُ. تَلَطتْ أوْبَالتْ ثُمَّ اجْتَرَّتْ...)). صحيح مُسْلم: 477/1, 478. وفي الحديث مثلان أحدهما للمفرط في جمع الدنيا وفي منعها من حقها, والأخر للمقتصد في أخذها والانتفاع بها. ينظر مجمع الأمثال، الميداني : 16/1.

([2]) الذخيرة : ق3/ م1/ 138 .

([3]) المُقارَعَة : المُساهَمَةُ. اللسان، مادة: (قرع):22/ 136.

([4]) الذخيرة : ق3/ م1/ 138.

([5]) المصدر نفسه : ق 3/م1/138- 139.

أغواهم وأضلهم, كداء الجرب الذي يصيب البعير، فهو ينتقل بسرعة شديدة إلى بقية البعير, نجد ذلك في قوله: ((**وقد يُفتَنُ الآباءُ بالأبناءِ[1], وَيَنْطوي عنهم ما ينطوون عليه من الأسواء..والنفوس قدْ تَطيبُ ثم تَخْبثُ ,لقرينٍ يُصْلِحُ أو يُفْسِدُ, وخليطٍ يُغوي أوْ يُرْشِدُ, وَكَمَا أن داءَ العرَّ[2] قدْ يُعدي كَذَلِكَ قرينُ السوءِ قد يُردِي, ومن اتخذَ الغاوي خَدينِا[3],عاد غاويًا ظنينًا...**))[4] .

ونلاحظ على ابن عبد البرّ يستدل بالنص القرآني, وتخفيفًا لإحساسه بالمعاناة المأسوية, يضرب مثلاً في ذلك بالأنبياء عليهم السلام ما آل إليهم أمر بعض بَنِيّهُمْ, وهم الذين اختارهم الله تعالي لحمل الرسائل السماوية, وأهّلهم لنزول الوحي السماوي, وكذلك مشافهتهم , فكيف بالإنسان العادي الذي ليس له علم بحقائق المذاهب, التي لايعلمها إلا المولى عز وجل, ويصف الكاتب أن الماء قد يخبث ويتغيرطعمه بعد الصفاء, ويزّيّنُ ويروق منظر الدِّمن الخضراء التي تخرج من مكان غيرصالح , وتردي ثمر الدوحة في الأرض الطيبة, نجد ذلك في قوله:﴿**وَمَنْ يَّكُن ٱلشَّيْطَانُ لَهُ قرينًاً فَسَآءَ قرينا**﴾[5]، **وقد انطوى عن بعضِ الأنبياءِ عَليهم السلام ما آل إليه أمرُ بعض بنيهم[6],هَذا والوحيُ يُشَافِههم ويُنَاجِيهم, فكَيفّ بنا وإنما نقضي على نحوِ ما نسمع...وقد يخبثُ طعمُ الماء َمعَ الصَّفاءِ, ويَرُوقُ منظرُالدِّمنةِ الخضراء, ويذوي ثمُرالدوحةِ[7]الغناء,...**))[8].

ثم يصف الكاتب مرحلة حياة ابنه منذ نعومة أظافره إلى أن وصل إلى كرسي الحكم, وكيف قَلبَ النعمة إلى نقمة ؟ فكان ذلك عدم القناعة, وحب التفرد بالخلافة.

([1]) ضمنّه من قوله تعالى:﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهِ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.سورة التغابن،الآية:(15).

([2]) داء العُرَّ : الجرب.اللسان، مادة: (عرر):149/18.

([3]) خدينا : الخَدينُ ،الحبيب والصاحب. الوسيط، مادة: (خدن): 1/ 220.

([4]) الذخيرة : ق3/م1 / 139.

([5]) سورة النساء ،الأية: (38).

([6]) مثلما جاء في ابتلاء إبراهيم عليه السلام بأبيه وقومه له, وبالإلقاء في النار. قال تعالى:﴿قَالُواحَرِّقُوه وانصُرُوا أَلِهَتَكُمْ إن كُنتُم فَاعِلِينَ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. سورة الأنبياء، الآية: (67).

([7]) الدوحة: الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة, وتقول العرب هو من دوحة الكرم، اللسان: 9/ 205.

([8]) الذخيرة : ق3/م1 / 139.

كما وصف المؤامرة التي دبَّرها إسماعيل مع جماعته الفارة معه ضد والده, والتآمرعليه مع رفقة السوء, ووعوده الكاذبة لوالده , قائلا في ذلك: ((**ولما وثب هذا اللعينُ الغَبينُ[1], من المهدِ, إلى سرير المجدِ, ودرج من الأذرُعِ,إلى المحلّ, ورآه استغنَي[2], وأثرى من زينة الدنيا, أشرَهُ ذلك وأبطرَهُ, وأطغاهُ وأكفرَهُ, وطلبَ الازديادَ, وأحبَّ الانفرادَ والاستبداد, وَقيِّضَ له قُرناءُ سوءٍ أعدَوْهُ وأردَوْهُ, وأتيحَ جُلساءُ مكرٍأغرَوْهُ وأغوَوْهُ, وأشعرُوه الاستيحاشَ والنِّفارَ, وزيّنوا لَهُ العقوقَ والفرار,لِيَنفَردَ ويَنفَردُوا معه بالبلدِ, ولا تكونّ على أيْدِيهُم...**))[3] .

يستمرالمعتضد في تفصيل ما جرى بينه وبين ابنه من خصومات , فحين كان الابن يخرج في بعض الاحيان غاضبًا تاركًا القصر, ثم يعود إليه بعد فترة وجيزة وفي هذه المرة خرج قاصدًا الجزيرة الخضراء ليسيطرعليها ويمتلكها, وعندما وصل خبره إلى المعتضد لحق به, وسمع الابن بأن والده يلاحقه, اتجه إلى ذي الوزارتين أبي أيوب, وأحاطه المعتضد وحاصره, وما كان من الابن إلا الاعتذار والرضوخ لأوامر والده, ويقبل المعتضد بذلك, ويعفوعنه ويعود به إلى الرفاهية والاستبداد .

ونلاحظ المعتضد يعترف بأنه كان مقصرًا في تأديب ابنه , فمن جهة يأدبه بالهجران والإعراض عنه, ومن جهة أخرى فهو في النعيم والاحسان ينعم , والابن من جهة ثالثة يجهز جماعة من صبيان عبيد القصر للتخلص من أبيه المعتضد, وأقام لهم ليال المدام, وأغرقهم , وأغرق نفسه في شرب الخمر فسقط وهلك, ولم يستطع رده من فيه أدنى خيرعلى هذه الفتكة الشنيعة , ويأتي الكاتب بصورتين يشبه في الأولى الابن إسماعيل بالعقرب, والصورة الثانية بالحية لاتجدي معها المدارة , فتنقض على مرودها في أي لحظة, ويقول في ذلك: ((**فخرجَ ليلاً بأهله وولده خروجًا شنيعًا فُتَّقَ فيه قصري, وخرق به حجابَ ستري, يؤمُّ الجزيرةٌ الخضراء**

([1]) الغبين : ضعيف الرأي. اللسان، مادة: (غبن):20/ 16.

([2]) ضمنّه من قوله تعالى :﴿ أن رَّءَاهُ اسْتَغْنَى﴾. سورة العَلِق، الآية : (7).

([3]) الذخيرة : ق 3/م140/1.

ومايليها[1]..فوردتُ وطيّرْتُ في الحين إلى الجهة مَنْ يصدُّهُ عنها, ويمنعه منها فسبقه الخبر,وفاتهُ الوطر[2], وأوى إلى ذي الوزارتين القائد أبي أيوب ابن أخي...وسرَّبتُ الخيلَ مع ذلك للإحاطة به وحّصره, حتى ألجاهُ ذلك إلى التنصّل والاعتذار, وأجاءَه إلى الإقالةِ[3], والاستغفار فأقبلته[4]..وصرفتُهُ إلى جميع حالِهِ ومآله ولم أؤدّبهُ إلا بالإعراض والهجران, وإن كنتُ قد أنّستهُ مع ذلك بمزيدِ الإنعام والإحسان فإذا به كالحية لاتُغني مدارتُها لا تُسالِمُ شباتُها[5]...فلم أشعرْ به إلا وقد ألَّفَ أوباشًا من خِساس صبيان العبيدِ الممتهنين في أدْوَن وجوهِ التصريف..ثم سقاهم الخمرَ وسقى نفسه ليجتري ويجريّهم..وسلّحهم بضروبٍ من الأسلحة المتصرّفة في أماكن الضيق والسعة...))[6] .

وتكشف لنا هذه المعارضة حقيقة ابن المعتضد إسماعيل, الذي جهزجماعته وسلَّحهم بأنواع الأسلحة المختلفة , وأرادوا اقتحام القصر, وتسلقوا جدرانه , معتقدين أن المعتضد في غفلة عنهم ؛ ولكنّه علم بهم وخرج لينظر في الأمر, فوقعت عينه على ابنه إسماعيل وجماعته المسلحة ففروا هاربين من أمامه خائفين, وخابت أمانيهم وضلّت مساعيهم, وهرب إسماعيل فارًا بنفسه, وألحق به المعتضد جيوشهِ، ووقع في قبضة الجيوش هو والجناة الذين معه, وحتى من فر منهم هاربًا بالغنيمة من يد المعتضد وقعوا في قبضة الجنود, الذين كانوا قد أمرهم المعتضد بتفقد بلدة باديس, وجميعًا وقعوا في الأسر من صبيان عبيد القصر, وأقام عليهم الحد، ونفذ حكم الله فيهم, وقال في ذلك :((**وطرقَ القصرَ في بضعَ عَشرَةَ منهم, وتعلَّقَ معهم الأسوار والحيطانَ...فشعرت بالحركة وخرجتُ, فلما وَقعتْ عينهُ وأعينهم عليَّ تساقطوا هاربين...وضلّتْ أعمالُهُمْ ومساعيهم, وأعجلتهُم عواقبُ كفرهم وتعدِّيهم, وخرق اللعينُ سورَالمدينة فارًا بنفسه، وأخرجتُ الخيلَ في أثره فلحق غيرَ بعيد, وسيق إليَّ**

([1]) هي مدينة بالمغرب بقرب من مليانة ،جليلة كثيرة البساتين ، سميت الخضراء، وهى معقل القاسم بن حمود المأمون, وبها كانت امرأته وذخائره. ينظر الروض المعطار : ص223 . وجذوة المقتبس: 5/ 22, 23.

([2]) الوطر: الحاجة . اللسان، مادة :(وطر): 173/30.

([3]) الإقالة : الصَّفح والإعفاء. اللسان، مادة:(قيل): 23/ 435.

([4]) أقبلته: أقبل به إذا راوده على الأمر. فلم يَقْبَله,اللسان، مادة :(قبل): 22/ 26.

([5]) شباة العقرب: إبْرتَهَا. اللسان، مادة (شبا):108/15.

([6]) الذخيرة : ق 3/م1/ 140, 141.

في حال الأسير المصفود, وكذلك سائر الجناة...ولقد اتفق من صنع الله الجميل في من غَدَرَ وختر,أن فرَّ اثنان منهم فتجاوزا وادي شوش من شرقي قرمونة[1], وكنتُ قد أخرجتُ خيلاً للضرب على بلد باديس...وأقمتُ حدودَ الله تعالى على الجميع منهم, وأنفذتُ حُكمَهُ العَدلَ فيهم والحمد لله كثيرًا...))[2] .

فيتعجب المعتضد من زمنٍ انحرف فيه الأبناء ,وكثرتْ فيه الفتن وانقلب فيه الود إلى حسدٍ. إذن هذا الابن له دلالات في نفس المعتضد فهو بالنسبة له الجاني ـ الحاقد- الحاسد ـ والثائر واللعين ـ والعاق . فقد أحاط به رفاق السوء ما دفع بنفسه ودفعوا به إلى ارتكاب المعصية, واستباحة الدَّم ,وانتهاك الحرمات, ولولا حكمة المولى-عز وجلّ -لامتدت يد هذا الجاني على نفسه وعلى أبيه وكافة البلاد, ونجد الكاتب يكرر الصفات السيئة للابن في أكثر من موضع , ما يؤكد أن القلوب باعدت بينها مسافات الاختلاف بما صنعته يداه وأيدي الحُسّاد والوشاة ؛ إذ يقول:((**فاعجبْ يا سيدي لأبناء الزمن, وأنباءِ, وانقلاب عينِ الابن المقرّبِ المودود, إلى حال الواتر الحسود[3]...وانعكاس بعض الهبات خبالاً[4]...فلم يكنْ أكثرُ ما وجدناه من ذلكَ في الأخبار والآثار إلااستيحاشًا وشرودًا, ونبوّا وندودًا[5],إلا ما شذّ لأحدٍ ملوك الفرس[6]وآخرَمن ملوك بني العباس...التسامح فيما كان يجري على العوراتِ المصونات, ولولا دفاع الله تعالى[7]لامتدت أيدي السّفال فضلاً عن أعينهم, واتّسعَ**

([1])هي مدينة بينها وبين تهودة بالمغرب مرحلة ,لها حصنان لهما جامع وأسواق ومزارع. وهي أخر بلاد الزاب . ينظرالروض المعطار : ص75.

([2]) الذخيرة : ق3/م1 /141.

([3]) الإنسان الواتر: الجاني الظالم.اللسان، مادة: (وَتَرَ):30/ 25.

([4]) خبالاً : فسادا، اللسان: مادة :(خبل): 8/ 23.

([5]) الندود : النفور والشرود . مادة : (ندد):27/ 106.

([6]) قُتل كسرى الثاني عظيم الفرس في شهر فبراير عام 628م على يد ابنه شيروه , بعد ان دعى عليه محمد عليه الصلاة والسلام . ينظرالبداية والنهاية ,لابن كثير, تصحيح: هيئة بإشراف الناشر, منشورات مكتبة المعارف، ط3, 1993م : ص126- 158. وتاريخ الطبري : تاريخ الرسل والملوك : لأبي جعفر محمد بن جزيرالطبري, تح : محمد أبو الفضل إبراهيم , دار المعارف بمصر, ط2, 1967م : 2/ 188-193م.

●وعن عبد الله بن عبد عُتبة بن مسعود أنَّ عبد الله بن عباس أخبرهُ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابة رجُلاً, وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين , فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى, فلما قرأهُ مزقه. فحسبتُ أننَّ ابن المُسيب قال فدعاء عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُمزقوا كلَّ ممزق . ينظر كتاب الجامع الصحيح المختصر, محمد إسماعيل البخاري ,تح: مصطفى البغا , دار ابن كثير – بيروت – لبنان , ط3 , د.ت :36/1.

([7]) ضمنّه من قوله تعالى : ﴿وَلَوْلاَ دِفَعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ .سورة البقرة ، الآية: (249).

خَرْقٌ لا قوةَ على رتقه معهم))[1]. استشهد الكاتب ببيت شعرٍلأبي تمام, ويقصد أن الخلافة شيء جليل يُعادِي فيه القريبُ قريبه والابنُ أباه, ويعود الابن عدَّوًا معانِدًا يُقاتل له ويدافع عنه, حيث قال الشاعر:

هو الشيء: مولى المرء قرن مباين * له وابنه فيه عدوٌّ مقاتلُ**[2]

وهو زمانُ فتنة, وشمولُ إحْنَةٍ[3]**ودمنة, والناسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم لَكُمْ** وأصدقُ من هذا قوله تعالى:**﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾**[4].

ويختم الكاتب معارضته بتعين المعتضد ابنه محمدًا في الولاية خلفًا لابنه إسماعيل، ويتمنى من الله أن يكون ذا خُلقٍ عظيمٍ, وقدرة على إدارة الأمور ليسد به مكان ابنه إسماعيل .ثم ينتقل ليعتذرإلى ابن أبي عامرعلى إطالته في الكتابة والسرد؛ لأنه كان مصدور ومنكوبًا من صنيع ابنه به, وردت فعله عليه , ورغم الإطالة فيرى أن هذا الخبر فيه عبرة وعظة, وأنه من قضاء الله وقدرته ـ عز وجل ـ فهو العالم والعادل, وأسأل الله أن لا يجعلك في حيزالكفاية, وجانب الوقاية, وأن لا تفجع بقريب مأمون, أو بعيد تظن به خيرًا, ويدل على ذلك قوله:((**وقد استجلبتُ من الغربِ ابني محمدًا, ملتزم شُكركَ, ومعظّم قدْركَ- وفَّقه الله- لأقعِدّهُ مقّعَدّه, وأسدَّ به مَسدَّه, وأرجوأن يكونّ أوطأ أكنافًا وجوانبَ, وأجملَ آراء ومذاهب وأحمدّ أخلاقًا وضرائبَ,واللهّ أسألُ الخيرّ في ما آتي وأذَرُ, وأقدِّمُ وَأؤخِّر.نفثتُ- ياسيدي- نفثة مصدور, وأطلتُ في الشّرْح والتفسير, خروجًا إليكَ عن هذا الخطبِ الخطير...وإياهُ أسألُ أن يجعلك في حيزالكفاية, وجانبِ الوقاية, حتى لا تساءَ بقريبٍ مأمون, ولا بعيدٍ مظنون, بمنّه وطوله**[5]**, إن شاء الله))**[6].

([1]) الذخيرة : ق3/م1/142.

([2]) والأصل فيه : هِيّ الشيء , مَوْلى المَرْء قِرْنٌ مُباينٌ*** لهُ وابْنهُ فِيها عَدُوٌّ مُقاتِلُ
ديوان أبي تمام : 3/ 120.

([3]) الإحْنة : الحِقدُ في الصدر.اللسان، مادة: (أحن): 1/ 82.

([4]) سورة التغابن، الآية :(14).

([5]) الطوّل : الفضل والقُدْرة والسّعة والعلو. مادة: (طول):17/ 227.

([6]) الذخيرة : ق3/م1 /142, 143 .

حفزت معارضة ابن عبد البرّالعديد من كُتّاب العصر في معارضته, يقول ابن بسّام:((أنشأ أبو محمد رسالته المتقدمة الذكر,تناغتْ لمةٌ من كتّاب العصرفي معارضتها, وقد ذكرتُ بعض من أجاب عنها, وأذكرُ أيضًا فصولاً لمن انتصف على زعمه بالمعارضةِ منها))[1],وهذه المعارضات لم يذكر صاحب الذخيرة أسماء أصحابها .

المعارضة الثانية ـ معتضدية مجهول(أول).

مطلعها: ((**ما أبصرت- أيدك الله- بل أذكرك،وكيف يوقظ اليقظان, وينبّه النبهان,وحاشا أن تُعَلّمَ الخِمرةَ العوان...**))[2].

لم نجد عند ابن بسّام اسم صاحب المعارضة فذكرت باسم مجهول, وقد بدأ هذا الكاتب المجهول معارضته بالمواساة للمعتضد, وقد تعجب وتساءل من تصرفه هذا, ووصفه بأنه يَقض ومتنبه لما يدور حوله, وحاشا أن تكون مثل المرأة , فالدنيا مطبوعة على التقلب والتغير, قائلا في ذلك:((**ما أبصركَ – أيّدك الله – بل أذكَرَكَ! وكيف يُوقظُ اليقضانُ, وينبّهُ النبهان, وحاشا أن تُعَلّمَ الخِمرة[3] العوان[4], إن الدنيا على الغير موضوعة,وعلى المكاره مطبوعة..**))[5].

ألا إنَّمَا الدنيا غَضارةُ أيْكةٍ * إذا اخْضَرَّ منها جانبٌ جَفَّ جَانِبُ[6]**

ويستمرالكاتب المجهول في مواسته ، ويرى أن الطبع الحسن من الأب لا يستطيع أي شخص أن ينقله إلى الابن, ولا تبديل لحكم الله , وأن الدنيا بمصائبها تقع على أبنائها المتهالكين فيها الذين انصاعوا وراءها, هكذا هي الدنيا عند اللبيب تكشف عن نفسها فهى عدو تلفه ثياب الصداقة والمحبة , وتجود عنك وتكرمك وتلحق بك المحن والمصائب ,إن أسقتك شرابًا حلو مذاقه أتبعته علقمًا , فالدنيا تكدر الحياة همًا وحزنًا

([1]) الذخيرة : ق3/م1/ 152.

([2]) المصدر نفسه : ق3/م1/ 154.

([3]) الخِمْرَةُ : وضعية اختمار المرأة، وكل ما ستر شيئًا فهو خمار. اللسان، مادة :(خمر):8/ 259.

([4]) العَوَان : المرأة التي تزوجت تُحْسِنُ القِناعَ بالخِمار. اللسان، مادة: (عون): 19/ 593.

([5]) الذخيرة : ق 3/ م1/ 154.

([6]) من أشعار الممحِّصات , لأحمد بن عبد ربه,وهي قطعة في المواعظ والزَّهد.مطلعها:

ياعاجزًا ليس يعفو حين يَقْتَدرُ***ولا يقضى له من عيشه وَطر

ينظر جذوة المقتبس: 3 /103.

ساعات, وتسرك بعض الوقت, فالدنيا لايستطيع أحدٌ أن يأمنها فيشبهها الشاعر بالقابض على الماء, ونفهم ذلك في قوله :((**ونقلُ الطباع لا يستطاع, ولا تبديلَ لحكم الجليل, والدنيا مُنكرةٌ لمتعارفيها, مسلّطة بنوائبها على بنيها, المتهالكين فيها, لا سيما الأحرار, فإنها تطالبهم بثأر:**

إذا امْتَحَن الدُّنْيا لبيبٌ تكشَفَتْ * لهُ عنْ عدوٍّ في ثياب صديقِ**[1]

ومنها: وما ظنك بدنيا قلّما تسمّحُ بحبْرةٍ...ولا تسقي شرابًا, إلاَّ شابته صابًا[2]**... وقلما تَسُرُّ إلا في الفلَتات, ثم تغري بنا الأفات))**[3]**:**

ومن يأمن الدنيا يكن مثلّ قابضٍ* على الماءِ خانَتْهُ فروجُ الأصابعِ**[4]

يحاول الكاتب المجهول أن يقترب من عبارات وألفاظ معارضة ابن عبد البرّ في كثير من المواضع, فيتحدث هنا عن الدنيا, وما يعترض الخلق فيها من النكبات والأحوال الطارئة،وهي سهام قد تصيب الإنسان, وقد لاتصيبه إذا شقت رؤوسها, وتجد في الناس من يحب الدنيا ويثق بها, وليس هناك أمان في زمان تكثر فيه المكائد والدسائس, فزمن هذه الدنيا كالحية الرقشاء ناعمة الملمس وسمها قاتلٌ, ينخدع بها الجاهل ويقع فيها,ويحذرها العاقل, ليس هناك من يفلت من قبضتها هكذا هي الدنيا, قائلاً في ذلك:((**والأنامُ أغراض, لسهامِ الأعراض**[5]**, قلّما تتخطاها إن فُوِّقتْ, ولا تخطئها إن رُشِقتْ, وقد يمقُها من لا يثقها, ويتيامَنُها مَنْ لا يأمنها,** وأيّ **أمانٍ, من زمانٍ يدبّ دبيبَ العقربان, ويثبُ وثوب الأفعوان**[6]**...تصطفىَ حيةّ رقشاءُ**[7] **ليِّنٌ مَسُّها قاتلٌ سمها, يهوي إليها الجاهل, ويحذرها العاقل,وأيُّ ناج من بأسائها,ولو كان في سُوَيدَائها,هيَ والله ما علمتَ وتعلم, قريبةُ العُرْس من المأتم...))** [8]

([1]) ديوان أبي نواس، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي, دار الكتاب العربي, بيروت د.ط ، د.ت : ص621.

([2]) صابٌ :الصَّوَّابُ : بيض البرغوث والقمل .اللسان، مادة: (صأب): 5/16.

([3]) الذخيرة : ق 3/م1/ 154.

([4]) ضمنّه من بيت لأمرؤ القيس، وأصل البيت :

فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كقابضٍ ***على الماءِ خانته فُروجُ الأصابع

ديوان لأمرئ القيس ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط5، 2009ف : ص 152.

([5]) الأعراض : من أحداث الدهر الطارئات والعوارض.اللسان، مادة: (عَرَضَ):18/ 219.

([6]) الأفعوان : ذكرالأفاعي. اللسان ،مادة: (فعي):21/ 160.

([7]) حية رقشاء : الحية المنقطة بسوادٍ وبياض.الوسيط، مادة: (رقش): 1/ 365.

([8]) الذخيرة : ق3/م1/154 , 155.

ومكلفُ الأيامِ ضدَّ طباعها * متطلّبٌ في الماءِ جذْوةَ نار[1]**

ببراعة الكاتب في سرد المحنة التي حلت بالمعتضد,فقد ابتلي بالخيانة في هذا الزمن الغادر, وما يكدر العيش إلا مصائب الأبناء, ويتعجب الكاتب من هذه الفعلة, ومصيبة ابني إسماعيل هي أسوأ الأفعال, فإن الابن العاق والمشاقَّ والذي تمذهب بغيرالإسلام مذهبًا, رغم أنه جمعني به منسبه , فقد أقتاده الشيطان ورفاق السوء, وهم يكيدون له الدسائس إلى هذا الحدث الشنيع. فعجبًا من زمن تُقْلبُ فيه المعايير والأعيان, نرى ذلك في قوله:((**وإني منيتُ- أيدك الله - من زمني الخؤون, بشقيقةٍ المنون وكادتْ تكون, فيا لها من حادثةٍ عظمى, كدَّرَتْ شربي, وروَّعَتْ سِرْبي...ابني إسماعيل, الفاعلَ بي أسوأ الأفاعيل,أحدث حدثًا أشنع, مِثْلُهُ يستفظع... وإن جمعه بي مَنسَبُه, فقد نفاه عني مَذْهَبَه, كالذي استهواهُ الشيطان[2], كأنّما اقتادَهُ في أشطان...قُرَناءُ سوء قيِّضوا له , إذ جعلوا يضربون له أسداسًا لأخماس[3], ويكيدونه بكيد الوسواس الخنّاس[4],حتى إذا أوردوه أنشوطة[5]لم يكن مثلها أغلوطة, هوى به الهوى هُويَّ الدلو[6] أسلمَه الرشاء...**))[7].

ويقول الكاتب لاعجب في أن مكان العيرالجُرب قد يعدي بقية الأبل ,هكذا هم الرفقة السيئة. فيصف في ذلك أن ابنه قد تربى وترعرع في كنف المحبة والثقة, ثم عندما شبَّ تُقلدَ منصب السياسة,آخذ ينتقل من حال إلى حال, حتى صار يذكرونه الرفاق والآفاق, وأمسك بزمام الأمور, وصار يدير كافة شؤون الدولة ، لكنه سرعان ما تبدل ونزع إلى الاستبداد, لبس رداء الكفر, قائلا :((**ولا غرو فقد تعدي الصحاحَ**

([1]) مكلف : أي الذي يطلب من الدنيا الراحة والصفوة, وهو كمن يطلب جذوة نار من الماء، اللسان: مادة(كلف):25/ 171. فقد ضَمَّن هذا البيت من أبي الحسن التهامي يرثي ابنًا له صغيرًا, ينظر ديوان أبي الحسن التهامي،تح :علي نجيب عَطوي, دارومكتبة الهلال, ط 1986م : ص462 .

([2]) ضمنّه من قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ في الأَرْضِ﴾. سورة الأنعام ،الآية :(71).

([3]) مجمع الأمثال، للميداني : 1/ 393 . يضرب هذا المثل ويردون به المماكرة, أي لمن يظهرسيئًا ويريد غيره.

([4]) ضمنّه من قوله تعالى:﴿مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاس﴾.سورة الناس ،الآية: (4).

([5]) الأنشوطة : عُقْدة يَسْهُل انحلالها. اللسان، مادة :(نشط):27/ 174.

([6]) ضَمنّه من قول زهيربن أبي سلمى الذي يقول فيه:

فَشجّ بها الأماعِزَ فَهْيَ تهْوي*** هُويَّ الدّلو أسلمه الرّشاء

الديوان، تح :عمر فاروق الطبَّاع , دار القلم ، د.ط د.ت: ص13.

([7]) الذخيرة : ق3/م1/ 157 , 158.

مباركُ الجرب, وذلك أني لما أرضعته لبانَ مِقتي, وَمَلّكْتُهُ عِنانَ ثقتي, وأدنيتُ زُلفَتَهُ...حتى مُدَّتْ نحوه الأعناق[1]...ووضعتُ الوجوهَ تحت قدمه...فلما رأى الدولة قد ألقت إليه بأزمّتها, وأقادَتْهُ بأعنتّها[2],استأسدَ وتنمَّر, واستشعرالأشَرَ والبطر[3]...وآثرَالعقوق, وكفر بالنعمة وَنَامَ عَنْ شُكْرِهَا, فُطُوِيَتْ عَنْهُ بأسْرِهَا, والشكرُ للنعمةِ نتاجٌ, والكفرُ بهَا رتاج[4]...))[5].

وهكذا يمضي الكاتب المجهول معبرًا عن هذه الفعلة الواقعية, مصورًا لواقع بيئته ومجريات الأحداث التي دارت بين الخليفة المعتضد وابنه إسماعيل, وآفات الحسد التي ظهرت في مجتمعه, والآثارالسلبية التي خلفتها وراءها, كما تحدث الكاتب عن مؤامرة إسماعيل ورفاقه في هذه الفعلة , وكيف اقتحموا اسوارالقصر وحاولوا التسلل إلى داخله, ولكن باءت بالفشل فقد تنبه لهم المعتضد, وفروا من أمامه هاربين يجرون أذيال الهزيمة، يقول في ذلك:((**فعلمتُ مَرمى قوسِهِ ومنزعَ سهمه, كأنما كنتُ نجيَّ سرَّه, ووليَّ أمرِه, وقد تبصرُ الظنونُ بغيرعيون, فتتبعتُ خبره, وَقفْوتُ أثره, بخيل كالسيل بالليل[6]...ففزعَ إلى الاعتراف, وهويذهبُ بالاقتراف[7]. ومدارة ُالحيّة كيف تنفع...وكاد- وايم اللهِ- يهدمُ بنيانَ الله, ولولا دفاع الله,ألَّفَ أغمارًا من العبدان[8] كانوا عكوفًا عليه[9]...لكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً[10], وإذا حان الحَينُ,عَمِيَتْ العين[11],وربَّ ساع بقدمه,على دمه...وداعي الهوى يدعوهم, وحادي**

([1]) من خطب االإمام علي- كرم الله وجهه- يقول إذا لقى العدو محاربًا : ((اللهُمَّ إليكَ أفضتْ القُلوُبُ,ومُدَّتِ الأعنَاقُ, وشَخَصَتِ الأبصَارُ, وَنُقِلَتِ الأقدَامُ, وأنضيت الأبَدَانُ...))، ينظر نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ,د.ط ، د.ت : 3/ 15.

([2]) أقادته بأعنتها : سلم له نفسه ليجعله قائدا عليه.اللسان، مادة : (عنن): 540/18.

([3]) الأشروالبطر: هو الفَكِه, ومنه قوله تعالى:﴿ونَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾. سورةالدخان، الآية: (26)،أي:أشرين.

([4]) رتاج : منع وحرمان، الباب المغلق. اللسان، مادة: (رتج):10/ 70.

([5]) الذخيرة : ق3/م1/ 156.

([6]) مجمع الأمثال ، للميداني: 1/ 253. أصل المثل أجرى من السيل تحت الليل . لأنه لايكاد يحس به ليلاً .

([7]) من أمثال أكتم بن صيفي ويزر جمهر الفارسي : الاعتراف يهدم الاقتراف. ينظر العقد الفريد : 7/2.

([8]) أغمار العبدان : الجُهال منهم الذين لا خبرة لهم. مادة : (عبد): 18/ 15.

([9]) عكوفًا عليه : وهو الاعتكاف ملازمة الشيء, والمواظبة والاقبال عليه خيرًا كان أو شرًا. والدليل قوله تعالى: ﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾. سورةالأنبياء، الآية :(52)، مع أنها أصنام وسمى فعلهم عكوفًا .

([10]) ضمنّه من قوله تعالى:﴿وَلَكِن لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾. سورة الأنفال، الآية :(42).

([11]) هو من المثل القائل: إذا جاء الحينُ حارت العينُ. هذا المثل يضرب للأمر تأتيه وأنت تعلم ما فيه مما تكره وتحذره . مجمع الأمثال : للميداني 32/1.

الرَّدى يحدوهم, وقد اعتقلوا الردينيات, وتأبّطوا الهندوانيات, وشمَّروا ذيلاً, وادّرَعوا ليلاً, واقتحموا المهالكَ, في أضيق المسالك, وترقوا الجدران, بأشدِّ تمرّدٍ وعصيان, فسَقَط العشاءُ بهُم عَلَى سِرْحان[1],فما تَمَالكتُ أن سمعتُ حسيسهُمْ, ولحظتُ شخوصَهُمْ...))[2], فيشيرالكاتب أن الوقت ليس وقت قرار, بل البحث عن وسيلة للهرب،عبرعنه بقوله: ((**وتصيَّروا فِرَقاً, أيدي سبا[3], يجدّون هربًا, ويرومونَ الخلاص, ولاتَ حين مناص[4], ونفوسُهُمْ تودّعُ أجْسَادها, وتستحثُّ آمادها:**

وَضَّاقتِ الأرْضُ حتى كَانَ هاربهُمْ * إذا رَأى غَيرّ شيء ظنَّهُ رَجُلا[5]**

ولَمْ يمتروا أنَّ قدرةٌ القديرتَنْقُضُ التدبير,ولله عاقبةُ الأمور[6]. وما كان رجاءُ القوم, إلا استغراقي في النوم, وأيْقَظني القدَ, وما بي من حذر...))[7].

يستمرالكاتب المجهول في الحديث عن فشل المؤامرة التي حاكها الابن ضد أبيه, وعندما شم ريح القانص له فحذر من ذلك وفرهاربًا كالظليم, ولكنه وقع في قبضة أبيه, هو ومن خرج معه وأخذ في تنفيذ حكم الله تعالى مشورة الشيوخ والعلماء, وأشاروا عليه بتنفيذ أوامرالله في هذا الأمر، يصف ذلك في قوله: ((**فلما رأى اللعينُ أن سهمه قد طاش, وقد راشَ منه ما راش, وأيقن أنه حريقُ نارهِ التي سَعَّر, وغريقُ تيارهِ الذي فجّر, شَرَدَ شِرَادَ الظليم[8]على حين لا حليفٌ ولا حميم, وترامى من شُرُفاتِ القصر, ترامَي المذعور بالقسر، فأعجلتُ إليه هنالك مَن عتَر وشيكًا, واستاقه استياق العاني...من غير خمرٍ سكارى[9]...فالحمدُ لله جاعلِ تدميرهم في**

([1]) مجمع الأمثال، للميداني :119/1. يضرب المثل في طلب الحاجة يؤدي صاحبها إلى التلف والهلاك.

([2]) الذخيرة : ق3/م1 / 157.

([3]) من المثل : وَتفرَّقُوا أيْدِي سَبَا. يضرب لتفرقهم وتبَدَّدُهم.

([4]) ضمنّه من قوله تعالى:﴿كَمْ أهْلَكْنَا مِن قَبْلِهُم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾, من سورة ص، آية (2).

([5]) ضَمنّه من بيت للمتنبي، ينظر ديوانه : 168/3.

([6]) ضمنّه من قوله تعالى:﴿الذِينَ إن مَّكَّنَّهُمْ في الأَرْضِ أقَامُوا الصَّلاةَ وأتَوُا الزَّكَاةَ وَأمَرُوا بالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنكرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الأُمُور﴾. سورة الحج، الآية :(39).

([7]) الذخيرة : ق 3/م1/ 157, 158.

([8]) الظَّليمُ : الذَّكَرُ من النَّعام. اللسان، مادة: (ظلم):17/ 318.

([9]) توظيف من قوله تعالى:﴿وَتَرَى النَّاسِ سُكَارَى وَمَا هُمْ بسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾. سورة الحج،الآية :(2).

تدبيرهم, وإبادتهم في إرادتهم, وَمَن حَفَرَ لأخيه بئرًا سقط فيها[1], واستحضرتُ مشيخة العلماء وجعلتُ الأمرَ بينهم شورى[2]إشارة للعدل في القضاء, واتباعًا لأمرالله تعالى في الغضب والرضى, فكلّهم حَذّ إنقاذ الحدّ, وتلوا قوله تعالى:﴿إِنَّمَا جَزَاءُ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتّلوا أَوْ يُصَلَّبوا﴾ [3]...))[4].

فكانَ مَا كَانَ مّما لَستُ أذكُرهُ * فَظُنَّ خَيْرًا ولا تَسْأَلْ عَنْ الخَبَر[5]**

يرى الكاتب أنه يجب أنَّ تتخذ العبرة من هذه الفتن التي حلت بأبناء الزمن, وكيف اتبعوا أهواء الشيطان, وأغواهم, وأوقع بهم في المعصية, وقد ينجيهم القدر من الوقوع فيها, وفي عقوق الوالدين تكون آية للعالمين, ويشيرالكاتب إلى ما جناه الابن العاق من فعلته التي ارتكبها, هذا ما نجده في قوله:((**فاعتبرْ ياسيّدي من هذه الفتنِ المضلّةٍ لأبناءِ الزمن, وانظر كيف يستدرجهم الشيطان...وفي عقوق هذا من البنين،آية للعالمين[6]...إلا كالبقرة تبحث على مديتها بقرنيها, وكالنملة تطلب حتفًا بجناحيها[7] ويستأسدون إذا كبروا...))**[8].

ويظن أنه قد يتحدث الآخرون عنه بأنه قاسٍ, ووقع في هفوة وكانت له وصمة, لأنهم لم يسمعوا عذري في تنفيذ هذا الأمر, ولكن لي في رسول الله أسوة حسنة, كذلك في السلف الصالح, ولوعرفوا ذلك لأعذروني, ونجد ذلك في قوله: ((**ولعلَّ قائلاً قد سَلِبَ المعقول, يصولُ يومًا فيقول, ويطعنُ ويغمز,حيث لا مَطعنَ ولا**

([1]) مجمع الأمثال، للميداني : 1/ 178. مثل يضرب لمن أراد شرًا لغيره.

([2]) ضمنّه من قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾. سورة الشورى، الآية: (35).

([3]) سورة المائدة، الآية : (35).

([4]) الذخيرة : ق 3/م1/ 158 ,159.

([5]) ديوان ابن المعتز, تح: ميشيل نعمان, المطبعة التعاونية اللبنانية للكتاب, ط 1969م : ص219.

([6]) ضمنّه من قوله تعالى:﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاها وَابْنَهَا آيَةً لِلعَالمِينَ﴾. سورة الأنبياء،الآية: (90).

([7]) ينظر مجمع الأمثال ، للميداني : 2/ 69 . مثل وأصله : كباحث عن الشفرة, أو المدية.

([8]) الذخيرة : ق3/م1/ 159.

مَغْمَزَ...وربَّ سامع بخبري لَمْ يَسْمَع عُذْري[1]...إنّ لِي فِي مَن سَلَفَ أسوة, وبالنبيِّ عَليه السلام قُدْوَة[2]...في إقامة أعْذاري...))[3].

ويشير الكاتب إلى الأنبياء قد ابتلوا أيضًا من قبله في أبنائهم وأبائهم , فمنهم إبراهيم الخليل الذي كان والده مشركًا بالله ,وقد تبرأ منه الخليل عليه السلام, ووصل البر بالوالدين ذروته عند سيدنا إسماعيل عليه السلام لما رأئه والده في المنام أنه يذبحه, وصبر سيدنا إسماعيل وأمتثل لأمر الله حتى فداه المولى -عز وجل- بكبش عظيم, واصفًا الكاتب ذلك في قوله:((**هذا خليلُ الرحمن, وكان في الأنبياء مَن أنصاري, لما تبيَّنّ أن أباه عدوٌّ لله تبرّأ منه, وقد تلَّ أيضًا عليه السلام ابنه الذبيحَ للجبين[4], ووضع في حلقه السكّينّ, وهو من أبرِّالنبيين,اتباعًا لأمر الله حتى فداهُ الربُّ الكريمُ, بالذِّبِح العظيم[5], وصبرّعلى...))[6].**

يمضي الكاتب في تقديم الدلائل بأنه ليس وحده من حكم على ابنه بالموت؛ لأنه خرج من كنف ربه, وشدة المشاكلة لشيطانه الذي أغواه, وإنما السابقون من السلف، وفي العصورالمتأخرة من لهم غيرة على الوطن والدين, قائلاً في ذلك :((**وهذا عمرُبن الخطاب, وكان من الأصحاب, قد قسا قلبُهُ على أبي شحمة[7], ولم تأخُذهُ فِيهِ رأفة ولارحمة, حينَ جَلدَهُ, حتى فقدَه, وصَبَرغيرَ مكتئب صبرَ المحتسبِ, إرضاءً**

([1]) مجمع الأمثال ، للميداني : 1/ 201. يضرب هذا المثل في الغدر للرجل ولا يمكن أن يبديه.

([2]) ضمنّه من قوله تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ إِسوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. سورة الأحزاب، الآية:(21).

([3]) الذخيرة: ق 3/ م1/ 159 - 159.

([4]) تلّة الجبين :صرعه مُكبّا به على فمه ووجهه.ضمنّه من قوله تعالى:﴿فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلجَبِينِ﴾.سورة الصَّافاتْ، الآية : (103).

([5])ضمنّه من قوله تعالى:﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ . سورة الصافات، الآية :(107).

([6]) الذخيرة : ق 3/ م1 / 160.

([7])عن عبد الله بن عمر قال : شرب أخي عبد الرحمن بن عمر وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث ونحن بمصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسكرا فلما صحا انطلقا إلى عمرو ابن العاص وهو أمير مصر فقالا: طهرنا فإنا سكرنا من شراب شربناه. قال عبد الله بن عمر: فلم أشعر أنهما أتيا عمرو بن العاص قال: فذكر ليّ أخي: إنه قد سكر. فقلت له: ادخل الدار أطهرك. قال: إنه قد حدث الأمير قال عبد الله فقلت: والله لا تحلق اليوم على رؤوس الناس, ادخل أحلقك. وكانوا إذا ذاك يحلقون مع الحد فدخل معي الدار قال عبد الله فحلقت أخي بيدي ثم جلدهما عمرو بن العاص فسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب إلى عمرو: أن ابعث إليَّ عبد الرحمن بن عمرعلى قتب، ففعل ذلك عمرو، فلما قدم عبد الرحمن على عمر رضِى الله عنه جلده وعاقبه من أجل مكانه منه، ثم أرسله فلبث أشهرا صحيحًا ثم أصابه قدره، فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر، ولم يمت من جلده ،وعبد الرحمن بن عمر الأوسط هو أبو شحمة . ينظر البداية والنهاية , ابن كثير : 7/ 48 , 49.

لباريه, وتقرّبًا إليه بما يُرْضيه، وكان لبعض بني العباس[1],وَهُم أئمّةُ الناس, في ابنهِ العاقّ ما قد دَرَسَ خبره, وطمس أثرُهُ, ولولا أن الإطالة, تفضي إلى الملالة, لأوردتُ من خبره الأشنع ما فيه مَقنَع...))[2].

((وأحدثهم عهدًا في هذه العصور,عبد الله الأمير وأبوعامرالمنصور, فأمّا عبد الله فقد قتل ابنه محمدًا[3], لما أحسَّ منه تمردًا, وكان قُرَّةَ عينيه, فماعيبَ ذلك عليه؛ وأما المنصورُ[4],وحسبك به جزالة وحزامة في الأمور, فقد فعل بابنه عبد الله ما فعل لما عصى,وشقَّ العصا ,هذا وما بلغا هذا المبلغ, ولا ولغا في الدم كما كاد هذا اللعين أن يلغ...))[5]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[6].

والظلم في خُلُق النفوس فإن تجدْ * ذا عفّةٍ فلعلَّةٍ لا يَظْلِمُ[7]**

يختم الكاتب معارضته بإسهابٍ أو أطنابٍ في سرد قصة المغرور إسماعيل, فيصفها بأنها غصة في قلبه, ولكن فيها العظة والعبرة ؛ لأنها قصة حقيقية وليست خيالية, هذا في قوله: ((**ولا غَرْوَ أن أسهبتُ وأطنبتُ في خبر المغرور, فإنها نفثةٌ مصدور, وما أطفْتُ تجرُّعَ الغصَص في كتم هذه القصص التي فيها عبرة لأولي الأباب[8] ,وما كان هذا الذي طرا,حديثًا يفترى, ولاهذا الذي طرقَ, نباً يُختَلَق))[9].**

([1]) ثار ابن المنصور بن أبي عامرعلى أبيه عام 379هـ يريد ابنه أن يستقل بالدولة , فغضب المنصور غضبًا شديدًا، وعمل على قتل ابنه عبد الله . ينظر البيان المغرب : 3/ 284 .

([2]) الذخيرة : ق 3/ م1 / 160.

([3]) كان الأمير عبد الله قد رشح ابنه محمدًا الأول ,ومنعته وفاته من تولي الحكم بعد والده, حيث قد قتله أخوه "مُطرّف" حسدًا حسب إحدى الروايات ؛لأنه كان مرشحًا للخلافة مما جعل والده ـ الأمير عبد الله يُعَيْن ابن ابنه المتوفى ـ حفيده الناصر ـ وريثاً للعهد ،وقد اعتنى به جده وأحسن تربيته, بينما يذكر بعضهم أن الأمير عبد الله ـ آخر ملوك عصر الإمارة . وهو من أمر بقتل ابنه محمد الذي حاول الثورة على والده والانتصار لحركة الثائر"عمر بن حفصون" فأمر ابنَه المطرّف ليقوم بقتل محمد (والد الناصر) الذي كان طفلاً حينها ـ كي لا ينقلب عليه. ينظر البيان المغرب : 2/ 150.

([4])عندما علم المنصور بأن حلَّ به ما كان يحذره, وقد أمروه بالنزول , وترجل عندما وصل إليهم , وتقدَّم إليه ابن خفيف الشُّرطيٌّ, فضرب عنقه, وأنفذ المنصور رأسَ ابنه إلى الخليفة مع كِتاب الفَتْح , ودُفِن جسدُه في الموضع الذي قُتِل فيه, وعمره ثلاثًا وعشرين سنة. ينظر البيان المغرب : 2/ 384.

([5]) الذخيرة: ق 3/م1/ 160 ,161.

([6]) سورة المائدة : (49).

([7]) ضمنّه من بيت للمتنبي, والأصل فيه: (وَالظُّلْمُ من شِيَمِ النفوسِ فإنْ تجدْ) ينظر ديوانه : 125/4.

([8]) ضمنّه من قوله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِى الأَلْبَابِ﴾ سورة يوسف، الآية :(111).

([9]) الذخيرة : ق 3/ م1/ 161.

المعارضة الثالثة ـ معتضدية مجهول ثان.

يقول الكاتب: ((**المحن على ضروب, والنوائب تجري بمعضلات الخطوب, فتفجأ بالرَّقِمِ الرَّقماء, وتطرقُ بالداهية الدهياء, وتأتي بالغريبة الشَّنعاءِ, فلا واقي سواه, ولا مجيرَ من بَغْتاتِها حاشاه...**))[1].

بدأ الكاتب المجهول الثاني معارضته كما بدأ ابن عبد البرّ والكاتب المجهول الأول، فالدنيا يتعرض الإنسان فيها لكل الخطوب, وتحل بالإنسان المحن, والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى, ومن العبد كالبلية والمصيبة, والقتل والعذاب وغيرذلك من الأفعال الكريهة, ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة, وقد يكون من الإنسان ويضر به غيره. لهذا يذم الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان, يقول الكاتب: ((**المحن على ضروب, والنوائب تجري بمعضلات الخطوب, فتفجأ بالرَّقِمِ الرَّقماء[2], وتطرقُ بالداهية الدهياء, وتأتي بالغريبة الشَّنعاءِ...ولقي المكارهَ بسلاحها وجُننها, كيف له بعِلْمِ خفيّاتِ الضمائر, وخبيئاتِ البواطن...**))[3].

اتبع الأديب أسلوب سابقيه في الإشارة إلى المعاملة والحياة , التي كانت يحظى بها هذا الجاني إسماعيل,وكثرة أخطاؤه والعفو عنه وهي من صفات البشر, نرى ذلك في قوله: ((**قد أختصَصْتُ من وَلَدي الخائنْ الجانيّ إسْمَاعِيلَ بضُروبٍ مِن الأنْعَامِ, وَالإحْسَانِ والمبرّةِ والإكرام, وَمَلكَتُهُ زمامَ أعنّةِ الجنود، وأظللته...**))[4].

فإنْ كانَ ذَنْبي أنَّ أحسنّ مَطْلبي* أساءَ, ففي سُوءِ القَضَاءِ ليَ العُذرُ**[5]

ويشيرالأديب إلى طاعة إسماعيل لوالده المعتضد, إلى أن أغواه شياطين الأنس, فقذفوا به في هُوّة الخذلان والعقوق, انتقل من الطبع الكريم إلى الخُلق الدَّميم, وتسرب إلي نفسه الطمع في قوله:((**وكان ينبئُ ظاهرُهُ من الاجتهاد منتهى الاستطاعة,ويجري أمره إلى غايةِ اللازم من حدودِ الطاعة, إلى أنعلقَ به مَن أغواه من شياطين الإنس فزين له زُخْرُفَ الغرور والفسوق,وقذفَ به في هُوّةِ الخذلانِ**

([1]) الذخيرة : ق3/م1/ 161.
([2]) بالرقم والرقماء : الداهية الدَّهْياء.اللسان، مادة: (رقم):271/11.
([3]) الذخيرة : ق 3/ م1 / 161.
([4]) المصدر نفسه : ق 3/م1 / 162.
([5]) ديوان أبو تمام :4/ 571.

والعقوق, فأحال طينتَهُ إلى أخبث التُّربِ, وتعدي الصحاحَ مبارِكُ الجرب...وحين لبس ثوبَ الغِرَّة ليستعمل السّقَهَ والجهلَ...)) [1].

ويرى الكاتب أن الوقت ليس وقت قرار, فالإسرارعلى الغدروالخيانة مازال كامنًا في نفس الابن إسماعيل، وقد وجه بها الضربة القاتلة إلى والده الخليفة المعتضد, نفهم ذلك من:((**ويُهْلِكَ الحرثَ والنَّسْلَ**[2]**,ويأبي دفاعُ الله من ذلك...وخاب سَعيُهُ, وفالَ رأيه,وندم ولاتَ حينَ مندم...))**[3].

وأظلمُ أهلِ الأرضِ من باتَ حاسدًا* لِمَنْ باتَ في نعمائِهَ يتقلَّبُ**[4]

وقبلتُ توبتَهُ الظاهرة,وأقَلْتُ زلّةَ قدمِهِ العاثرة...فرام التي لا شوى[5] لها ولا بقاءَ معها:

أريدُ حياتَهُ ويريدُ قتلي * عذيرُكَ من خليلِكَ من مُرادِ**[6]
سبكناهُ ونحسبُهُ لجينًا * فأبدى السبكُ عن خبثِ الحديد**[7]

ولعمري لئن أنجلته آباءُ سروٍوَصِدْقٍ,لقد سرى فيه للخؤولة[8] **لئيمُ طبْعٍ وَعِرقٍ,ولا غَرْوَ في هذه الحال,فقد يستحيلُ الزعاقُ**[9]**من الزلال, وينامُ عرقُ الأبِ ويسري عرقُ الخال...))**[10]**:**

وأوّلُ خُبثٍ الماءِ خبثُ ترابهِ * وأوَّلُ خُبثِ المرءِ خبثُ المناكح**[11]

ويقول الكاتب: ((**فعاقدَ سُقّاطًا من خِساسِ صبيانِ العبيد...ودعاهم إلى عصيانِ ربهم وأمري, والتعرّضِ لهتكِ سلطانِهِ وستري, وتسنموا مُنِيفَ الأسرار تسنُّمَ**

([1]) الذخيرة : ق 3/م1 / 162.
([2]) اقتباس من قوله تعالى:﴿وَإِذا تَوَلَّى سَعَى في الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾.سورة البقرة، الآية : (203).
([3]) الذخيرة : ق3/ م1/162, 163.
([4]) ديوان المتنبي : 1/ 185. وفي الأصل:(وأظْلمُ أهل الظُّلم).
([5]) شوى : ما كان غير مقتل من الأعضاء, مثل الأطراف.اللسان، مادة:(شوى)، 168/8.
([6]) يقال البيت لعمرو بن معد يكرب، ينظر الكامل : لأبي العباس المبرد, علق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار نهضة – القاهرة- مصر، د. ط ، د. ت: 198/3.
([7]) البيت مجهول القائل.
([8]) خُؤولةٌ : جمع الخَالُ أخوا لأمِّ ، اللسان: 8/ 305.
([9]) الزُّعاقُ : الماء المر الغليظُ لايُطاقُ شُرْبُهُ. الوسيط ، مادة: (زعق): 1/ 395.
([10]) الذخيرة : ق3/م1/163/ 164.
([11]) مجمع الأمثال ، للميداني : 1/ 411.

الوعول, بعد أن سقاهم صِرْفَ الشمول[1] التي تَذْهَبُ بوافر العقول؛ يظنّونني نائمًا ويحسبونني غافلاً, والله ليس بغافلٍ عمّا يعملُ الظالمون[2]...فولّوأعلى الأعقابِ رأوا شخصي, متساقطين على الأذقان[3] إذ سمعوا صوتي, وعاد الخائن الحائن...حتى أخذ الله تعالى بثأرهِ منهم, وأقام حدودَهُ فيهم..))[4].

ويقول الكاتب أن هذه المصيبة قد أحلت بكبارالملوك في الإسلام والجاهلية, وهذا ما نراه في قوله: ((**وأنا متأسّ في هذه الرزية, بكبار ملوكِ الإسلام والجاهلية, فقد تعدَّى عقوقُ الأبناء,إلى كبار البشَر والأنبياء، حتى قال الله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام:﴿إنّهُ ليسَ منْ أهْلِكَ, إنّهُ عَمَلٌ غَيرُ صالحٍ﴾[5] والربُّ تعالى يُخْرِجُ الخبيثَ من الطيّب, ويقضي ما شاءَ في عالم الغيب, لكني على العِلاّتِ[6], ورعاية الحرمات,أرضي طاعة الله تعالى في مَن عصاه ,وألتزمُ أمرَهُ في من خالف رضاه:**

وإن السّيفَ في الباغي جزاءً * أحقُّ به من النَّسبِ القريبِ[7]**

ويمكن القول: إن المعتضد بالله عند مقتل ابنه إسماعيل,كان في حالة نفسية مضطربة ؛ تذكر بحال البطل(أديب الملك), للشاعراليوناني سوفوكليس في الأسطورة اليونانية الشهيرة(سلطان القدر), حين يكتشف أوديب أنه ذلك الأثيم القاتل لأبيه والمتزوج من أمه[8], إلا أن فداحة موقف المعتضد تكمن في علمه المسبق بأن إسماعيل - قبل أن يقتله- ابنه وفلذةُ كبده. بينما نلتمس العذر لـ(أوديب) لكونه لا يعلم .

ومثل هذا الإحساس الذي لا يحصل دومًا , هو الحافزعلى النتاج وإعادة المعارضة المعتضدية. فنصوص المعتضديات تُعدُّ بحقّ تحفًا من المعمار اللغوي الأدبي العربي النفيسة, وغاية في الندرة.

([1]) الشَّمول : الخَمْرُ، لأنها تشمل بريحها الناسَ . اللسان، مادة:(شمل)، 137/8.
([2]) ضمنّه من قوله تعالى :﴿وَلاَتَحْسِبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾.سورة إبراهيم،الآية:(44).
([3]) ضمنّه من قول امرئ القيس:
وأضْحَى يَسُحُّ الماءَ عَنْ كُلِ فِيقَةٍ *** يَكبُّ عَلىَ الأذقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ
الديوان : ص93.
([4]) الذخيرة : ق 3/م1/164.
([5]) سورة هود، الآية : (46).
([6]) على العلات : أي على كل حال. و منه قول حاتم الطائي:
سَأمنحُهُ على العِلاتِ حتى*** أرَي, ماويّ ألا يَشْتِكِيني.
الديوان، تح : أبي صالح يحيى بن مدرك الطائي, دار الكتاب العربي, بيروت، ط2: ص28.
([7]) الذخيرة : ق 3/م1/ 165.
([8]) ينظرالأدب المقارن، محمد غنيمي هلال, دار العودة – بيروت- ط3, 1987م : ص294, 295.

ولاحظتُ على معارضة المعتضديات تشاكل عناصرها من زمان ومكان وشخصيات وأحداث، الشيء الذي سيجعل من مهمة من يراود المعارضة دقيقة صعبة, أما معارضة ابن عبد البرّ فهي- العصماء- وهي المُحال بعينه، وقد استطاع الأديبان المجهولان أن يركبا الصّعب , في الانتصاف بالمعارضة. رغم أن مساحة المعارضة أصغر وأدق, وفي مجال حرج وضيق . لكن في لغة العرب, وميدان الأدب, مُتسعّ لكل أديبٍ لسن لبيب.

إن معتضدية المعارض المجهول الأول, طويلة جدًا حتى فاقت المعارضة النواة لابن عبد البرّ, التي ارتجلها تحت نظر الأسد الهصور(المعتضد)الذي كان ينضح شررًا وناراً, ولكنها لم تأت بالجديد على مستوى المعلومات, بل قام بمعالجتها أدبيًا ولغويّاً بشكل جديد.

أما معتضدية المعارض المجهول الثاني فهى الأقصر حجمًا, والأوجز قصّاً وسردًا, نجد فيها بلاغة وعبارات تحملُ دلالات جديدة لم نجدها عند ابن عبد البرّ, وقد تكرر في أكثر من موضع, مثالاً على ذلك : إرجاعه فساد إسماعيل إلى عرق الخئولة، ومعرفته بعدد أعوان إسماعيل, لمّا قال: ((**وكان عدد الفتيان الفجّار, كعدد خزنة أهل النار**)) أي تسعة عشر رجلاً.

ونفسرهذا الأمر بمعنيين: إما أن المعارض المجهول الثاني قريب جدّا من القصر أو الحاشية , أو أنه شاهد عاش الأحداث أو عاصر من عاشها. هذا المرجح الأول, أما الثاني فهو أن يكون مقص ابن بسّام قد أطاح بالمقاطع, التي احتوت تلك المعلومات الإضافية الظاهرة في نص المعارض المجهول الثاني؛ فلم ترد في أصل ابن عبد البرّ بسبب الحذف. أما فكرة الترويج الرسمي والترويج الشعبي لحادث مقتل ولي عهد إشبيلية إسماعيل, تنمّ عن ذكاء, وفطنة وحنكة, وقراءة لعواقب الأحداث والأمور العميقة. فقد ارتأى المعتضد أن يُخرس الألسن, ويسيطرعلى مشهد الأحداث من خلال وجهة نظره للموقف, قبل أن ينتشر خبره ويفتك به. فقد نجح في بث وجهة نظره ورقيق أعذاره , كما نجح ابن عبد البرّ في إخراج الطامة الدّهياء بطريقته الأدبية.

الفصل الثالث

بناء المعارضة الأدبيّة وخصائصها

المبحث الأول : البناء الخارجي للمعارضات.

المبحث الثاني : اللغة والأسلوب.

المبحث الثالث : السمات البلاغية.

المبحث الأول

البناء الخارجي للمعارضات

عند الحديث عن الأبنية الخارجية للنصوص, المقصود بذلك وصف حالة هذه النصوص، كما أوردها أصحاب المصادر الأدبية والتاريخية، الذين قد يجزئونها ويقطعون من بداياتها أو أوساطها أو نهاياتها .

أولاً- المعارضات الزهرية.

تنقسم نصوص باقة المعارضات الزهرية إلى قسمين :

● النوع الأول : وردية ابن برد الأصغر، وبهارية أبي الوليد حبيب وهما أقرب إلى المناظرة , فقد حاولا الاتفاق في المشابهة والمناقضة بدعم طيف آخر من المجموعة الزهرية ،وقد حازت معارضتيهما على الطلاوة الأدبية والذكاء الاجتماعي, وبخاصة الوردية .

●النوع الثاني : بهارية ابن الباجي ، ونرجسية ابن حسداي، فقد انغمسا في تقميص البهار والنرجس, ومخاطبة ولي الأمر بالمظلمة والدعوة إلى نيل المنصب السامي والمكانة الرفيعة, فكان خطابهما بالإيماءات والإشارات التي تكشف المطامح الحقيقية التي كادت تفصح عنها بعض السطور, إن لم تكن قد أفصحت عنها بالفعل، مثال ذلك: ((**فهل لمولاي أن يحسن إليّ صنيعًا. ويكرم النّوْرّ جميعًا...وقديمًا أكرمني مولاي فلا يُهنَّي**)) [1]. عند ابن حسداي قوله:((**فلا تضيع أيها الملكُ سَبْقَ تقدُّمي, وحقَّ مَقْدَمي, فقد أشخصتُ طرفي إليك آملاً**))[2].

تمتعت وردية ابن برد الأصغر بمقدمة طويلة تلاها الغرض الرئيس, ويمكن عدّ الخاتمة هى البيان الختامي الذي صادقت عليه النواوير, وتلته في نهاية مؤتمرها .

أما بهارية أبي الوليد حبيب, فدخل فيها إلى الغرض مباشرة ,وأهتم بنقض وردية ابن برد, وكان الرأي العام الزهري والشجري غير راضية عن البيان الصادر القاضي بمبايعة الورد، وفي بهارية حبيب نجد أن الرمز كان غائبًا؛ فإن لم يكن تدخل

([1]) الذخيرة : ق2/ م1 /195.

([2]) المصدر نفسه : ق3/ م1/ 472.

ابن بسّام في أحجام النصوص, فلعل السبب في ذلك هو أن نصوص الزهريات كان يخوض فيها بعض الأدباء على حقيقته فعلاً ؛ بغرض المتعة الأدبية والخيالية , فلذلك نراها لا تحمل أي بعد رمزي أو سياسي أو منفعيّ .

أما خاتمة بهارية حبيب فهي تأكيد لبيعة البهار بالاستشهاد الشعري.

نمضي إلى بهارية عمر ابن الباجي ونرجسية أبوالفضل ابن حسداي, اللتين يظهر فيهما الدخول على الموضوع بحدة, بل ويفتضح الغرض السياسي أكثر في بعض ثنايا المعارضتين. أما ابن حسداي، فكان أكثر تغلغلاً في الموضوع دون مقدمة، وفي معارضة ابن الباجي استفتح بالدعاء لنفسه وللخليفة ابن هود, ونرى ابن الباجيّ وابن حسداي يختما معارضتيهما بالاستشهاد بالشعر.

ثانياً ـ المعارضات المطرية .

اهتم الأدب العربي برصد ظاهرة المطر وتداعياته اهتمامًا كبيرًا, وقد أوردها ابن بسّام في ذخيرته تحت عنوان((**صفة مَطر بعد قحطٍ**)) [1], الذي كان رائدها الكاتب ابن الجدّ, وتتفق المعارضات الثلاثة: معارضة أبي القاسم بن الجد ، ومعارضة أبي عمر بن الباجي، ومعارضة أبي محمد بن عبد الغفور، في الخطوط العامة والمضمون, مع الاحتفاظ بالسمات الخاصة لكل معارضة ؛ أي : القيمة الفنية ووسائل التعبير.

فالمطريات تدورحول طرفي نقيض هما الجدب وتداعياته والخصب وتجلياته, ونلاحظ أن الحديث عن المطر يسبقه حديث عن قدرة الله تعالى وحكمته التي تتجلى في السراء والضراء, وتعقبهما جمل دُعائية قصيرة.

فالكاتب ابن الباجيّ حدا حَدوَ أبي القاسم بن الجدّ مضمونًا وأفكارًا وترتيبًا, ولكنّه لم يصل إلى مرتبته, فجاءت معارضته دون معارضة ابن الجدّ في وصف المشاعر والتعبيرعن صورة الطبيعة في حالى حُزْنها وفرحها , فمعارضة الأديب ابن الجدّ جنحت إلى الخيال أداةً للتعبير, وكذا الأديب ابن عبد الغفورحدا حدوه , وجاءت معارضته مفعمة بروح الشعر, بينما معارضة ابن الباجي اتكأت على المقابلة الشخصية اللغوية الموحية والدالة.

([1]) الذخيرة : ق2/ م1/ 342.

إن معارضة أبي محمد بن عبد الغفور جاءت معارضة لمعارضتي ابن الجدّ وابن الباجيّ, وتتفق معهم في الإطار العام , كما اهتم ابن عبد الغفور بالتفاصيل الجزئية للمعاني, جاء أسلوبه غامضًا, وقد غيرهيكل المعارضة الأم مثل: اتخاذه من حَمْدِ الله على نزول الغيث وسيلة ارتداد إلى الوراء لرصد ما أصاب الناس من أذى, والأرض من جفاف , نرى ذلك في قوله : ((**وإنَّ أحقَّ النعم بشُكْرلا تَنْضَبُ مُدودُه, وحَمْدِ تتجاوز حَدَّ المعهود حدودُه, نُعْمى أحيتْ بالسُّقيا أرضًا مواتا,وأنشَرت بدَرَّ الحيا أملا رُفاتا, وقد غَبَط طيرُالماءِ ضِباب اليهماء**)) [1].

تختم المعارضات المطرية برد الفعل الطبيعي للمُنعم عليه, وهوالعرفان والشكر, والتحميد والتسبيح, والتسليم بقرب رحمته, أما من حيث الحجم, فتوشك المعارضات المطرية الواردة بالذخيرة أن تتفق في الحجم المتوسط[2] .

ثالثاً ـ المعارضات الزرزورية .

نجد أن بناء النص النواة لأبي الحسين بن سراج الذي فجّر تلك الصيّحة الأدبية بين كُتاب الأندلس, جاء بناء معارضته موجز, وتعد رقعة قصيرة غنية عن التطويل, نالت إعجاب معاصريه، وهي كافية لأن تكون مادة أدبية تمهد السبيل أمام الدراسة والنقد, ثم يختم الأديب معارضته بشاهد شعري .

وفي زرزورية الأديب ابن الجدّ , نلاحظ أنّ المعارضة بدأت بتقديم طويل في مخاطبة ابن سراج , ثم دخوله إلى صِرف المعارضة والشفاعة , ويعمد ابن الجدّ فيها إلى إثبات مهارته الفنية , يختم الكاتب معارضته ببيت من القريض، وبالدعاء لطائرالعصفور.

أما زرزورية ابن عبد الغفور, أطال الأديب فيها, وشرح عدة معانٍ كان ابن سراج قد أوجزها, فبعد مقدمة مديدة , ينتقل بعدها إلى الغرض الأساس, وهوالعتاب واللوم؛ حيث أوضح حال الطائر وحاجته إلى نظرة اهتمام , ثم يعرج في رسالته الثانية إلى

([1]) الذخيرة : ق2/ م1/ 343.

([2]) المصدر السابق : ق2/م1/ 196 ,197, و289, 290 ,291, 342 , 343 , 344.

الثناء على معارضة ابن سراج , فيدنو إلى حدٍ كبير منها ويتناول موضوع الشفاعة. يختم معارضته بفقرة إشادة واعتذارعن عدم استطاعته المثول بشخصه بين يديه.

كما نجد الأديب أبو بكر البطليوسي اتبع طريقة ابن سراج, على الرغم من توسعه في حجم المعارضة الزرزورية. إذ تصدّرها بالدعاء للمرسل إليه, ثم يوجه معارضته إلى موضوع الشفاعة, وينهي معارضته ببيت من الشعر في السماحة.

نلاحظ على المعارضات الزرزورية اتفاقها في البناء العام , ويتجلى هذا الاتفاق في توزيع المضمون على محاور ثلاثة ,هي: المقدمة, وتتناول بشكل عام مآثرَ مَنْ وُجِّهَتْ إليه رسالة الشفاعة والدعاء له, وهي مآثر لا خصوصية فيها, ثم الغرض الأساس, وانتهاء بخاتمة تتسم بالاقتضاب ووحدة المضمون, مثال ذلك: قول أبي بكرعبد العزيز بن سعيد البَطليُوسي في ختام زرزوريته :« **وأهديكَ ودادًا مُزجَ باشتياق,وأقرئك سلامًا يُنْسي سلامَ حبيب على الحسن بن وهبٍ بالعراق**»[1] .

فاتصفت المقدمات بالتباين الكمِّي, فتارة تقصرالمقدمة كما في المعارضة الزرزورية لابن سراج وابن الجد . أما خواتيم الزرزوريات قد غلبتْ عليها سمتا القِصر, واتفاق المضمون, ويختم الكتَّاب معارضاتهم بالقريض، كما في معارضة ابن سراج، ونجد مضمون هذه المعارضات قد تباينت مواقف المعارضين حياله؛ إذ طائفة منهم ذهبت مذهب ابن سراج , فجعلت الشفاعة للآخرغاية, واتخذت من التفكهِ وسيلة, منهم ابن عبد الغفور وأبو بكر البطلُيوسي.

على أن اتخاذ الزرزور مادة للشفاعة والفكاهة وهي لم تَعُق الكُتّاب عن تطوير نظرتهم إليه, وتوظيفه رمزيًا, فقد تحول الزرزور من رمز لشخص يُشْفع له إلى عنصر فاعل في مجريات الزرزوريّة , فأضحى مُتَحدِّثًا بعد أن كان مُتَحدَّثًا عنه, فهو محور فكاهي, فيه نصيب للدعابة والضحك والسخرية.

رابعاً ـ المعارضات المعتضدية.

1- الذخيرة : ق2/ م2/ 761.

لم تجمع معارضة من المعارضات السابقة ,على غرض متطابق مثلما أجمعت نصوص معارضة المعتضديات. فحادثة مقتل ملك اشبيلية: إسماعيل بن محمد المعروف بـ عباد, والملقب نفسه بـ(المعتضد بالله),لابنه وولي عهده : إسماعيل, حادثة وقعت سنة(450هـ), حيث إن ظروف تدوين نص المعتضدية الأولى جاء غير طبيعي,وقد كان ابن عبد البرّ يرتجل تلك المعارضة((والوزراء والخاصة جلوس بذلك المقام...وعين المعتضد فيه تصعّد وتصوب)) [1] ويقولون الجلوس في أنفسهم, كما يحكي أحدهم: ((ماعسى أن يتّجه لابن عبد البرّ من كلام على هذه الحال، لا سيّما على الارتجال)) [2]، ولكنهم يستمعون إلى المعارضة بعد الانتهاء منها, فيخرجون من المجلس ((وهم يرون أن ابن عبد البر من آيات فاطره))[3]، فإن النتيجة كانت انبثاق قلم حاز من الاهتمام والإعجاب والإتقان ما جعل أهل بلده يعترفون له بالإبداع والتألق الأدبي, ويتدافعون بمناكب القرائح لمعارضته ومنافسته.

أما من حيث المضمون فكان الغرض موحدًا, هو شرح الظروف الغامضة في حادثة مقتل إسماعيل بن عباد المعتضد بالله , ونشرهذه الظروف بين أنداد ونظراء ملوك الطوائف, وبين أهل الأندلس كافة ؛ وذلك لاكتساب تفهمهم وإحباط سوء ظنونهم، والنظر إلى إبداع ابن عبد البرّ في هذه المعارضة.

ونلاحظ تدخل مقص ابن بسّام في نصوص المعارضات المعتضدية, ولكنها تظل طويلة, وحاول ابن بسّام القبض على بداياتها ونهاياتها والأغراض, مما وهبها صورة من الاكتمال واستيعاب الواقعة وافية.

بدأت المعتضديات بمقدمات عامة في موضوع المصائب وفاجعة النوائب, دون تحديد لاسم الشخص الموصول بالغدر, أما حجم المقدمة في معارضة الكاتب محمد ابن عبد البرّ والكاتب المجهول الثاني, فكانت حجم فقرة متوسطة في المعارضتين . بينما أطال المجهول الأول التقديم , وقد كثر من الشواهد النصية ذات الصلة.

([1]) الذخرة : ق3/ م1/ 137.
([2]) المصدر نفسه : ق3/ م1/ 137.
([3]) المصدر نفسه : ق3/ م1/ 137.

وبعد تلك المقدمات لمعارضات المعتضديات, بدأ الأدباء الثلاثة إلى تفصيل الواقعة, ثم تأخذ المعارضات المعتضدية في مخاطبة المرسَل إليهم مباشرة, والدعوة إلى التعجب والاعتبار, وقبول عذر الأب في مثل هذه الوقائع التي يقترفها الأبناء في حق آبائهم؛ فمعارضة المجهول الأول, نجدها طويلة جدًا حتى أنها فاقت رسالة ابن عبد البرّ, أما معتضدية المجهول الثاني فهى الأقصر حجمًا, والأوجز قصًا وسردًا. ثم جعلتْ هذا الواقعة الأدباء يبحثون عن مضارعات لها في تاريخ الملوك والسلاطين والمرسلين, كذلك توضيح نية ولي العهد(إسماعيل) بالتلميح إليها في هتك الأعراض.

أما الخواتيم , فقد جعلها ابن عبد البرّ والمجهول الأول عبارة عن اعتذارعن التطويل؛ ونلتمس ذلك العذر للمصدورالعليل المستهدف بالطامّة الصاعقة المذهلة, مع الدعاء للمرسل إليه الخاصّ بالصلاح والنجاة ,أما خاتمة المجهول الثاني, فهى إيجاز بين فقرة الدعوة إلى إبداء التعجّب والشّدُوه , وبين ما ختم به كل من ابن عبد البرّ والمجهول الأول معارضتيهما.

المبحث الثاني

اللغة والأسلوب

أ ـ الألفاظ والتعابير :

من المقومات الفنية للنص الأدبي الألفاظ والعبارات, ولكل فنان أدواته التي يستعملها, فأداة التعبيرعند الكاتب هي الألفاظ والعبارات, والصياغة الفنية هي التي تعطي الكلمة قيمتها وحياتها وأثرها, فالدلالة التي تحملها اللفظة في المعجم تختلف عن دلالتها في العمل الأدبي؛ لأنها في العمل الأدبي تحمل فكر الأديب وروحه, أما في المعجم فهي تدل على معنى عام , والألفاظ كثيرة في المعاجم , ولكن الأديب الجيد الذي يؤلف بينها تأليفًا ممتعًا .

واللفظ في النص الأدبي- شعرًا أم نثرًا- يتغير بتغيُّر مكانه, حيث يكون مسربلاً بالموسيقى يتسم بهالة من البهاء تكسبه جمالاً وعذوبة ، أما جمال الأثر يتجلى في التراكيب والعبارات بعد اجتماع الألفاظ وائتلافها, وتناسقها فيما بينها وتلاحمها في نسيج محكم بديع .

يقول أبوهلال العسكري: ((إذا أرَدْتَ أنْ تَصنَع كلامًا فأخطر معانِيَه ببالك, وتنوَّقْ له كرائِمَ اللفظِ , واجعلها على ذكر منك ؛ ليقربَ عليك تَنَاوُلُهَا, ولايتعبك تطلّبُها)) [1].

ينقسم الكلام الذي نعبّر به جميعًا على قسمين أحدهما- يسمى خبرًا, والآخر إنشاءً، ومن مظاهراهتمام كُتَّاب القرن الخامس الهجري بأساليبهم, مزجهم بين أساليب الخبر والإنشاء في تعابير معارضتهم , فالخبركما هومعروف(هو كل قولٍ أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده)[2]. إذا كان الإنشاء قسيم الخبر,وكان الخبرهو ما يحتمل الصدق أوالكذب, فإن الإنشاء هو(الكلامٍ الذي لا يحتمل الصدقً والكذبً لذاته؛ لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أولايطابقه)[3]. فاستعمال هؤلاء

([1]) الصناعتين :الكتابة والشعر،أبوهلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت، 1986م : ص133.

([2]) جواهرالبلاغة،في المعاني- والبيان- والبديع،لأحمد الهاشمي، تدقيق وفهرسة: حسن نجار محمد ، مكتبة الآداب ، القاهرة ،مصر، ط 2 ،2005 ف: ص 43.

([3]) جواهر البلاغة : ص75.

الكُتَّاب لأساليب الخبر والإنشاء يؤكد وعيهم التام بقيمة كل منهما في إبراز المعنى وتقويته.

أولاً ـ المعارضات الزهرية .

جمعت الزهريات نصوصًا أدبية تنتمي إلى القرن الخامس الهجري . ومعلوم أن الأساليب اللغوية والفنية للكتابة الأندلسية في أخريات القرن الهجري الرابع بدأت تتجه نحو مفارقة الأسلوب السهل اليسير, قصد الأخذ بالمدارس النثرية الجديدة, فنلاحظ ذلك في المعارضات الزهرية , من تطور في المعاني ومعالجتها بالبساطة والتفصيل .

كما اهتم الكُتّاب باختيار المفردات البراقة التي تغني الأديب عن السجع وقيوده إلى حد كبير, وعدم التفنن في الجناس وسائر صورالبديع . يتميزأسلوب كُتَّاب الزهريات باستعمال الأسلوب الخبري , وهذا ما كان واضحًا في سياق المعارضات الزهرية, مثال على ذلك في زهرية ابن حسداي حيث يقول:((**إذا لحظتني بعين الاعتبار, قائدُ النّوار, ووافدُ الأزهار, وأنا لها جالبٌ وهي طاردة, ومبشّرٌ بورودها وهي مؤيسة متباعدة**))[1], هذه الفقرة من الأسلوب الخبري, خاطب بها ابن حسداي الخليفة المقتدربالله خالي الذهن من مضمونها, ولهذا لم يستخدم فيها أيًا من أدوات التوكيد, وهذا الضرب يسمى ابتدائيًا.

وقد يكون الكلام مؤكد بأداة من أدوات توكيد الخبر, كما في قول ابن حسداي: ((**فإني غَلَبْتُ بما في طبعي من التيقّظِ والذكاء**)) [2], وأكد الخبر بحرف التوكيد والنصب(إنّ), والغرض البلاغي الذي أراده الكاتب هو المدح فالخبرلازم الفائدة.

وله أيضًا قوله :((**وإن لم يحسنْ عنه بيانًا**)) [3]يؤكد الخبر بحرف توكيد ونصب(إنّ).

ومن الأمثلة على تأكيد الخبر, هذه الفقرة لابن حسداي أراد من ذلك الوصول إلى اليقين في معرفته, وينتزع من الخليفة التردد والشك, فجاءت(قد) لترسيخ ذلك الحكم

([1]) الذخيرة : ق3/م470/1.

([2]) المصدر نفسه : ق3/م470/1.

([3]) المصدر نفسه : ق3/م471/1.

كما في قوله:((**وقد ساءَني ما عاينتُ من ضناكَ ونحولك .** كذلك قوله :**وقد أثَرْتُ في أفقك البهيج**))[1].

جنح كُتّاب هذه المعارضات إلى الأسلوب الإنشائي في بعض الأحيان, ومن الصيغ التي اعتمدها كُتّاب الزهريات في معارضاتهم, صيغة النداء في معارضة ابن بُرّد الذي استفتح به مقدمة معارضته الزهرية وغرض ابن برّد في ذلك شدّ انتباه ابن جهور إليه, وللكلام الذي سيأتي بعده, يقول:((**أما بعد, يا سيِّدي ومَنْ أنا أفديه فإنه ذكر بعض أهلِ الأدب المتقدمين فيه...**)) [2]. فحرف النداء (الياء)الذي استعمله الكاتب والمنادى سيدي لغرض بلاغي وهو تنزيل القريب منزلة البعيد إشارة إلى علو منزلته ورفعة لشأنه, وهو أسلوب أراد منه التقرب للخليفة , وكذلك قوله:((**يا معشرَ الشجر, وعامَّةَ الزَّهر,إنَّ اللهَ تَعَالى اللطيف الخبيرالذي خَلَقَ المخلوقات, وذرأ البريّاتِ**))[3], فخصص الكاتب هنا النداء إلى معشر الشجر, وعامة الزهر فالشجر والزهر لا ينادى وصيغة النداء مجازي , أراد من ذلك الإشارة إلى مرتبة الورد.

ومن الأسلوب الإنشائي الطلبي(التمني), وقد يتمنى لغرض بلاغي بـ (هل), كما في قول ابن الباجي:((**فهل لمولاي أن يحسنَ إليَّ صنيعًا ,ويكرم النّوْرَ جميعًا, ويدنيني فأرقى إلى أختي الثريّا سريعًا, في مجلسٍ قد أخْلصَتْهُ سحائبه**))[4]. والغرض البلاغي الذي جيء من أجله بـ(هل) إبراز المتمني المستحيل, وإظهاره في صورة الممكن القريب المنال لكمال العناية به والتشوق إليه.

استعمل الكاتب ابن الباجي صيغة النهي كما في **قوله:**((**وقديمًا أكرمني مولاي فلا يهنِّي, ووصلني فلا يصرمني, ومنحني فلا يحرمني**))[5].فنحن لا يمكننا هنا أن نقول إن ابن الباجي صادق أو كاذب في نهيه للخليفة , وقد يحتمل كلام ابن الباجي الصدق؛ لوجود مدلول خارجي قبل النطق به ؛ أي : كلام سبق النهي، وهي مكانة ابن الباجي عند الخليفة , فالكلام طابق النهي؛ فهو صادق فاشتملت هذه الفقرة على صيغة يطلب

([1]) الذخيرة : ق3/م1/ 471، 472 .
([2]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 127.
([3]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 127.
([4]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 195.
([5]) المصدر نفسه: ق2/م1/ 195.

بها الكف عن الفعل, وطالب الكف هو الخليفة وهوالأعلى منزلة , فيتجه إليه مبتهل بصيغة النهي ليس على حقيقته , وإنما لغرض الدعاء والضراعة.

والمتتبع لمعارضة الزهريات يجد الكثير من الأساليب البلاغية التي استعان بها كُتّاب الزهريات بعيدة عن التكلف , وإنما تكون عفوية في أغلب الأحيان .

ثانيًا ـ المعارضات المطرية .

نجد فيها الألفاظ الموحية بحالة الجفاف وبحالة الجدب التي أصابت الناس والأرض, مثال : الغبرة والخضرة , الشحوب والنضرة , فجاءت قوية معبرة عن الحالة التي يعيشها الإنسان والأرض معًا , فزينة الأرض مشهورة , ووصف الوجوه بعد بؤسها، كما توحي ألوان الأزهار من أصفر وأخضر وأحمر بمهرجان من الربيع الطلق, ونجح الكاتب ابن عبد الغفور في وصف صورة الأرض حال جدبها ، أما الأديب ابن الجدّ , فلم يخرج عن إطار ابن عبد الغفور, وقد وفق في الربط بين الصور وفقًا للحالة الشعورية المصورة والمعبر عنها.

كما نلاحظ أنّ مطريتي الكاتب ابن الجدّ والكاتب ابن الباجيّ, قد توسعتا في الوصف, مع الوضوح في اللغة , وجمال الأسلوب وانتقاء المفردات الدالة على المعاني, وهما نصان من ينبوع القرن الخامس الهجري في الأندلس .

تمتاز معارضة الأديب الباجيّ بالجمل القصيرة , وكلما كانت العبارات قصيرة كلما اتضحت عناصر التناسب أكثر, وكان وقعها عليها أكبر؛ فهى تنتهي بجرس موسيقي, جعلها أقرب إلى البناء الشعري, مثال على ذلك قوله:((**ثم نشر تعالى رحمته, وبَسَطَ نعمتَهَ, وأتاح مِنّتَهُ, وأزاح مِحْنَتَهُ, فبعث الرياحَ لواقحَ, وأرسل الغمامَ سوافحَ, بماءٍ دَفُق, وَرواءٍ غَدَق, من سماءٍ طبَق**))[1]،جمعت هذه الفقرة في إيجاز أنواع المنافع التي منحها الله تعالى إلى عباده , فأتاح المنّة ,وأزاح المحنة, وبعث الرياح, وأرسل الغمام بمياه غزيرة دافقة من السماء, والتي بدَّلت حال الإنسان والأرض ومن عليها من بؤس إلى بهجة, وأراد الكاتب ذلك للتسهيل, فكلما كان

([1]) الذخيرة: ق2/م1/ 196.

الكلام وجيزًا كان أسهل للفهم , وهو أسلوب بليغ يتبعه البلغاء ، وبه تتفاوت أقدارهم في البلاغة من أديب إلى أخر.

بدأ ابن الباجي معارضته بأسلوب خبري مؤكد بحرف التوكيد والنصب(إنّ) كما في قوله: « **إن لله تعالى قضايا واقعة بالعدل, وعطايا جامعة للفضل, ومنحًا يبسطها إذا شاء إنعامًا وترفيهًا** » [1], واختارمن الألفاظ ما يعبرعن قدرة الله تعالى مثل**(يبسط, يقبض, يريد, يجعل)**[2] . اعتمد ابن الباجي في معارضته المطرية على الأسلوب الخبري؛ لأن كلامه يطابق الواقع فهو صدق, ولم ينسج كلامًا من خياله؛ فهو يتحدث عن قدرة الله تعالى , فالكلام مقطوع بصحته ,ومن البديهيات المألوفة ولا يحتمل الكذب.

عند الحديث عن مطرية الأديب محمد بن عبد الغفور, نجد أنه مال فيها إلى الإكثارمن الزخرف البديعي في الكتابة, مع الوضوح في المعاني والتطويل في التناول, وكثرة الجناس والسجع. ويغلب الأسلوب الخبري في معارضته المطرية على الأسلوب الإنشائي .

نجح كُتَّاب الأدب المطريّ في تطويرالأساليب النثرية العربية, من اعتناء بالصياغة , وتجميل للأسلوب وتوسعة في الموضوع . فالمطريات هي بذرة فكرة, عاصرت مختلف الأجيال الأسلوبية النثرية وتعد بحق تحفة ؛لأنها تؤثر في النفوس كما تؤثر قطرة الماء في الأراضي المُجدبة, وسكانها من الحيوان الناطق منه والأعجم .

([1]) الذخيرة: ق2/م1/196.

([2]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 196.

ثالثًا ـ المعارضات الزرزورية .

نلاحظ على هذه المعارضات أنها ذات ألفاظ دلالية متعددة , تدورفي فلك الشفاعة، وتعالج هذه الألفاظ والتعابير وصف الطبيعة النباتية وطبيعة عالم الطيور, في قسمين منها : الطبيعة حال الجدب والشدّة , ثم حالها زمن الخِصب والنَّضْرة .

نرى فيها تنوع الأساليب من خبري إلى إنشائى, يهدف من وراءه الكاتب لغرض بلاغي سام ,ويعتمد البناء الأسلوبي على ما تطلبه المعارضة من وسائط لغوية, فدارالحوار داخل المعارضة تلوينًا للأسلوب, ليزداد حيوية وتشويقًا .

نجد أن المعارضة الزرزورية الأم جاءت ألفاظها وتعابيرها عفوية تلقائية , واتكأ الكاتب ابن سراج على أسلوب التصريح المباشر, بأسلوب خبري ابتعد فيه عن أدوات التوكيد, كما في قوله:((**كتبتُ أحْرُفي هذه, والودُّ صقيلُ الوذائِل, مطلول الخمائل, جميل البكَر والاصائل,والله تعالى يَزيدُ أزهارَهُ وضوحًا وأطيارَهُ صدوحًا، وظباءَهُ تيامنًا وَسُنُوحًا, بمنّه**))[1].

اقتربت باقي المعارضات الثلاثة ,كمعارضة أبو القاسم بن الجدّ من تأكيد الكلام بمؤكد, مثال على ذلك تأكيد الكلام بصيغة(قد) لكون المخاطب لا يجهل حالة المعيشة الكدية, ولكنه شاك أو متردد في هذا الحكم, فلجأ الأديب لتأكيد الخبرب(قد), كقوله: ((**وقد آن الآن لِعُقْم شَجَرهِ أن تُطْلعَ من الثمر ألوانًا...وقد هزَّ قوادمَ الجناح**)) [2].

وقد يؤكد الكلام بحرف توكيد ونصب, وهو(إن) كما في قوله :((**فإنِّ أزهاره على شِرْب الصفاء نابتة...فإنه رجّع بذكرك حنينًا... ومعلومٌ أنَّ هذا الطائرالصّافر يفوقُ جميع الطيور في فهم التلقين**))[3] .

وكذا معارضة الأديب محمد بن عبد الغفور ومعارضة الأديب أبو بكر البطليوسي, كان التفاعل العفوي مع النص المعارَض حاضرًا, فاقترب ابن الجد من الألفاظ المعبرة عن الشوق والمودة والإخاء , لغرض التوسل لابن سراج .استطاع

([1]) الذخيرة : ق2/م1/ 347.
([2]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 348.
([3]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 348.

البطليوسي استطاع توظيف الخيال , أفلح فيه إلى حد كبير بفضل التناول الخلاق للنص المعالج من حيث اللغة , ونسج الأسلوب والخيال القصصي .

كما جنح كُتّاب الزرزوريات إلى الأسلوب الإنشائي , في بعض الأحيان بصيغة التوكيد والأمر والتعجب, وصيغة النداء الذي استفتح به الأديب ابن الجدّ معارضته الزرزورية حيث بدأها بقوله:((**حَسُنتْ لك يا سيدي أبا الحسين ضرائب الأيام, وتشوَّقتْ نحوك غرائبُ الكلام, واهتزَّتْ لمكاتبتك أعطافُ الأقلام**)) [1] , لغرض شد انتباه المرسل إليه وطلب التقرب منه , فخرج لفظ النداء عن معناه الأصلي وهو طلب الإقبال, إلى معنى أخر وهو الإغراء.

ومن زرزورية ابن عبد الغفور نقتبس أسلوبًا إنشائيًا طلبيًا وهو"النداء", وهنا خرج النداء عن معناه الأصلي والغرض البلاغي الذي جيء به من أجله بـ(يا)هو التعجب من أمرهذا الزرزور, وقدرته على النطق , وجعله الكاتب في صورة الرمز، مثل قوله:((**فيا للعجب العجيب, ولسان هذا الزرزور النجيب**))[2].

ونلمس لوعة التوجع والألم في قوله: ((**وآهاً لقاطع ,قُطِعَ به مع الفجرالسّاطع**))[3], وغيرها من الصيغ التي تنوّعت عند كُتّاب الزرزوريات في القرن الخامس الهجري, ليعطوا نصوصهم مزيدًا من التنويع والتلوين .

نرى ابن عبد الغفور قد وظّفَ بعض اللغة بإيحاءتها لتوليد عنصرالسخرية كقوله: ((**إن عجبًا برالوزير, بالزعانف والزرازير**))، فكلمة "**الزعانف**"[4]توحي بالتهكم والسخرية , واستعماله لكلمة "**الزرازير**" فاستعملها ابن الجدّ لإثراء روح الهزل, حيث يقول:((**لئن سُمِّيَ بالزريزيز, لقد صُغِّرَللتكبير, كما قيل:حُرَيْقِيص**))[5].

رابعًا ـ المعارضات المعتضديّة .

([1]) الذخيرة : ق2/م1/348.
([2]) المصدر نفسه: ق2/م1/ 354.
([3]) المصدر نفسه :ق2/م1/354.
([4]) المصدر نفسه: ق2/م1/ 351.
([5]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 348.

أقدم بعض الكُتّاب الأندلسيين على معارضة معتضدية محمد بن عبد البرّ, وهذا دليل على أن معتضديته اشتملت من الألفاظ والتراكيب على ما يُعجبُ ويجذبُ الأذواق والأقلام الأندلسية من الوسط الأدبيّ .

إنَّ الكاتب ابن عبد البرّ قد أخذ بهول الحدث , وعِظم الموضوع , وزئير المعتضد بالله وهيبة البلاط , وموهبته الكبيرة , فإن المعارضَيْن المجهولَيْن اللذين أحجما عن ذكراسميهما, قد أُخذا بقوة وجرأة معتضدية ابن عبد البرّ, بمتانة تراكيبها, وشعرية منثورها , وتألق ألفاظها المستدعاة والمستوحاة من كل معجم وقاموس .

استخدم ابن عبد البرّ كامل طاقته واستفرغ جهده في بناء صرح هذه المعارضة وإخراجها , أمّا معارضِيه فقد بذلا جهدًا محمودًا سما بمعارضتيهما إلى أعلى المراتب الجمالية ,وشدهما إلى هذه المعارضة قوة الجمال, فابن عبد البرّ قد ارتج كيانه بهيبة بلاط السلطان, وحُبّ البقاء , وظرف الفاجعة. وتأثيرهيبة السلطان كان لها الأثر البالغ على الأديبين المجهولَيْن بدليل خشيتهما من التصريح باسميهما, وجمعت هذه المعارضة التماسك في المعاني, والانسجام في موقف الأب الحزين القاتل , وجزالة التعبير, وروعة الأداء اللغوي والموسيقي.

اعتمد الكاتب ابن عبد البرّ على الأسلوب الخبري في سرد الحادثة بمؤكد وبدون مؤكد حسب حال المخاطب , وأُلقي الكلام بدون مؤكد ؛ لأن السامع خالي الذهن، كما في قوله :« **وطرأتْ عليَّ من خطوبِ الأيامِ طارئةٌ دَهياءُ دَهماءُ, وفجأتني من ضروبِ الأقدار فاجئةٌ عمياءُ صمّاءُ , ثارت إليَّ من مكمني, وطلعتْ عليَّ من مأمَني**» [1], ونوع الخبر ابتدائي, وتارة يوجه الكاتب الكلام ويؤكده, وقد يكون بمؤكد واحد ؛لأن السامع متردد أو شاك في مضمون الخبر ،كما في قوله:«**أن الغبيَّ العاقَّ, اللعينَ المشاقَّ** »[2], فجاء الخبرمؤكد بالحرف الزائد(أن) ليتمكن من نفس المتردد أوالشاك, ويحل فيها اليقين محل الشك ؛ فهى جملة خبرية الغرض البلاغي منها التشنيع. وأيضًا قوله : « **وقد يُفتَنُ الآباءُ بالأبناء...وقد تطيبُ ثم تخبثُ, ومن اتخذ**

([1]) الذخيرة: ق3/م138/1.

([2]) المصدر نفسه :ق3/م138/1.

الغاوي خَدينًا...وقد استجلبتُ من الغربِ ابني محمدًا)) [1] فالجمل السابقة نجد بها مؤكد واحد , ونوع الخبر فيها طلبي,ويقلل الأديب من الأسلوب الإنشائي في معارضته فالحادثة يحتمل فيها الصدق والكذب .

وجاءت هذه الأساليب البلاغية عند ابن عبد البرّعفوية ودون تصنع وتكلف؛ فذلك لأن الأديب كان اهتمامه في الحالـة الهائجة التي يمر بها المعتضد, أمـا المـجـهـول الأول والثاني فحذوا حذو ابن عبد البرَّ, وزادا عليها , فبدأ مجهول أول معارضته بصيغة التعجب والاستغراب في قوله :((**ما أبصركَ – أيدَك الله – بل أذكَرَكَ !**))[2]. ثم اندرج للأسلوب الإنشائي(الاستفهام) يتساءل الكاتب عن هذه الحال, فكيف يحدث مثل هذا الأمر؟ نرى ذلك في قوله : ((**وكيف يُوقظُ اليقظانُ, وينبّهُ النبهان**))[3], الغرض منه المدح باليقظة والإشادة بنباهة المعتضد وذكاءه ، ثم نقف عند مجهول ثان , حيث بدأ معارضته بأسلـوب خبري ابتدائي خالٍ من أدوات التوكيد , يقول :

((**المحن على ضروب, والنوائب تجري بمعضلات الخطوب, فتفجأ بالرَّقِمِ الرَّقماء, وتطرقُ بالداهية الدهياء, وتأتي بالغريبة الشَّنعاءِ**)) [4].

ب- الجمل الدعائية والمعترضة :

استخدم أدباء المشرق والأندلس هذا اللون من الجمل التي تعتبر أصلاً من أصول التعبيرالأدبي في أنواع الرسائل المختلفة [5]ونقصد بالجمل الدعائية تلك العبارات المتضمنة دعاء بدوام العز والسعادة ، وامتداد السلطان، وطول الأجل، وازدياد القوة، وما إلى ذلك من المعاني العديدة ، أما المعترضة فهي التي ترد بين الكلام، وغالبًا ما تكون دعائية أيضًا في مضمونها.

جاءت الجمل الدعائية في المعارضات ، بشكل قليل ، وهي تبرز شخصية المرسل إليه وتوحي بمدى التوقير والتبجيل لهذه الشخصية في قلب صاحب المعارضة، ومن ذلك ما كتبه الوزيرأبوبكرالبطليوسي عارض بها ابن السراج ؛ إذ يقول :((**أمَّلك أبا**

([1]) الذخيرة : ق3/م1/ 139، 142.
([2]) المصدر نفسه : ق3/م1/ 154.
([3]) المصدر نفسه : ق3/م1/ 154.
([4]) المصدر نفسه : ق3/م1/ 161.
([5]) ينظر أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري : ص320.

الحسن الأحرارُ، وأمَّك الكبار، وانتجعت قُطْرك الأقطار، وشكرتْك حتى بترجيعها الأطيارُ. ويصلُ به – وصل الله سعودك – من الطير نطَّاق)) [1].

كذلك في معارضة ابن الحسداي للمقتدر بالله على لسان النرجس :((**أنا- وصل الله بهجة سلطانك ، ونضرةَ أوطانك- إذا لحظتني بعين الاعتبار، قائد النوار، ووافدُ الأزهار،وأنا لها جالبٌ وهي طاردة ، ومبشرٌ بورودها وهي مؤيسة متباعدة...))** [2].

ونجد مثل هذه الجمل الدعائية في معارضة أخرى لابن عبد البرّ؛ إذ يقول:((**إذا تقوضيّ- أيّدك الله – حقُّ المشاركة، وتعوطي حق المساهمة بين إخوان الصفاء في صغارالأبناء، فأخلق بتقاضيه في العجائب العقم، وتعاطيه عند النوائب الدُّهم وطرأت عليَّ يا سيدي وأغلي عددي من خطوب الأيام طارئة دهياء,وفجأتي من ضروب الأقدار فاجئة عمياء صماءُ))**[3]. فكثرة الجمل المعترضة في هذه المعارضة تأتي قصيرة.[4] كما تكثر في الجمل الدعائية عبارات مثل: أيد ، نضرة، أعزّ، وصل، وفق ،سلم. الغرض منها للظهور والاعتلاء, ولكي يرتاح قلبُ المُطيع وينبسط أمله.

جـ - الاقتباس والتضمين:

الاقتباس من المحسنات البديعية اللفظية للنص، وأكثرَ كُتَّاب المعارضات في نثرهم من الأمثال والآيات القرآنية الكريمة , والأحاديث النبوية الشريفة, وقد توسعوا في ذلك توسعًا كبيرًا، وكذا الخطب الدينية وحل أبيات الشعر, نجد هذه الأنواع البلاغية في المعارضات النثرية على تفاوتٍ فيما بينها, وما يناسب المقام.

1- الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم:

الاقتباس:هوالأخذ والاستفادة[5], وذكرالبلاغيون أنَّ الاقتباس:((هو أن يضمَّن المتكلم كلامه كلمة من آية ,أو آية من آيات كتاب الله خاصة, هذا هو الإجماع))[6].

([1]) الذخيرة : ق2/م758/2.
([2]) المصدر نفسه : ق3/ م1/ 470.
([3]) المصدر نفسه: ق3/ م1 /138.
([4]) المصدر نفسه : ق3/ م1/ 138-143.
([5]) معجم البلاغة العربية , بدوي طبانة , منشورات جامعة طرابلس , ط1, 1977م : 675/2.
([6]) المرجع السابق : 675/2.

وكان اقتباسهم من القرآن الكريم والحديث الشريف , إما لإيراد الآيات والأحاديث بصيغتها ولفظها, أو إيرادها دون النص عليها, تأييدًا لفكرة أو تمثيلاً لحال من الأحوال, كزهرية ابن حسداي عندما وصف حالة جدب الأرض, قوله:(**لأنْقُلَكَ من جَنَابِ النبات الهشيم**)[1], فهى تضمين لفظة هشيم من قوله تعالى:﴿**فأصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّياحُ**﴾[2]. قوله أيضًا:(**فتنبّهَ العزمَ من وَسَنه**)[3] توظيف لفظة قرآنية من قوله تعالى :﴿ **وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾[4] فالمتتبع للمعارضات الزهرية يلاحظ قل فيها الاستشهاد بالموروث الديني .

يأتي الحديث بعد ذلك عن المعارضات المطرية فكان الاقتباس فيها للآيات القرآنية بتفاوت, فتارة يقل وتارة يكثر. ففي مطرية الباجي[5] نجد اقتباس لآية قرآنية واحد كاملة, لقوله تعالى:﴿**وَهُوَالَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُرَحْمَتَهُ,وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[6]. جاء هذا الاقتباس مصرح فيه مباشر بلفظه بأنه من القرآن الكريم.

أدرج ابن الباجي في معارضته في مواضع أخرى ألفاظ قرآنية, من أمثلة ذلك قوله:(**فبعث الرياحَ لواقحَ**)[7] تضمين لفظة من قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَاالرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾[8]. وقوله:(**وأرسل الغمامَ سوافحَ, بماءٍ دَفْقٍ**) تضمين لفظ قرآني من قوله تعالى: ﴿**خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ**﴾[9].وله أيضًا:(**وَرواءٍ غَدَقٍ**) ضمن الأديب لفظة غدق من قوله تعالى:﴿**وَأَن لَّواسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّآءً غَدَقًا**﴾[10] وفي قوله:(**من سماءٍ طبَقٍ**) [11] , تضمين من قول الله تعالى﴿ **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ**﴾[12]. كما وظّف الكاتب بعض الألفاظ القرآنية بالمعنى, مثال قوله:(**والقلوبُ ناعمةٌ بعد**

([1]) الذخيرة : ق3/م1/471.
([2]) سورة الكهف، الآية : (44).
([3]) الذخيرة : ق3/م1/472.
([4]) سورة طه، الآية : (112).
([5]) الذخيرة : ق2/م1/196.
([6]) سورة الشورى، الآية :(26).
([7]) الذخيرة : ق2/م1/196.
([8]) سورة الحجر،الآية : (22).
([9]) سورة الطارق، الآية: (6).
([10]) سورة الجن، الآية :(16).
([11]) الذخيرة : ق2/م1/ 196.
([12]) سورة البروج ، الآية : (19).

بوسها,والوجوهُ ضاحكة بعد عبوسها)[1], تضمين من قوله تعالى:﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ**﴾[2]. نلاحظ أن الكاتب ضمّن كلامه هذا الأثر الشريف من غيرأن يصرح بأنـه من القرآن الكريم, وغرضه في ذلك تقوية كلامه ، حيث يستعير من قوة أسلوب القرآن قوة , بالإضافة إلى أنه يكشف عن مهارته في الربط بينهما.

أما رسالة ابن الجدّ, فنجده يقول:(**أرسل الله تعالى بين يد رحمته ريحًا بليلة الجناح)**[3], في هذا القول تضمين من قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ**﴾[4].

وفي معارضة ابن عبد الغفورفي قوله: **(لـه الخلق والأمر)**[5], تضمين من قوله تعالى:﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[6], وجاءت هذه الاقتباسات متوافقة مع الموضوع ,وكأنها جزء من كلام الكاتب, ولم يحذف الآية ؛ولكنه لم يوردها وإنما استعار منها كلمات جاءت كما لو كانت تتمة لسياق المعنى .

عناصرالصنعة التي ذكرناها سابقًا فيها اهتمام بتضمين القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر. نرى أن أكثر كُتَّاب المعارضات الزرزورية لم يهتموا بهذه العناصر في معارضاتهم، فنجد البطليوسي في زرزوريته, ضمن آية من سورة الإسراء بنصها [7]، وهي قوله تعالى:﴿**وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾[8].

أما المعتضديات فالرسالة الأولى كانت بمثابة "مشهد تكميلي"ينبني على أصل لكن لا يتقيد به, ويتبنى بعض ما فيه, فحجم المؤامرة جعل ابن عبد البرّ يُبْدِلُ كل طاقته، وهذه الفاجعة منعت الأديب أن يستعين بالقرآن المجيد اللهم ما خلا مرتين, أما

([1]) الذخيرة : ق2/م1 /197.
([2]) سورة عبس، الآية :(37-38).
([3]) الذخيرة : ق2/م1/290.
([4]) سورة الفرقان، الآية :(48).
([5]) الذخيرة : ق2/م1/ 343.
([6]) سورة الأعراف، الآية :(53).
([7]) الذخيرة : ق2/م2 / 759.
([8]) سورة الإسراء ،الآية:(44).

في ثنايا المعارضة فنجد تضمينات لآيات قرآنية وأبيات شعرية, وبعض من أمثال العرب وحكمهم .من أمثلة تضمّين كلام الله -عزّوجلّ- حديثه عن مصاحبة قرناء السوء, قول الله تعالى: **وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ لَهُ قرينًا فَساءَ قرينا**﴾ [1]وكذا قول الكاتب:((**ويكيدونه بكيد الوسواس الخناس**))فهى تضمين لفظة قرآنية من قوله تعالى تعالى: ﴿**مِن شَرِّالوَسْوَاسِ الخَنَّاس**﴾[2], وضَمَّنَ الأديبُ معارضته بدلائل قرآنية كثيرة مثال ذلك:((**ولولا دفاعُ الله تعالى لامتدت أيدي السّفال فضلاً عن أعينهم, واتّسعَ خَرْقٌ لا قوةٌ على رتقه معهم**))[3] فقد ضمنها من قوله تعالى:﴿**وَلَوْلا دِفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم ببَعضٍ لَّفَسَدتِ الأرْضُ**﴾[4]. فجاء بها الكاتب بطريقة بارعة تنم عن مهارة فائقة وأدرجها في كلامه, لتبدو وكأنها جُزْءٌ منه, فهى مناسبة لموضوعه, مواتية لسياق كلامه.

2- الاقتباس والتضمين من الحديث الشريف:

أما الأحاديث النبوية الشريفة, فكانت أقل استعمال في المعارضات النثرية, إذا ما قيست بالآيات القرآنية الكريمة، ومن المعارضات التي وردت فيها الأحاديث الشريفة, المطريات، حيث اكتفى الكاتب بذكر الجزء اليسير, بل الكلمة الواحدة, منها ما أدرجه ابن الجدّ في معارضته, حيث يقول:((**فنظمت عقودَ السحاب, نَظْمَ السّخاب**))[5] فلفظة(السّخاب) تضمين من حديث شريف[6].

وكذلك المعارضات الزرزورية ما جاء في متن معارضة ابن عبد الغفور من قوله:((**وَبُهْمَةٍ في المِصَاعِ بكَرير**))[7]لفظة(كرير)تضمّين من حديث نبوي شريف[8].

ومن أبرزذلك السياق الوعظي, الذي يروم صاحبه تصفية النفس بواسطة تنبيهها إلى حقائق أزلية, فحديث رسول الله خير ما يرسم على هديه طريق الحق, ولنا من

([1]) سورة النساء، الآية:(38).
([2]) سوة الناس،الآية:(4).
([3]) الذخيرة : ق3/م1 / 142.
([4])سورة البقرة،الآية:(249).
([5]) الذخيرة: ق2/م1/ 290 .
([6]) ينظرهامش الفصل الثاني من هذا البحث: ص113.
([7]) الذخيرة: ق2/م1/351.
([8]) ينظر هامش الفصل الثاني من هذا البحث: ص128.

قول البطليوسي خيرما تمثل به لهذا المنهج ((وكقوله- عليه السلام- **لعائشة: ياحميراء**))[1]. ضمّن الكاتب كلامه الحديث الشريف وصرح به, وغرضه في ذلك هو الارتقاء بأسلوبه عن طريق تحليته بكلام رسول الله عليه السلام, ليزداد حلاوة.

نَثَرَابن عبد البرّ في معتضديته قوله: ((**والهوى يطمسُ عينَ الرأي أو يُلمّ**))[2]. فلفظة(يُلمّ)[3] مقتبسة من الحديث النبوي .ضمّن الأديب كلامه هذا الحديث الشريف دون أن يصرّح بأنه من الحديث الشريف , وأراد من ذلك تقوية الأسلوب, وتحسينه.

ولم تقف ملامح الاستعانة عند الأحاديث فقط , بل تجاوزتها أحيانًا إلى بعض الأقوال التي غالبًا ما كانت حُجةً يسوقها الكاتب بين يدي فكرته, مع ملاحظة نسبة : الأقوال إلى أصحابها, منها قول عمر- رضى الله عنه ((**أخافُ على هذا العُريب**))[4]. جاء بها الكاتب واعتبرها من المقوّيات لِكَلَامِهِ في معارضته.

3 ـ تضمين الخطبة:

يعمد الأديب في معارضته إلى تضمين نص من خطبة الإمام علي كـرم الله وجهه: ((وتجاوزتُ به حدود الآمال, نقلاً من حالٍ إلى حال, حتى مُدَّتْ نحوه الأعناق))[5], فهى من خطبة الإمام يقول إذا لقي محاربًا:((**اللهم إليك أفضتْ القلوبُ, ومُدتْ الأعناق, وشخصتْ الأبصارُ, وثُقلت الأقدام, وأنضيت الأبدان...**))[6].

4ـ تضمين الشعر.

اختلف كُتَّاب المعارضات الأندلسية في طرائق تضمين الشعر, منهم ما جاء ببيت شعركامل, ومنهم ما جاء بعجزه أو صدره, ومنهم ما جاء بمعناه وأدرج في الكلام, مع المحافظة على بعض ألفاظه .

هناك معارضات وردت فيها الأبيات الشعرية بلفظها منها , الزهريات, معارضة

([1]) الذخيرة: ق2/م2 /758, وهامش :الفصل الثاني من هذا البحث:ص133.
([2]) الذخيرة : ق3/م1/138 .
([3]) ينظر هامش الفصل الثاني من هذا البحث : ص141.
([4]) الذخيرة : ق2/م2/758.
([5]) الذخيرة : ق3/م1/156.
([6]) نهج البلاغة ، محمد عبده : 15/3.

ابن برّد[1], فقد ضمن معارضته ببيت من شعرالخنساء:

ولولا كثرة الباكين حولي * على إخوانهم لقتلتُ نفسي[2]**

وكذا الوليد الحميري ضمّنَ في معارضته[3] بيت شعر لابن الرومي قوله:

أينَ الخدودُ من العيون نفاسةً * ورئاسةً لولا القياسُ الفاسِدُ[4]**

ختم الأديب عمربن الباجيّ معارضته ببيت شعرمن نفسه, يقول:

لا تُهنّي بعدما أكْرَمْتَني* فشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَهْ[5]**

وفي المعارضات الزرزورية, ضمن ابن سراج في معارضته[6]بيت كاملاً من الشعرلأبي تمام في قوله:

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعةً * من جاهه فكأنها من مالهِ[7]**

فنجد عناصرالصنعة تتوافر في المعارضة الزرزورية لأبي بكرالبطليوسي, قوله: ((سلمت أخا الببغا, من المنسرالأشغى, وبلّغت المدى,وجُنَّبت من حزَّة الُمدى))[8] فقد ضمنها بيت شعر:

فـوقيت بـقـراط الطيور تطببًـا * إذا عـالـج البرسـام أو أبـرأ البـرصْ**

من المنسرالأشغى ومن حزة المدى* ومن بندق الرامى ومن قصة المقص[9]**

((**فانهض فقد لقيت معمراً *** وما شئت منقرًا ومصفراً**))[10].

وهو تضمين من بيت شعر لطرفة بن العبد:

يـــالـك من قبر بمعمر* خلا لك الجو فبيضي وأصفري**

ونقري ما شئت أن تنقري[11]

([1]) الذخيرة : ق2/م1/129.
([2]) ديوان الخنساء : ص121.
([3]) الذخيرة : ق2/م1/131.
([4]) ديوان ابن الرومي :2 /644.
([5]) الذخيرة : ق2/م1/195.
([6]) المصدر نفسه: ق2/م1/347.
([7]) ديوان أبي تمام: 60/3.
([8]) الذخيرة : ق2/م2 / 758, 759.
([9]) المصدر نفسه : ق3/م1/ 475.
([10]) الذخيرة : ق2/م2 /760.
([11]) ديوان طرفة بن العبد : ص157, 158.

((وتهبّ له ريحك جنوبًا, ويحقّ لشأس أمله من نداك ذنوبًا, حتى يرجّ بتطريب, وينشد في الخفيف الأول لحبيب[1]:

وما يلحظ العافي جداك مؤملاً * سوى لحظة حتى يعود مؤمَّلا[2]**

وقوله: ((وأقرئك سلامًا ينسي سلام حبيبٍ على الحسن بن وهب والعراق)) [3].

ضمن الكاتب ببيت شعرلأبي تمام :

سلامٌ ترجف الأحشاء منه * على الحسن بن وهب والعراق[4]**

والمتتبع للمعتضديات وعلى وجه التحديد سرد معارضة المجهول الأول والمجهول الثاني, يلاحظ أوجه اتفاق وجوانب اختلاف مع نص ابن عبد البرّ, فالمعارضة توظيفًا فاق رفيقيه , فكانت معارضة مكتظة بمعقود ومحلول الشعر العربي, والثانية اتكأت على الموروث الحضاري, فيدعم حديثه بتوظيف الموروث مشرقيًا وأندلسيًا, ففي تضاعيف مقدمته الطويلة التي قصرها على ذمّ الدنيا خائنة لا تحفظ عهدًا, ولا تفي بوعده, والنهاية الحتمية لكل إنسان, فضمنها أبياتًا شعرية لكل من ابن عبد ربه وأبي نواس ومجنون ليلى والتهامي، واتكأ الأديب أيضًاعلى محلول الشعر قوله: ((**حتى إذا أوردوه أنشوطة, لم يكن مثلها أغلوطة, هوى به الهوي هُويَّ الدلو أسلمَه الرشاء, ولا غرو فقد تُعْدِي الصحاحَ مبارِكُ الجُرْب**)) [5].

إذ اتكأ على محلول معقود بيتين الأول لزهير بن أبي سُلمى يقول فيه:

فشجّ بها الأماعزفهي تهوي* هُويَّ الدلو أسلمه الرشاء[6]**

والآخر لذؤيب بن كعب التيمي(وقيل: لعوف بن عطية بن الخرع التَيْميّ)[7],يقول:

جانيكَ مَنْ يجني عليكَ وقد * تُعْدِي الصَّحاحَ مبارِكُ الجُرْبِ**

([1]) الذخيرة : ق2/م2 / 760, 761.

([2]) ديوان أبي تمام :99/3.

([3]) الذخيرة : ق2/م2/ 761.

([4]) ديوان أبي تمام : 425/2.

([5]) الذخيرة : ق3/م1 /155, 156.

([6]) ديوان زهير بن أبي سُلمى : ص 49.

([7]) معجم الشعراء،للإمام عبيد الله محمَّد بن عمران المرزوباني، صححه وعلق عليه: ف. كرنكر،دارالجيل – بيروت – ط1، 1991م: ص65.

وقبلهم قال طرفة بن العبد :

وقِرافُ من لا يستفيق دعارةً * يُعدي كما يُعدي الصَّحيحَ الأجربُ**[1]

وهذ يدل على سعة مداركه ومخزونه الثقافي .

5- الأمثال العربية:

تعتبرالأمثال والحكم والأقوال منهلاً عذبًا يستقي منه الكُتَّاب مادة خصبة تثري كتاباتهم ,ولذا اهتم كُتَّاب هذه الفترة بالأمثال والحكم في معارضاتهم عن تأصيُّل هذا اللون الأدبي الرائع في نفوسهم , حتى غدا مخالطًا تعبيراتهم بصورة طوعية.

تقع الأمثال في النثروالنظم, يقول علي بن خلف الكاتب:((فما وقّع منها في النثر فينبغي لمستعْمله أن يوقعّه في المعنى الذي يناسبُه والحال التي يشابهها, ويورده بعبارته التي سبق المتمثل به إلى التعبير عنه بها)) [2].

المثل قول موجز تردده الألسنة, ويرد في حادثة أو مستمد من ملاحظة في البيئة أومرتبط بأشخاص صفاتهم حسنة أوسيئة . يضرب المثل في موقف يشبه الحالة التي ورد فيها بلفظه وضبطه, ويصدرالمثل عن ذكاء ودقة ملاحظة ؛ فيلاقي قبولًا من الناس، فهو تعبيرعن عامة الناس ونفوسهم ؛ لأنه صدر دون تكلّف أو تصنّع, يصاغ المثل في عبارة حسنة قوية وسليمة , أصله القصة أوالحادثة التي ذكر فيها .

فمن طرائق توظيف المثل أو الحكمة وأشيعها, أنَّ الكاتب يعمد إلى إدراج أحدهما بين ثنايا معارضته كما لو كان جزءًا أصيلاً من كلامه خدمة للموضوع , منها ما جاء في المعتضديات , قد أورد الكاتب المجهول الأول عددًا من الأمثال العربية المحوَّرة في مواطن متفرقة, نذكر ما ضمنه الكاتب في معارضته , قوله في مكيدة الفكرة بأسلوب موجزوسهل ؛ لأن مضرب المثل هوالموقف المشابه له. له أيضًا قوله رفقاء السوء: ((**إذ جعلوا يضربون له أسداسًا لأخماسًا**))[3]. أراد الكاتب أن يوضح: ((**وَقفوْتُ أثره, بخيلٍ كالسيل بالليل**)) [4] ؛لأنه لا يكاد يشعر به ليلاً.

([1]) ديوان طرفة بن العبد : ص60.

([2])مواد البيان,علي بن خلف الكاتب, تح :حسين عبد اللطيف, منشورات جامعة - طرابلس- ليبيا, ط1982م, ص246 .

([3]) الذخيرة : ق3/م1 / 155, 156.

([4]) المصدر نفسه: ق3/م1 / 157.

ولطلب الحاجة التي تؤدي بصاحبها إلى التلف والهلاك ,المثل الذي ورد في هذه المعارضة قوله: ((**ففزعَ إلى الاعتراف, وهو يذهبُ بالاقتراف**))[1], كذلك قوله: ((**إذا حان الحَينُ,عَمِيَتْ العين**)) [2].

وله قوله : ((**ومن حَفَرَ لأخيه بئرًا سقط فيها**)) [3] ورد المثل بنصه وصيغته دون أي تغيير في لفظه ,ولم يعمد الكاتب إلى التحوير في صورته الموروثة .

وشبيه بما تقدم يعمد المجهول الأول إلى تقوية سرده للقصة المؤلمة فيذكرأمثالٍ أخرى منها :((**فسقط العشاءُ بهم على سرحان**))[4]. أيضًا: ((**وربَّ سامع بخبري لم يسمع عذري**))[5] فالمثلان: وردا بنصيهما وصيغتهما,دون أي تغييرفي اللفظ .

ونعرض أيضًا هذا المثل: ((**كالبقرة تبحث على مديتها بقرنيها**))[6]، ولعل الناظر يلاحظ أن الكاتب غيراللفظ وحافظ على المعنى ,ويصعب على القارئ البسيط أحيانًا أن يفهمه إلا إذا كان ذا حصيلة في معرفة أمثال العرب, ومنثور حكمهم .

تبيّن فيما تقدم على الأمثال التي جاءت في المعارضات المعتضدية , إنها سهلة على القارئ أن يكشف صدى المثل في المعارضة , وعرضت الفكرة بطريقة التقرير المباشر. قد سبق الحديث عنها في الفصل الثاني

فنلاحظ أن المعارضة تكمن جزالتها وجاذبيتها في أسلوب الخطاب وتنوعه, وليس عبرالشواهد النصية, وإنما عبرالمعاني والفكر والأساليب , والطريقة التعبيرية للكاتب في تناول الواقعة بمباشرة وتلقائية .

أما المجهولان الأول والثاني, فإنهما عززا معارضتيهما بأبيات الشعر والأمثال المشهورة السائرة المسندة للمقام , والملائمة للسياق, والآيات القرآنية الداعمة,

---

([1]) الذخيرة : ق3/م1 / 157.
([2]) المصدر نفسه : ق3/م1 / 157.
([3]) المصدر نفسه : ق3/م1 / 157.
([4]) المصدر نفسه : ق3/م1 / 157.
([5]) المصدر نفسه : ق3/م1 /159.
([6]) المصدر نفسه :ق3/م1 /159.

وكبارالأعلام المدعوة من مرسلين وسلاطين وعظماء . جاءت مبنية عن انتقاء واختيار لغرض التفوق علي ابن عبد البرّ.

د ـ الرمز والتلويح بالإشارات:

1- الـرمز:

يعتمد الرمز دلالة حسية تُوحي بأغراضه الفكرية التجريدية ، قد يكون الرمز إيحائيًا , يشير إلى مدلوله بالتلميح لا بالتصريح , ويرمي إلى غرضه بإيجاز وتكثيف يُلامسان حد الإبهام[1]. وأصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ,ثم استعمل حتى صارالإشارة , وقال الفراء: ((الرمزبالشفتين خاصة)) [2]. يعد "الرمز"من العناصر الأساسية والبارزة في فن المعارضات النثرية.

ومجمل القول أن المعارضات الزهرية التي بدأها ابن برّد, ورمز فيها إلى ابن جهور بالورد, كما رمز إلى الأدباء أو إلى الأمراء أو من ينافسه على الرئاسة بالأزهار, استطاع أن يضفي بعدًا رمزيًا , وإشارات توحي بالتفضل, وتدعم هذا الرأي , نرى ذلك على لسان الأزهار كقولها : ((**هوأولى بالرئاسة منَّا**))[3] , ومثلها : ((**وهو الورد الذي إنْ بذلنا الإنصافّ من أنفسنَّا ولم نَسْبَحْ في بحر عمانا, ولم نَمِلْ مع هوانا, دِنّا له ودعونا إليه, فمن لقيه منا حيَّاه بالمُلْغِ**))[4], وهي إشارات وإيماءات سياسية تحمل في دلالاتها الأطماع ,ويرمز إلى المحكومين بقوله: ((**أنّ صنوفًا من الرياحين, وأجناسً من أنوار البساتين**)) [5].

هناك إشارة مدح سياسية للتقرب للخليفة ,وهي وصف الورد بأنه: ((**هوالأكرم حسبًا, والأشراف زمنًا**)) [6] ،ونعث ابن برد الورد بأنه : ((**هو أحمروالحمرة لون الدم**)) [7] وصف يلابسه مغزى سياسي؛ فالدم يرمز إلى القوة والعنف والصراع .

([1]) ينظرالمعجم المفصل في اللغة والأدب : 671/1.
([2]) العمدة : ص483.
([3]) الذخيرة : ق2/م1 / 128.
([4]) المصدر نفسه : ق2/ م1/ 128 .
([5]) الذخيرة : ق2/م1/ 127 .
([6]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 128.
([7]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 128.

ثمة إشارة أخرى ترمز إلى أجواء سياسية في وصف من حضرالمجلس وهم :
((**وكان ممن حضر المجلس من رؤساء الأنوار والأزهار, والنرجس الأصفر والبهار, والبنفسجُ والخيريّ النمام**)) [1].

جاءت إشارات تشيرإلى الولاء والطاعة كقول البنفسج :((**وأنا – والله – المتعبّد له,والدَّاعي إليه,والمشغوف به**)) [2] وهنا معنى أيضًا على لسان زهرة الخيري يقول: ((**والذي أعطاه الفضل دوني, ومدَّ له بالبيعة يميني, ما اجترأت قط إجلالاً له, واستحياءً منه, على أن أتنفس نهارًا, أو أساعدَ في لذةٍ صديقًا أو جارًا**))[3].

وهكذا يبدو لنا أن المعارضة وثيقة تحمل العديد من الإشارات والإيماءات السياسية، واضحة الدلالات والمعاني, تؤكد البعد الرمزي الذي أراده ابن برّد, فهى معارضة انشغل فيها ابن برد بموضوع سياسي مطلق, أما مهارته الفنية فلم تظهر في هذه المعارضة إلا ما جاء في سياق الكلام .

ومن الأمثلة التي نريد أن نسوقها معارضة الوليد إسماعيل بن حبيب التي خاطب بها المعتضد في إشبيلية ,عبر فيها عن انتمائه للخليفة , كما منح له الفضل الذي يدين له, فهو يعيب على ابن جهور, ويقترب من المعتضد ؛ لأن ابن برّد وصف ابن جهور بما لا يستحق, وأشارإلى حداثة عهده بالولاية, واحتجَّ بأنه لو استحق إمامة، واستوجب خلافة لعقدها الأوائل بالولاء , لذلك نراه ألصق بالورد العيوب في أسلوب هجائي, قائلاً: ((**فأوَّل من رأى ذلك الكتابَ, وعاين الخطاب, نواوير فصل الربيع التي هي جيرةُ الورد في الوطن, وصاحبتهُ في الزمن, ولما قرأته أنكرت ما فيه, وبنت على هدم مبانيه, ونقض معانيه, وعرّفت الوردَ بما عليه, فيما نسب إليه من استحقاقه ما لا يستحق, واستئهاله ما لا يستأهله**)) [4].

غيرأن معارضة ابن الباجيّ تختلف في إشاراتها ومدلولها عن معارضتي ابن برّد وابن حبيب , فالبهار يرمز به الباجيّ إلى نفسه , للتقرب من ابن هود ونيل المكانة ،

([1]) الذخيرة : ق2/ م1/ 129.
([2]) المصدر نفسه: ق2/ م1/ 129.
([3]) المصدر نفسه: ق2/ م1/ 129.
([4]) المصدر نفسه :ق2/م1/ 130, 131

وتقديم الولاء , إذ يقول: ((**وقد أتيتُ في أواني , وحضرتُ وغاب أقراني, ولم أخْل من خِدْمَتِكَ رتبتي ومكاني , ولم أعْر من الحضور بين يديك نوبتي وزماني , وأنا عبد مطيعٌ مسخَّر, ومملوكٌ يتصرَّفُ مدبَّر, حقيقٌ بأن يُحسنَ إليَّ فأدني**)) [1].

ولاحظتُ إن أبا الفضل بن حسداي يسيرعلى سياق ابن الباجي, إلا أنه اختلف عنه في صورة الرمز, الذي اتخذ منه ابن حسداي وسيلة للتقرب والنيل , فجعل أحد المقربين إلى ابن هود يتوسط إليه , فغايته نيل المرتبة والمكانة عند ابن هود, وقد عبرعن ذلك بقوله : ((**حتى أتيح لي ظريفٌ من خواصّك يقصدني, ونبيلٌ من عبيدك يعتمدني , فأوجستُ حَذَراً وتشوّفا**)) [2].

ومن الملاحظ على هذه المعارضات الزهرية أن الطموحات الإنسانية , والمطامع السياسية المادية , أصبحت تتحدث عنها الأزهار, فأشرفت على البوح والعلن خلف قناع ذي رونق جميل، وفي رقة ورمزية كاشفة ما تم كتمانه في السرائر.

أما المعارضات الزرزورية , جعل الكُتّاب طائر الزرزور مجالاً للسخرية والتفكه، فليس إلا رمزًا للشخص البائس الكدي, واستعاروا له أوصافه التي تلتصق به مثل الريش والتحسير والشكير والعش ، فتقمص ابن سراج شخصية الزرزور, وقدم لنا زرزوره بائسًا ، وكان غرضه من ذلك التودد وطلب الحاجة.

استطاع الكاتب ابن سراج أن يظهر قدرة فنية على اختيارهذا الرمز, وحسن استخدامه ,ومناسبته وملاءمته لما اختير له. فجمع بين شخصية الرجل الكدي وصورة طائر الزرزور, بحيث تجسدتْ صفات الرجل الكدي في الطائر, وعبرعن ذلك بالمصطلح الملتصق بالطيور كما رأينا في هذه المعارضة ,التي كانت إشارة لبراعة الكاتب ابن سراج[3].

أراد ابن عبد الغفورأن يوظف الرمز في معارضته للوم والعتاب على صديقه ابن سراج ، وبعدها جنح الكاتب إلى أسلوب الهجاء ,هذا ما لمسناه في رموز المعارضة،

([1]) الذخيرة: ق2/ م1/ 194.

([2]) المصدر نفسه: ق3/م1/471.

([3]) ينظرالمصدر نفسه : ق2/م1/347.

ثم استخدم ابن عبد الغفور الرمز في معارضته الثانية ليعبرعن الفاقة والحاجة, وحاجته إلى المير[1].

2- التلويح بالإشارات:

الإشارة هي من غريب الشعر وملحه , وبلاغته عجيبة , تدل على بعد المرمى وَفرْط المقدرة , ولا يأتي بها إلا الشاعر المبرز, والحاذق الماهر, وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة , وتلويح مجملاً ومعناه بعيد من مظاهر لفظها.

والايماء أو الإشارة هوالذي قلّت وسائطه مع وضوح اللّزوم بلا تعريض[2].

وقد جنح الكاتب أبو بكرالبطليوسي في معارضته الزرزورية للتلويح والإشارات , اتخذ من الأسماء مادة للتشبيه, وينحى منحى ابن الجد, نرى ذلك في قوله: ((**صغروه** على جهة التعجّب والاشفاق ,كما صُغّر **سهيل**, و**دُوَيبٌ وهذيل**, وقيل **العُديق والجُذيل**)) [3] ومن الأسماء في قوله : ((فإن حلَّ البساط, **فابنُ سُرَيْج والغَريض**, وإن احتفلَ **السمّاط** , **فأبو جلدة وابن بيض**, وأنت بسيادتك تبسطُ له في بساتينك, وتفرشُ له من وردك وياسمينك , حتّى تلبس من أغاريده الحلل المنشّرة , وينشرعلى أدواحك **شبيبًا وابنَ لسانِ الحُمَّرة**, وتنبتُ أرضك مندلا, وجِّوك صندلا, وثراك خزامي وقرنفلا, وتهبّ له ريُحك جنوبًا , ويَحقَّ **لشأش** أمله من نداك ذنوبًا , حتّى يرجّع بتطريب)) [4] . نجد الكاتب قد وجه زرزوره للشفاعة . يبدو أنّ تأثُرًا خاصًا بأبي تمام لدى الكاتب , فقد اقتبس من شعره بعض المعانى , وهذا دليل على اطلاعه على شعره وإعجابه به , كما في قوله:((**وينشد في الخفيف الأول لحبيب**)) [5]

ومن نماذج هذا التحول معارضة ابن الجدّ, أن طائر الزَّرزور تحول عنده إلى رمز للتشوق والحنين، ولجأ إلى الإشارات والتلويح المباشر في معرض التشبيه , وهو يصف ذلك في قوله: ((وبعدُ فإني أعودُ إلى ذكر ذلك الحيوان الغريد , **والشيطان المريد** فأقول : ولئن سُمّي **بالزريزير**, **لقد صُغّر للتكبير**, كما **قيل"حُريقيص"** وَسِقْطُهُ

([1]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 351- 356.
([2]) جواهرالبلاغة : ص 277.
([3]) الذخيرة : ق2/م2/ 758.
([4]) المصدر نفسه : ق2/م760/2، 761.
([5]) الذخيرة : ق2/م2761.

يحرقُ الحَرَج , و" **دويهية** "وهي تلتهمُ الأرواحُ والمهج ؛ ومعلومٌ أنَّ هذا الطائر الصافرَ يفوق جميعَ الطيور في فَهْم التلقين , وَحُسْن اليقين, فإذا عُلّم الكلامَ **لهج بالتسبيح**, ولم ينطلقْ **لسانُهُ بالقبيح ,** ثم تراه يقوم **كالنصيح,** ويدعو إلى الخير بلسانٍ فصيح , فمن أحبَّ منه الاتّعاظ , **لقىَ منه قُسّ بن إيادٍ بعكاظ** , أو مال إلى سماع البسيط والنشيد, **وَجَدَ عنده نُخَب الموصلىّ للرّشيد ،** فطورًا يبكيك **بأشجى من مراتي أربد**, وحينًا يسلِّيك بأحلى **من أغاني معبد** , فسبحان من جعله هاديًا خطيبًا وشاديًا مُطربًا مطيبًا...))[1].

هـ ـ توظيف الأماكن والحوادث التاريخية في النص الأدبي:

من المعارضات التي اهتمت بهذا الجانب الزرزوريات , حيث وظف بعض كُتابها الأماكن المشهورة , التي نجد الكاتب ابن الجدّ استغلها لتوضيح روح الفكرة التي أراد الأديب أن يوصلها إلى المرسل إليه ، فجاءت في ذكره سوق عُكاظ الذي يعد أكبرالأسواق الاقتصادية والأدبية في بلاد العرب , كما ذكر موضع(دارين, يبرين) في قوله: ((**لقى منه قسَّ بن إياد في عُكاظ ، واقرأ على سيّدي سلامًا أعطر من مسك دارين, وأكثر من رمل يبرين...**)) [2].

وَتَمَ فيها أيضًا الإشارة إلى الحوادث التاريخية المشهورة لدعم العمل الأدبي من جهة , وليظهرالكاتب علمه وتبحره في المجال الأدبي , في قوله :((**لقي منه قسَّ بن إياد في عُكاظ..فطورًا يبكيك بأشجي من مراثي أرْبد...**)) [3] . فنلاحظ أن ابن الجد استحضر مثالين لغويين لشخصيات: قس بن ساعدة الأيادي، وإبراهيم الموصلي وأربد بن ربيعة العامري، والمغني الشهيرمعبد ؛ لإثبات قدراته وإبداعه في صنعة الكتابة , والبحث عن الجديد الذي يتماشى مع ذوق العصر.

حفلت نصوص المعارضات المعتضدية بذكر الأماكن , ففي المعارضة الأم ذكر الكاتب إشبيلية إحدى مدن الأندلس, التي كانت مسرح الأحداث, والجزيرة الخضراء

([1]) الذخيرة: ق2/م1/349،348 .
([2]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 349, 350.
([3]) الذخيرة: ق2/م1 /349.

التي فر إليها إسماعيل, ووادي شوش من شرقي قرمونة المكان الذي تم فيه القبض على إسماعيل وصبيانه العبيد, وباديس التي خرج إليها جند المعتضد لتفقد أحوالها.

كما وظفوا كُتاب المعتضديات أيضًا الأحداث التاريخية وخاصة المجهولان، توظيفًا فاقا به رفيقهما , فالمعارضة الأم جاء بها تخفيفًا لإحساسه بالمعاناة المأسوية ويضرب مثلاً بالأنبياء عليهم السلام . في حين المجهول الأول والثاني ذكرا وبشيء من التفصيل أسماء وشخصيات تاريخية وإنسانية مهمة مثل الأنبياء والخلفاء والملوك, من ذلك قول المجهول الأول:((**هذا خليل الرحمن, وكان في الأنبياء مَن كان, لما تبيَّن أن أباه عدوٌّ لله تبرّأ منه, وقد تلَّ أيضًا عليه السلام ابنه الذبيحَ للجبين, ووضع في حلقه السكّينَ, وهو من أبرِّ النبيين, اتباعًا لأمر الله حتى فداهُ الربُّ الكريمُ, بالذَّبح العظيم, وصبرّ على ما لو حلَّ بالصخر لفلقه,أو بالحجر لَفرقه, وهذا عمرُ بن الخطاب, وكان من كان في الأصحاب, قد قسا قلبُهُ على أبي شحمة, وكان لبعض بني العباس, وَهُم أئمّةُ الناس,في ابنه العاقّ ما قد دَرَسَ خبره... وأحدثهم عهدًا في هذه العصور, عبد الله الأمير وأبو عامرٍ المنصور**))[1].

([1]) الذخيرة: ق3/م1/160.

المبحث الثالث

التصوير البلاغي

إن ملامح صورالنثر- في القرن الخامس الهجري- ليست حكرًا على وصف معين, وأن الفن التصويري في الأدب شديد الصلة بالنفس, وطيد العلاقة بها, والتصويرالبلاغي هوعمل فنّي, ولولاه لفقد الأدب خصائصه, وأضحى نثرًا عاديًا كالكلام الذي نستخدمه, والصورة هي واحدة من أدوات الزخرفة والتحسين سواء جاءت تشبيهًا أوإستعارة ,أوغير ذلك مما وضعت له المصطلحات الكثيرة. فهي ملازمة للأدب, ضرورية له . تنوعت صور الصنعة في«فن المعارضات» وتعددت أنواعها , سنبّين بعض ألوانها في هذا المبحث منها:

أولاً ـ التصويرالتشبيهي:

يُعدُّ التشبيه في مقدمة تلك الأساليب الجارية في الكلام البليغ, بل هو أبرزتلك الأساليب وأكثرها استعمالاً في كل عصر من العصور, فلا نجد أديبًا لم يستعمله لتحقيق ما يريد من الدقة واللطافة والرونق والرشاقة, وإخراج الخفي إلى الجلي, وإدناء البعيد من القريب , كل ذلك لأن التشبيه تتداخل فيه عوامل ذات صلة بالأديب, منها البيئة التي يعيش فيها, ومظاهرالطبيعة, وحياة التّبدّي والتحضر, وما يطرأ على العقول والأذواق من تغيير.

التشبيه في اللغة: التمثيل . وعند علماء البيان : مُشَارَكةُ أمرٍ لأمرٍ في معنىً بأداةٍ معلومة.

وعُرِفَ بأنه: ((هو الدلالةُ على أن شيئًا أو أشياءَ شاركتْ غيرها في صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه)) [1]، ويعتبرأهم روافد الخيال, يصور به الشاعر العلاقات بين موضوعاته على اختلافها مستمدًا ذلك من البيئة التي تحيط به, وكذلك رؤيته الخاصة ليثير العاطفة ويؤثر في نفس السامع , ومن تم يقنعهم بما يطرح من أفكار,متطلعًا إلى تحسين صورة موضوعاته , ويجعلها سائغة رفيعة, وأدرك كُتَّاب

([1])جواهر البلاغة: 206.

القرن الخامس الهجري قيمة التصوير في التشبيهات البلاغية, والتي تتحدد في أنها تهدف إلى توكيد المعنى المراد قوله وترسيخه في ذهن المتلقي, لذلك أشاعوه في ثنايا معارضاتهم النثرية بنسب متفاوتة .

تنشأ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بكَ من الشيء نفسه إلى شيء طريف يُشبهه , أو صورة بارعة جميلة تمثله.

والتشبيه كونه محسنًا بديعيًا لفظيًا, له أثره؛ لأنه يرتفع بالكلام من أرض الحقيقة إلى سماء الخيال, ويكون ممزوجًا بقليل أو كثيرمن الخيال , فهوأروعَ للنَّفْس, وأدْعىَ إلى إعجابها واهتزازها, للتشبيه أربعة أركان , هي: المشبه, والمشبه به, وأداة التشبيه , ووجه الشبه.

فنجد معارضات الزهريات أخذت نصيبًا من أساليب المعاني وصور البيان والبديع؛ لكن هذا النهج البلاغي الغالب على هذه المعارضات, هو العدول اللغوي والسلوكي اللذان جعلا من النواوير والأزهار والرياحين مخلوقات تتحاوروتتحادث , تفكر وتختصم وتقرر,وهذا منتهى التطور, وارتقاء مدهش للنثر في القرن الخامس الهجري فأصبح النثر رمزًا يتحدث به ويتفاخر ويتباهى .

مثال ذلك قول ابن برد:((**وهوكالياقوت المنضد, في أطباق الزبرجد, وعليها فرائد العسجد**)) [1], حيث شبه الورد بالياقوت الذي جعل بعضه فوق بعض , وعمل الكاتب على أن يأتي بنظيرتتجلى فيه الصفة وتقوى, وهي الضياء والإشراق والتماسك, وهذه صورة حسية مشاهدة , فرأى أن الياقوت كذلك فعقد المشابهة بينهما, وبيّن هذه المشابهة بالحرف(الكاف), ونرى العناصرالتي تألفت منها هذه الصورة موجودة في عالم الواقع, فصورة طرفي التشبيه محسوس وملموس), وغرض الأديب في ذلك إدناء البعيد من القريب , وتحبيب المشبه إلى النفس وتجميله. يدخل هذا التشبيه ضمن التشبيه التام , فهوتشبيه مستوفٍ لأركانه الأربعة .

([1]) الذخيرة : ق2/م1 /128.

هناك تشبيه آخر عند الأديب إسماعيل بن حبيب :((**وأفضل تشبيه الورد بنضرة الخد عند من تشيَّعَ فيه, وأشرفُ الحواس العين**))[1] . فهنا الكاتب يعيب على ابن برد في تشبيهه للورد بالعيون, فرأى إن أفضل تشبيه الورد بالخد, وصورة طرفي التشبيه ملموسان, فالورد موجود وكذلك الخد موجود وملموس, بجامع صفة الضياء والنضارة , وبين هذه المشابهة بأداة التشبيه الفعلية(يشبه) فهو تشبيه مرسل ملموس. غاية الأديب في ذلك تقوية مكانة البهار وشد الانتباه إليه, وبيان صفته.

ثم نمضي إلى معارضة ابن الباجي حيث يمدح الخليفة المقتدر بالله يصفه قائلاً: ((**وجهُك بدره, وغُرتُك فجره, وأخلاقك زهره, وثناؤك دُرُّهُ وعطره...**)) [2]. شبه وجه الخليفة المقتدر بالله بالبدر, وحذفت الأداة , بدر مشبه به , فهو تشبيه مؤكد، فطرفا التشبيه حسيَّان[3],الحسي ما لا تدركه الحواس الخمس(البصر,السمع, الشم، الذوق, واللمس) ولكن تدرك مادته فقط . فهو حسي وجداني , حيث شبه الوجه بالبدر في إشراقه وجماله, تشبيه مرئي؛ لأنه يمكن أن نراه بالعين، وشبه غرته بالفجر وحذفت أداة التشبيه مع ذكر المشبه به, ووجه الشبه النور والضياء, نوعه تشبيه حسي مؤكد مرئي يدرك بحاسة البصر, كما جاء في الفقرة أيضًا تشبيه أخرحيث شبه الأديب أخلاق المقتدر بالله بالزهر في صفاته وبرأته وأثره, وهو من التشبيه الحسي أي تشبيه بليغ , وكذلك شبه ثناؤه بالدر والعطر في الرائحة العطرة , فهو تشبيه حسي وبصري , وغرض الكاتب من ذلك تصوير الأمورالمعنوية والذهنية في صورة حسية مشاهدة , حتى تتمكن الصورة من السامع، وأفاد حذف الوجه والادعاء بأن المشبه هوعين المشبه, وهذا الحذف يزيد في بلاغة التشبيه وقوته وأثره في النفس؛ لأنه يفسح المجال أمام السامع وتفكيره .

ونختم بمعارضة ابن حسداي في قوله: ((**فهي كالثغور أوضحها ابتسام, وكاللآلي زانها في الأجياد انتظام**))[4] , حيث يشبه فيها الأزهار بالثغور في الابتسام ، واللؤلؤ

([1]) الذخيرة : ق2/م1/ 131.
([2]) المصدر نفسه: ق2/م1/ 195.
([3]) إمَّا حسيَّان: ((أي مُدرَكان بإحدى الحواسّ الخمس الظَّاهرة)) جواهر البلاغة : ص/ 207 .
([4]) الذخيرة : ق3/م1/ 472.

في الترصيع والانتظام , وهو معنى مشترك على وجه التحقيق في الابتسامة, وفي انتظام عقد اللؤلؤ عندما يكون في الجيد, فصفة الابتسام موجودة عند الإنسان وكذ النظام , فهو تشبيه مرسل.

الزرزوريات: نجد ابن عبد الغفورأكثرَ من التشبيهات في زرزوريته , وهي القدرة على تصوير أعماق الأشياء, واكتشاف أوجه الجمال فيها , مما زاد وضوحًا في المعاني, فمثال ذلك قوله:((**وَورّق كالقيان...ويَصقعُ مشتاقها كالخطيب...حتى تُبرَّعلى الغريض, بنسقٍ كالإغريض**)) [1] .كذلك ابن الجد يقول:((**كما يقعُ على العَسَل الذباب, وتقطعُ إلى العرادِ الضِّبابُ**)) [2] الذي استعان ببعض المقارنات التشبيهية مثل علاقة الذباب بالعسل والضِّباب بشجر العرّاد, وانهى الكاتب معارضته ببيت من الشعر مناسب للسياق.

كما جادت المعارضات المعتضدية بالتشبيهات التي تؤيد قوة الحقيقة, مثل قول ابن عبد البرّ في معتضديته :((**فإذا به كالحية لا تُغْني مداراتُها**)) [3].رأى الكاتب أن الابن العاق متصفًا بصفة الغدر والحقد , فعمل على أن يأتي له بمثيل تقوي فيه هذه الصفة, وهي الغدروالخيانة , فلم يجد أقوي من الحية , فشبهه بها, ولبيان ذلك أتى بالأداة (الكاف)وهي الأصل لبساطتها, ولكي يقوي المعنى, ويثبت هذه الصفة أتى بجملة منفية بعدها , يعني مهما عملت من خير لا يجدي معه كالحية, وطرفا التشبيه ملموسان فشبه الابن بالحية ولابن ملموس والحية مشبه به وهي ملموسة أيضًا, فاشتراكا في الشر ونوعه تشبيه تام الأركان .

وقوله:((**والعقرب لا تُسالِمُ شباتُها**)) [4], وشبهه بالعقرب التي لايسلم من سمّ إبرتها. هذا التشبيه حذفتْ منه الأداة فهو تشبيه بليغ , يهدف الأديب من ورائه تقرير صفة المشبه في ذهن السامع , فالشر والغدر والخيانة هي الصفة المشتركة بينهما، وقوله أيضًا في تشبيه رفاق السوء بداء البعير(الجرب) فإنه يعدي بقية البعير, حيث

([1]) الذخيرة : ق2/م1/ 351, 352.
([2]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 349.
([3]) المصدر نفسه: ق3/م1/ 140.
([4]) المصدر نفسه : ق3/م1/ 140.

يقول:((**وكما أن داء العرِّ قد يُعدي, كذلك قرينُ السوءِ قد يُردِي**)) [1] فهو تشبيه بليغ, والغرض البلاغي منه تقبيح المشبه والتنفيرمنه, وذلك اعتمادًا على ما توحي به صورة المشبه به , حذفت الأداة فهو مؤكد .

ونلتمس التشبيه في معارضة مجهول أول مثال ذلك :((**كالذي استهواهُ الشيطان, كأنّما اقتادَهُ في أشطان**)) [2], رأى الكاتب أن أخلاق هذا العاق تشبه عمل الشيطان, وشبهه بذلك , فأعمال الابن العاق لا ترتاح إليها النفس, فعمل على أن يأتي لها بمثيل تقوي فيه هذه الصفة الشنيعة , فاختارالكاتب(الشيطان)وعقد المشابهة بينهما، وبيّن هذه المشابهة بالحرف(الكاف)والفقرة الثانية بحرف التشبيه(كأن) فهو تشبيه مرسل .

وقوله أيضًا: ((**وما كان هذا اللعين, في ما جناه, فاجتناه, وشبّه, فألهبه, وكاده, فاباده, إلا كالبقرةِ تبحث على مديتها بقرنيها, وكالنملة تطلب حتفًا بجناحيها**))[3], وهذه الفقرة تشتمل على تشبيه مرسل, وطرفي التشبيه حسيين فالابن العاق حسي ملموس وكذلك البقرة المشبه به حسي ملموس .

ثانيًا : التصويرالاستعاري .

الاستعارة هي الجزء الثاني من المجاز اللغوي, وتكون الاستعارة ما بين شيئين، لكنهما أكثر اندماجًا في بعضهما فيتغير أحدهما إلى الآخر بكليته، عرَّفها الجرجاني بقوله : ((الاستعارة في الجملة أن يكون لّلفظ الأصلُ في الوضع اللغويّ معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع , ثم يستعمله الشاعرأوغيرالشاعر في غير ذلك الأصل, وينقله إليه نقلاً غيَرلازمٍ, فيكون هناك كالعَاريَّة))[4].

ويقول أبوهلال العسكري: ((أنها تفعل في نَفْس السامع ما لا تَفعل الحقيقة)) [5], ولها أقسام : الاستعارة التصريحية والمكنية, والاستعارة الأصلية والتبعية, وتنقسم باعتبار لفظها قسمين استعارة أصلية, واستعارة تبعية ,الاستعارة المطلقة والمجردة، والمرشحة, والاستعارة التمثيلية.

([1]) الذخيرة : ق3/م1/139.
([2]) المصدر نفسه : ق3/م1 /155.
([3]) المصدر نفسه : ق3/م1/ 159.
([4]) أسرارالبلاغة , للجرجاني, علق عليه محمود شاكر, دار المدني, بجدة, ط1, 1991م : ص30.
([5]) كتاب الصناعتين: ص269.

مثال في مطرية أبي محمد عبد الغفور الأندلسي نجد الاستعارة في قوله :

((**واشتملت على مُحسنَّها من الأوطار, وضحك ثغر الروض بعد عبوس, ونقِلَ إلى سعة الرحمة من ضَنكِ البؤس, وسحبت فواهق الأنهار مذانبها, ونشرت عرائس الأزهار ذوائبها ناظمة من الآلي الطلّ عقودها**)) [1]. فاستعارالكاتب للروض ثغر ليعبر به عن الضحك بعد الحزن الشديد, فشبه الروض بالإنسان فصرح بالمشبه به فهو يريد أن يقول: إن الغيث عندما ينزل على أرض قحط فتعبر الرياض بالضحك عن الفرح والابتهاج بنزول المطر, بعد العبوس واليأس, فالاستعارة في كلمة الضحك, فهى تصريحية مجازية. كما شبه الكاتب بجامع الاسترحام أي من البؤس إلى النعمة والرحمة, فقد استعيرت الرحمة للنعمة, واستعير البؤس للقحط فصرح بالمشبه به وأخفى المشبه , فهى استعارة تصريحية أصلية, كما صورالأديب للأنهار ذيلاً طويلاً تجره , بجامع الكرم والخير استعار كلمة الأنهار, فهى استعارة لفظية دالة على المشبه, وقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي, فجاءت استعارة مكنية مجازية, واستعاركلمة عرائس للأزهار, ليعبر بها عن الرقص والمرح فرحًا في نظمٍ، وكأنها عقد في دائرة بهجة وطرب , فهى استعارة مكنية.

و قوله: ((**وحجب كاسف الرجاء نَيْرات النّعماء, وشابت مفارق الرياض, وغاضت مُقْعمات الحياض, واقشعرّت الربى, وحلّ نبت الحاجزعقد الحُبا، وباتت أزهارالغيطان, عليلات الأجفان, تستسقي نجوم السماء وتتوسّل, بالشبَّه إلى ذوات الأنواء**))[2] هذه فقرة استخدم الكاتب فيها الاستعارة المكنية مع توشية **الأسلوب** بنوع من الغموض.

كما نرى المعارضة الزرزورية لابن سراج في قوله: ((**ويصل به- وَصَّلَ الله علوَّكَ, شخصٌ من الطيور يُعْرَفُ بالزريزير, أقام لدينا أيامَ التحسير, وزمانَ التبلُّغ بالشكير, فلما وافى ريشُه, وَنَبَتْ بأفراخِهِ عُشُوشُه**)) [3] قد وظف فيها الاستعارة توظيفًا جيدًا, مزج بين صورة طائر الزرزور وشخصية الرجل الملقب"بالزريزير"

([1]) الذخيرة: ق2/م1/ 344.

([2]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 343.

([3]) المصدر نفسه: ق2/م1/ 347.

وجعلهما صورة واحدة , فتلاشت صفات الرجل, وحلّت مكانها صورة الطائر الزرزور, وفضل الاستعارة على الحقيقة, على أن ابن سراج جعل الحديث في معارضته على لسان هذا الطائر, واستعارله مصطلحاته الملتصقة بالطيورمن حسير وشكيروريش وفرخ وعش وتغريد, يلتقط حبًا فاستعاراللفظ الدال على المشبه به الزريزير, للمشبه, الإنسان على سبيل الاستعارة التصريحية ؛لأنه صرح بالمشبه به وحذف المشبه واكتفى بالقرينة(من حسيروشكيروريش)فالاستعارة تصريحية أصلية.

وفي المعتضديات جاءت التشبيهات والاستعارات عند ابن عبد البرّ, عفوية لا تصنع ولا تكلف فيها, مثل قولـه: ((**وفجـأتـني من ضروب الأقدار فاجئـة عمياءُ صماء..وطلعتْ عليَّ من مأمَني**)) [1] فحذف المشبه به وأبقى على شيء من لوازمه(عمياء, صماء), استعارة مكنية .

أمّا معارضة مجهول ثان فزُين بها نصه الذي دخل به حلبـة المنافسة منها في قولـه: ((**وأرضعتُه ثديَ الحرب**)) [2] استعارة مكنية، أراد الكاتب أن يشبه "الحرب" بإنسان, استعارلفظ(الثدي)للحرب, ولم يذكر لفظ المشبه به بل ذكر شيء من لوازمه الرضاعة .

ثالثًا :التصويرالكنـائي .

الكناية، ((وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جوازإرادة معناه حينئذ))[3]، فهي مظهر من مظاهر البلاغة ,وغاية لا يصل إليها إلا من ألطف طبعه, وصَفتْ قريحته, وهي لا تمنع إرادة الحقيقة بلفظها, وإنما تعطى الحقيقة مصحوبة بدليلها وتعد الكناية من الطف أساليب البلاغة وأدقها, وأبلغُ من الحقيقة والتصريح؛ لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم, كما تمكن الإنسان من التَّعبيرعن أمور كثيرة يتحاشى الإفصاح بذكرها, لغاية في ذلك, إمَّا احترامًا للمخاطَب, أو للإبهام على السامعين, أوالنيل من خَصْمه دون أن يَدَع له سبيلاًعليه ، أولتنزيه الأذُن عمَّا

([1]) الذخيرة : ق3/م1/ 138.

([2]) المصدر نفسه: ق3/م1 /162.

([3]) الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني, وضح حواشيه: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط1، 2003م : ص241.

تنْبوعن سماعه , ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية . وهي ثلاثة أقسام من حيث المعنى: كناية عن صفة , كناية عن موصوف, كناية عن نسبة. ولها قيمة بلاغية لا تقل عن التشبيه والاستعارة.

ونجدها في المعارضة المطرية، لأبي القاسم ابن الجدّ قوله : ((**واسترابت حياض الوهاد, بعهود العِهاد, وتأهبت رياض النَّجاد ,لبرود الحِداد, واكتحلت أجفان الأزهار, بإثمد النقع المُثار, وتعطلت الأنوار, من حليّ الديمة المدرار**)) [1], فاستعمل اللفظ في غيرلازم معناه وليس في معناه الحقيقي , فهي كناية عن الاستعداد للحزن, وفقدان الأمل واليأس من نزول الغيث , كناية عن صفة الأسي والحزن .

أما صورة الكناية في زرزورية ابن عبد الغفور, في قوله: ((**إنَّ عجبًا بَّر الوزير, بالزَّعانف والزرازير,وحَظْرُهُ على قلْبٍ يكاد من الشوق إليه يطير, ومن الظمأ يتشكّى قُطْعًا ويستطير..**))[2] كناية عن التقصير والمجافاة من ابن سراج وهو المحب له,واهتمامه بمن هم دونه في المكانة والرتبة ,وله: ((**فاهتاج طرب الجذل النجيّ**))[3] كناية عن الفرح, وقوله:((**وأخذ عن وكنِهِ في الرحيل, وباع مُبْرَمًا من العيش بسحيل**)) [4], كناية عن سوء حال المعيشة ، أي عوّض العيش الجيد بأخر سيّئ .

ونجد الكناية في معارضة البطليوسي أيضًا, في قوله: ((**فانهضْ فقد لقيت مُعْمَرًا, وما شئت مَنْقرًا ومَصْفرًا**)) [5].كناية عن الاقتيات والشذّو.

وردت الصورة البيانية متنوعة في المعارضات المعتضدية , فهى تعمق المعنى وتجمله وتدل على ثراء ثقافي غزيرلدى الكاتب , حيث استخدم الأديب مجهول أول عنصرالكناية, منها على وجه الذكر قوله:((**فعلمتُ مَرمى قوسهِ ومنزعَ سهمه**))[6]، يريد الكاتب من ذلك أنه عرف حقيقة نيته, وهدفه الذي يسعى إليه, فهى كناية عن موصوف ، وله أيضًا قوله: ((**وقد اعتقلوا الردينيات, وتأبطوا الهندوانيات, وشمَّروا**

([1]) الذخيرة : ق2/م1 / 290.
([2]) المصدر نفسه : ق2/م1/351
([3]) المصدر نفسه : ق2/م1 /354.
([4]) المصدر نفسه: ق2/م1/355.
([5]) المصدر نفسه: ق2/م2/ 760.
([6]) المصدر نفسه: ق3/م1/156.

ذيلاً, وادرعوا ليلاً ,واقتحموا المهالكَ)) [1]كناية عن الاستعداد لخوض المعركة, كناية عن صفة .

وعند المجهول الثاني قوله أيضًا: ((**فقد يستحيلُ الزعاقُ من الزلال, وينامُ عرقُ الأبِ ويسري عرقُ الخال))[2]** فهو كناية عن فساد طبع إسماعيل لابن العاق, يرجع إلى عرق الخال, فهى كناية عن صفة .

رابعًا :التصوير البديعي .

وهو يُعنى بتزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي, مما يندرج تحت ما يسمى بعلم البديع , وتسمى المحسنات البديعية الزينة اللفظية, والزخرف البديعي, واللون البديعي, والتحسين اللفظي, ويقصد بالمحسنات , تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال , ورعاية وضوح الدلالة, وأن تكون خالية من التعقيد اللفظي, وهي من الوسائل التي يستعين بها الأديب لإظهار مشاعره وعواطفه, للتأثير في النفس, وتكون رائعة إذا كانت قليلة ومؤدية المعنى الذي يقصده الأديب, أما إذا جاءت كثيرة ، ومتكلفة فقدت جمالها وتأثيرها, وأصبحت دليل ضعف الأسلوب, وعجز الأديب ، وتنقسم المحسنات البديعية إلى:

أولاً ـ المحسنات اللفظية .

أ- السجع :

السجع[3] أنواع : منها السجع المرصَّع، وهو مقابلة كل لفظة بلفظة على وزنها ورويها [4], والسّجع المتوازي: ((هو ما اتفقت فيه أعجاز الفواصل في الحرف مع اتفاق الوزن)) [5] , أما السّجع المطرَّف فهواتفاق الفواصل في الإعجاز من غير وزن[6], بمعنى أن تتفق الكلمتان الأخيرتان في الحرف الأخير دون الوزن .

([1]) الذخيرة: ق3/م1 /157.

([2]) المصدر نفسه: ق3/م1 / 164.

([3])السجع: هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد. وقول السكاكي: ((الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر)). الإيضاح في علوم البلاغة : ص296 .

([4])ينظرالمثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر,ابن الأثير،تح:محمد محي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، بيروت، د.ط ، 1990م: 258/1.

([5]) معجم البلاغة العربية , بدوي طبَانة: 942/2.

([6]) المرجع نفسه : 472/1

- **المعارضات الزهرية:**

لم تَخْلُ الزهريات من السجع الذي أراد الكُتاب من خلاله التوسل والتقرب, بإيقاع منسجم, لتعميق المعنى وإثرائه, وإحداث التأثير النفسي المنشود في نفس القارئ , أوالسامع في بناء معارضاتهم.

من أمثلته ما جاء في معارضة ابن برد حيث يقول: ((**أن صنوفًا من الرياحين, وأجناسًا من أنـوار البساتين**)) [1] سجع متوازي اتفقت فيه اللفظتان الأخيرتان في الوزن والروي . **وقوله:** ((**يا معشرالشجر, وعامّة الـزّهر**))[2], سجع مرصع والقافية فيهما الراء فالشجر موازن للزهر. تمتاز الفقرات بالقصر,وهذا أوعر السجع مذهبًا وأبعده متناولاً ,ولا يستعمل إلا نادرًا. في قوله :((**إن الله تعالى اللطيف الخبير الذي خلق المخلوقات, وذرأ البريّات, باين بين أشكالها وصفاتها, وباعد بين منحها وأعطياتها...**))[3], سجع متوازي, وبين**(صفاتها،عطياتها),** اتفقت اللفظتان في الوزن والروي . قوله أيضًا: ((**حضرهذا المجلس من رؤساء الأنوار والأزهار, النرجس الأصفر والبهار**))[4] سجع متوازي بين لفظتي**(الأزهار،البهار)**اتفقت اللفظتان في الوزن والروي . نجد الاعتدال في الفقرات المسجوعة , وثمة الكثير من الجمل المسجوعة في هذه المعارضة.

وكذا الحال في زهرية الحبيب بن الوليد منها على سبيل المثال لا الحصر :

((**فأول من رأى ذلك الكتابَ,وعاينَ الخطابَ...وعرّفت الورد بما عليه, فيما نُسب إليه**)) [5]حيث وقع السجع المتوازي بين **(الكتاب ،الخطاب)** وبين **(عليه،إليه),** ومن السجع المرصع قوله ((**ورأتْ أنَّ من أخطأ تلك الخطيّة , وأدنى من نفسهِ تلك الدنية**)) [6], فجميع ما في الفقرة الثانية موافق لما قبله من الأولى وزنًا وقافية, (الخطيّة) موازن (الدنية) .

([1]) الذخيرة : ق2/م1/ 127.
([2]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 127.
([3]) المصدر نفسه : ق2/م1/127.
([4]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 129.
([5]) المصدر نفسه : ق2/ م1/ 131 .
([6]) المصدر نفسه: ق2/ م1/194.

وأيضًا ما نراه في زهرية ابن الباجي, قوله: ((**أطال الله بقاء المقتدر بالله, مولاي وسيدي, ومُعلي حالي ومُقيم أودي, وأعاذني من خيبة العناء, وعصمني من إخفاق الرجاء...**)) [1] فالسجع هنا بين(**سيدي ،أودي**) وبين(**العناء، الرجاء**) سجع مرصع , وتساوت فقراته في عدد كلماته ويعد أحسن السجع, وأشرفه مكانة.

وفي قوله : ((**وقد أتيتُ في أواني , وحضرتُ وغاب أقراني , ولم أخْلِ من خِدْمَتِكَ رتبتي ومكاني, ولم أعْرِ من الحضور بين يديك نوبتي وزماني**))[2], فهوسجع مرصع , فجميع ما في الفقرات موافق لبعضه وزنًا وقافية, والفقرات جميعها متساوية في عدد الكلمات , وهو أحسن أنواع السجع .

وتتنوع الفواصل ولا تجري على حرف واحد في المعارضة كلها, وهذا يتناسب مع الذوق البديعي العام الرفيع في أبسط أشكاله, فنراهم قد ابتعدوا عن التعقيد الذي سنه الكُتّاب والمترسلين الذين عنوا واهتموا بهذه الظاهرة اللفظية وبخاصة عند الكُتّاب المشارقة .

أرى التنوع في المعارضة النثرية, تنتهى الفاصلة بحرف, أو حرفين, أوأكثر, وفي زهرية ابن الباجي خير دليل، حيث ظهرت موسيقى النص قوية واضحة, من الألفاظ , والعبارات قصرها حينًا , وطولها حينًا آخر, من نهايات الفواصل, وكذلك السجع الذي عمّ المعارضات الزهرية.

●المعارضات المطرية :

يأتي السجع في مقدمة المحسنات البديعية , فمنهم من كان يقتصد في استخدامه, ولا يتعمد إيراده, وإنما كان يأتي عفوًا وبدون تكلّف, ومنهم من إلتزمه ولم يحد عنه، وهذا نموذج للسجع الملتزم في أسلوب الكاتب ابن الجدّ , في وصف مطر بعد قحط , قوله :((**لله تعالى في عباده أسرار, لا تدركها الأفكار, وأحكام لا تنالها الأوهام, تختلف والعدل متفق, وتفترق والفضل مجتمع متّسق, ففي مِنحها نفائس المأمول, وفي مِحنها مداوس العقول, وفي أثناء فوائدها حدائق الإنعام رائقة، وبين أرجاء سرائرها بوارق الأعذار والإنذار خافقة, وربما تفتّحت كمائمُ النوائب, عن زهرات**

([1]) الذخيرة: ق2/م1/194.
([2]) المصدر نفسه : ق2/م1/289.

المواهب, وانسكبت غمائم الرزايا, بنفحَات العطايا, وصدع ليلَ اليأس صبحُ الرجاء, وخلع عاملَ البأس والي الرخاء, ذلك تقدير اللطيف الخبير.. »[1]. نجد الفقرات المسجوعة مؤلفَة من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة, وقد تكون أكثر, وتنوع السجع فيها بين المرصع والمتوازي والمطرف, وأمثلة كثيرة على السجع في هذه المعارضات , مما يصعب ذكرها فنكتفي بإيراد القليل منها .

واقتبستُ هذه الفقرة من مطرية عمرالباجي التي يقول فيها: « **وإنه كان من امتساك السّقيا, وتوقفِ الحيا, ما ريعْ به الآمِنُ, واستُطِيْرَ به السّاكنُ, ورجفت الأكبادُ فزعًا, ودُهِلَتِ اللبابُ جَزَعًا, وأذكتْ ذُكاءُ حَرَّها, وَمَنَعتِ السماءُ دَرَّها, واكتستِ الرياض غُبْرَةً بعد خُضْرَةٍ, ولبست شحوبًا بعد نَضْرةٍ,وكادت برود الرّياض تُطْوى, ومدودُ نعمِ الله تُزْوَى, ثم نشر تعالى رحمته, وبَسَطَ نعمتَهُ, وأتاح مِنّتَهُ, وأزاح مِحْنَتَهُ...** »[2]. في الفقرة السابقة تنوعت فواصل السجع, والتزم الكاتب بعدد الألفاظ في كل فقرة فجاءت متساوية ومعتدلة, فكانت قصيرة وقريبة من سمع السامع, وأحسن السجع القصير,وهذا الضرب أوعر السجع مذهبًا, ولا يلتزم به إلا القليل من الأدباء.

- **المعارضات الزرزوريات:**

اعتمد كُتَّاب(الزرزوريات) في بناء رسائلهم على السجع، وتمثل هذا السّجع في أبسط أشكاله[3] ،ومن أمثلة ذلك ما جاء في معارضة الحسين بن سراج , قوله :

« **والودَّ صقيل الوذائل, مطلول الخمائل, جميل البكَر والأصائل** » [4](الوذائل والخمائل **,الأصائل),** وكذلك قوله: « **والله تعالى- يزيدُ أزهاره وضوحًا ,وأطياره صدوحًا, وظباءه تيمنًا وسنوحًا, بمنّه** »[5],(وضوحًا ،وصدوحًا،وسنوحًا), نوع السجع متوازي, اتفقت فيه اللفظة الأخيرة من القرينة, أي الفقرة مع نظيرتها في الوزن والرّويّ. قوله : « **أزمع عنَّا قطوعًا, وعلى ذلك الأفق اللدن تدليّاً ووقوعًا,**

([1]) الذخيرة : ق2/م1/289.
([2])المصدر نفسه : ق2/م1/ 196.
([3]) ينظر الزرزوريات : فوزي عيسى, ص40.
([4]) الذخيرة : ق2/م1/ 347.
([5]) المصدر نفسه :ق2/م1/347.

رجاءَ أن يلقي في تلك البساتين معمرًا, وعلى تلك الغصون حَبّاً وثمرًا...))[1], فجميع ما في الفقرة الثانية موافق لما قبله من الأولى وزناً وقافية, فـ(وقوعًا)موازن لـ(قطوعًا) والقافية فيهما العين, و(ثمرًا) موازن(لمعمرًا) والقافية فيهما الراء , فنوع السجع مرصع .

●المعارضات المعتضدية:

جاءت معارضة ابن عبد البرّ معتمدة على السجع والازدواج , ومن روعة أسجاعه ما نبزه الكُلاعيِّ بالمُغَصَّن[2] , ويتمثل في الاتساق الايقاعي وزنًا ونغمًا بين جملتين أوأكثر, مثال على ذلك قوله : ((**وما كنتُ خَصَصتَهُ بالإيثار, واستعملته في المكافحة والغوار, إلا لجزالةٍ كنت أتوسّمها فيه كانتْ عيني بها قريرة , وشهامة كنتُ أتوهّمها منه كانت نفسي بها مَسرورة, فإذا الجزالةُ جَهالة, والشهامَةُ شِرَّةٌ وكهامَةٌ...**)) [3]. فهاتان الجملتان المتسقتان وزنًا وإيقاعًا, وكما تولدان نغمًا متكاملاً, تلعب فيه الجملة الثانية دورالصَّدى للجملة الأولى, فتؤكدها دلاليًا , وترسخ مضمونها في ذهن المتلقي من خلال الإلحاح عليها بهذا الإيقاع المُطْربِ الْمشْجي, فهى من السجع المرصع .

ب - الجناس:

اختلف البلاغيون في تعريف الجناس, ولعل من أدق التعريفات له: ((هو أن تجئ الكلمة تجانس أخرى في بيت شعرٍوكلام, ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها))[4].

للجناس دور وأهمية كبيرة عند أدباء الأندلس , وقد تنوع عندهم بين التام ,وهو: ((أن تتفق الكلمتان في لفظهما ووزنهما وحركاتهما ولا يختلفان إلاّ من جهة المعنى))[5],وغيرالتام, غيرأن الجناس غيرالتام كان أكثر استخدامًا ؛ لأن الجناس التام يُعتبر قيدًا ملزمًا للكاتب يحد من حرية تصرفه, وسر جمال الجناس أنه يحدث

([1]) الذخيرة : ق2/م1/347.
([2]) ينظرإحكام صنعة الكلام ، الكلاعي: ص 134.
([3]) الذخيرة : ق3/م1 /139.
([4]) فنون بلاغية , البيان – البديع , أحمد مطلوب , دار البحوث العلمية, ط1, 1975م: ص223.
([5]) المرجع السابق : ص224 .

نغمًا موسيقيًا يثير النفس وتطرب إليه الأذن . كما يؤدي إلى حركة ذهنية تثير الانتباه عن طريق الاختلاف في المعنى .

وقد أجاد معظم أدباء المعارضات في استخدام الجناس غيرالتام, وله الأثر في التأثيرالنفسي، ويظهرالجناس في هذه المعارضات :

- **الزهريات:** من أنواع الجناس غيرالتام اختلاف اللفظان في أنواع الحروف, ويشترط ألا يقع بأكثر من حرف واحد. مثل قول حبيب **:** ((**ولما قرأته أنكرتْ ما فيه, وبنت على هدم مبانيه, ونقض معانيه , وعرّفتِ الوردَ بما عليه, فيما نسب إليه, من استحقاقه ما لا يستحقه, واستئهاله ما لا يستأهله**)) [1], فجانس إسماعيل بن حبيب بين(**مبانيه، معانيه**), فوقع الاختلاف في حرف واحد, بين الباء والعين, وكذا الجناس غيرالتام, بين كلمتي(**عليه ,وإليه**), فالجناس غير تام بين الألفاظ (**استحقاقه**, **يستحقه**), و(**استئهاله، يستاهله**)بسبب الاختلاف في زيادة عدد الحروف, فهو جناس ناقص . في قوله أيضًا: ((**وهو نَوْرُ البهار,البادي فضله بُدُوّ النهار**)) [2], فجاء الجناس بين(**البهار والنهار**) فوقع الاختلاف في حرف واحد ,بين الباء والنون, والجناس غيرالتام أيضًا بين لفظتي(**البادي وبُدُوّ**)، الاختلاف في زيادة عدد الحروف .

وفي زهرية الباجيّ قوله :((**وقد علم الوردُ موقع إمارتي, وغنيَ بلطيفٍ إيمائي عن عبارتي**)) [3], فجانس الباجي بين كلمتي (**إمارتي وعمارتي**). بسبب الاختلاف بين الألف والعين, وفي قوله: ((**وقائدُ الظَّرف وفارسُهُ، وعاقدُ مجلس الأنس وحارسه**))[4] جناس غير تام بين كلمتي(**فارسه وحارسه**) بسبب الاختلاف بين الفاء والحاء.

نقتبس بعض الفقرات من المعارضة الزهرية لابن حسداي قوله :((**يا أيّها الزهرُ الفاردُ, والنَّورُ الشارد, الساحر بحدقه وأجفانه, الناظرُ بورَقِهِ وأغصانه**))[5] يجانس

([1]) الذخيرة : ق2/م1/ 130, 131.
([2]) المصدر نفسه ق2/م1/ 131.
([3]) المصدر نفسه: ق2/م1/ 194.
([4]) المصدر نفسه: ق2/م1/ 195.
([5]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 471.

الكاتب بين(**الفارد والشارد**) جناس غير تام, والاختلاف في الحرفين الفاء والشين.

● **المطربات:** نتطرق لمعارضة الكاتب عمربن الباجيّ , قوله: ((**استهلّ جفنها فدمع, وسمح دمعها فهمع, وصاب وبلها فنقع, فاستوفت الأرض ريّا, واستكملت من نباتها أثاثاً ورئيًا, فزينة الأرض مشهورة, وحُلة الزهر منشورة, ومِنّة الرّبّ موفورة, والقلوب ناعمة بعد بؤسها, والوجوه ضاحكة بعد عبوسها**)) [1] فجانس الأديب بين(**دمع وهمع**) و(**ريّا ورئيا**) و(**مشهورة ومنشورة وموفورة**) و(**بؤسها وعبوسها**)الفقرة اشتملت على ألفاظ اختلفت في حرف واحد فقط , فالجناس غيرتام.

● **الزرزوريات:** يأتي الجناس في هذه المعارضات ليؤدي دورًا مهمًا في إثراء القطعة النثرية بالنغم , ومن أمثلته في معارضة أبي القاسم ابن الجدّ قوله : ((**ولمَّا طار ببلاد الغرب ووقع, ورزقًا في أكنافها وصقع..أزمع عنها فرارًا, ولم يجد بها قرار...حيث يكتسي ريشه حريرًا, ويحتشي جوفه بريرًا**)) [2], فجانس الأديب بين كلمتي(**وقع،وصقع**)بسبب الاختلاف في حرف الواو والصاد, وجانس بين كلمتي(**فراروقرار**)بسبب الاختلاف في حرف الفاء والقاف, وطابق بينهما, فجمع الأديب بين الطباق والجناس في آن واحد, وجانس بين(**حرير،وبرير**)وجاء الاختلاف في حرف الحاء وحرف الباء فالجناس غيرتام .

●**المعتضديات**: في معارضة ابن عبد البرّ جاء الجناس فيها عفو الخاطر, مثال قوله: ((**لا يعلمها إلا الفاطر,والبواطن,لا يحيطُ بها إلا الظاهرُ الباطنُ..ويروقُ منظرُالدِّمنةِ الخضراء, ويذوي ثمرُالدوحةِ الغناء, في التربةِ الغَضراء**))[3], فالجناس غيرتام بين الألفاظ (**البواطن** و**الباطن**) بزيادة عدد الحروف فيسمى جناس ناقص, لنقصان أحد اللفظين عن الآخر, وجانس الأديب بين كلمتي(**الخضراء و الغضراء**) بسبب الاختلاف بين الخاء والغين .

([1]) الذخيرة: ق2/م1/ 196, 197.
([2]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 349.
([3]) المصدر نفسه : ق3/م1/ 139.

نجد الجناس في معارضة الكاتب مجهول أول في قوله: ((**وما ظنك بدنيا قلّما تسمَحُ بحبْرَةٍ ,إلاَّ أتبعتها بعَبْرةٍ, ولا تجود بمنحةٍ ,إلاَّ كدَّرتها بمحنة**)) [1]. فالجانس غير تام بين كلمتي(**حبرة** و**عبرة**) فالاختلاف في حرف واحد فقط , وجانس الكاتب بين كلمتي(**محنة ومنحة**) جناس ناقص اختلاف اللفظين في ترتيب الحروف, وله أيضًا: ((**والأنامُ أغراض, لسهامِ الأعراض**)) [2]جمع الكاتب بين كلمتي(**أغراض**) و(**أعراض**), جناس غير تام باختلاف حرف واحد الغين والعين . يقول أيضًا: ((**وهيهاتِ أن تصطفيَ حية رقشاءُ ليِّنٌ مَسُّها قاتل سمَّها**)) [3] الجناس بين لفظي(**مَسَّها**) و(**سمُّها**) فهوجناس ناقص اختلاف في ترتيب الحروف, فكل من "مسها " و"سمها" مقلوب الآخر أوعكسه في ترتيب حروفه كلها.

ثانيًا ـ المحسنات المعنوية:

أ- المطابقة :

ويقال لها التضاد, والتطبيق, والطباق[4]، وهو لتوضيح المعنى والإلحاح عليه, وإبرازه, وتقويته, ويعتبرمن أهم المحسنات البديعية التي استعملها كُتَّاب الأندلس, وأجمع علماء البلاغة على أن الطباق ((هوالجُمع بين الشيء وضدّه في جزءٍ من أجزاء الرّسالة أوالخطبة أو بيت من بُيوت القصيدة ؛ مثل الجمع البياض والسواد, والليل والنهار, والحرّ والبرد)) [5].

ومن الأمثلة على ذلك , كما في المعارضات الزهرية منها معارضة ابن برّد , قوله :((**فجعل عبدًا وملكًا. وخلق قبيحًا وحسنًا**)) [6], فجمع بين اسمين متضادين(**عبدٌ، ملك**) وبين(**قبيح ،حسن**) مطابقة, وقول ابن حسداي أيضًا : ((**وأنا لها جالبٌ وهي طاردة , ومبشّرٌ بوردها وهي مؤيسة متباعدة**))[7] . جمع بين (**جالب، طارد**) وبين

([1])الذخيرة : ق3/م1 / 154.
([2]) المصدر نفسه : ق3/م1/ 155.
([3]) المصدر نفسه: ق3/م1/155.
([4]) الطباق : وهو يسمى التضادَّ أيضًا وهو الجمع بين المتضادين, أي معنيين متقابلين في الجملة , ويكون إما طباق سلب أو طباق إيجاب. الإيضاح في علوم البلاغة : ص255.
([5]) الصناعتين : ص307 .
([6]) الذخيرة : ق2/م1 / 127, 128 .
([7]) المصدر نفسه : ق3/م1 /470.

(**مبشر،مؤيس**)طابق الكاتب بين اسمين ايجابًا.

والطباق رائد في هذه المعارضات نجد في مطرية ابن الباجيّ **:** ((**ومنحًا يبسطها إذا شاء إنعاما وترفيها, ويقبضها إذا أراد إلهامًا وتنبيها**))[1] جمع بين(**يبسطها, ويقبضها**)،(**شاء, أراد**) يبسط ويقبض ضدان فالمطابقة جاءت على لفظ الحقيقة فهي إرادة الخالق سبحانه وتعالى ومشيئته في الكون .

شاع استخدام الطباق لتوضيح المعنى فنرى ذلك في زرزورية ابن الجدّ, **قوله:** ((**أزمع عنها فرارًا, ولم يجد بها قرارًا**)) [2], فجمع بين اسمين(**فرار**, **قرار**) مطابقة؛ لأن الفرار ضد القرار وكلاهما من نوع الاسم، وفي قوله أيضًا**:** ((**فشدَّ ما منحت البَّرعقوقًا, ومنعت التشيَّع لها حقوقًا**)) [3], جمع الكاتب بين فعلين متضادين(**منحت**, **منعت**)مطابقة ؛لأن المنح ضد المنع وكلاهما من نوع الفعل**.** أما في قول ابن عبد الغفور**:** ((**كثيرالعادية قليل الوَرَع**)) [4], مطابقة بين اسمين(**كثير**, **قليل**)**.**

والطباق في المعتضديات كان له الأثرالموسيقي في تجميل النص الأدبي للمعارضة, وجاء بصيغ ظهرت بدرجات متفاوتة, كما في قول الأديب ابن عبد البرّ**:** ((**مَعَ أنّ الآراء قد تنشأ وتَحْدُثُ, والنفوسَ قد تطيبُ ثم تخبثُ, لقرينٍ يُصْلحُ أو يُفسِدُ, وخليطٍ يُغوي أو يُرْشِدُ**)) [5]**.** فكان الجمع بين(**تنشأ, تحدث**),(**تطيب, تخبث**), (**يصلح, يفسد**), (**يُغوي, يُرْشدُ**) مطابقة ؛ لأن كل منهم جاء ضدًا للأخر ومن نوع الفعل ,طباق بالإيجاب **.**

كذا قوله : ((**حتى لا تساءَ بقريبٍ مأمون , ولا بعيدٍ مظنون**)) [6] الطباق بين (**قريب، بعيد**) وبين (**مأمون** , **مظنون**) فكل منهم جاء ضدًا للأخر .

هذه نماذج قليلة ولكنها كافية في بيان صورة الطباق, التي جاءت عفوية عند ابن عبد البرّ, وزخرت معارضة المجهول الأول والمجهول الثاني بالطباق؛ لأنهما أرادا المنافسة الأدبية.

([1]) الذخيرة: ق2/م1 /196.
([2])المصدر نفسه : ق2/م1/349.
([3]) المصدر نفسه: ق2/ م1 /353.
([4]) المصدر نفسه: ق2/م1/351.
([5]) المصدر نفسه: ق3/م1 / 139.
([6]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 143.

ب ـ المقابلة:

قد تكون المقابلة في المعنى , وهي مقابلة الفعل بالفعل , وقد تكون المقابلة بالألفاظ , وهي أشمل وأعم من الطباق , وعرفها أبوهلال العسكري في كتابه الصناعتين[1] , أما ابن رشيق فخصص لها بابًا غير باب المطابقة , وقال : ((وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب ؛ فيعطي أول ما يليق به أولا , وآخره ما يليق به آخرًا , ويأتي في الموافق بما يوافقه , وفي المخالف بما يخالفه))[2].

ونجد معارضة ابن الباجيّ قد اتكأت على **المقابلة** اللغوية المنتزعة من اللون الدال الموحي في أبسط صوره, فقال:((**ومنحًا يبسطها إذا شاء إنعامًا وترفيهًا, ويقبضها إذا أراد إلهامًا وتنبيهًا**))[3]. نجد صدره مشتمل على معنيين, ومشتمل في العجزعلى ما يقابله.

ثم يتحدث عن زوال الجدب المادي, ليصاحبه بالمثل زوال الجدب الروحي, في قوله: ((**فالقلوب ناعمة بعد بؤسها, والوجوهُ ضاحكة أثرعبوسها, وآثار الجزَع ممحوَّة, وَسُوَرُالشكر متلوَّة**)) [4], فالمقابلة هنا بين معنيين **(النعيم، والبؤس)** و**(الضحك, والعبوس)** و**(الجزع ,الشكر)** فتوحي بالحالة الشعورية .

([1])المقابلة: إيراد الكلام,ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة. الصناعتين: ص337.
([2]) العمدة : 13/2.
([3]) الذخيرة : ق2/م196/1.
([4]) المصدر نفسه : ق2/م1/ 197

الخاتمة

في إطار محاكاة الأندلسيين أو معارضتهم للمشارقة , وفي ضوء المنافسة الشريفة التي كان دافعها الحب الصادق والولع الشديد بالابتكار والاختراع , لقد أثمرت هذه المنافسة التي قامت على قدم وساق في الأندلس أثناء حركة الازدهار العلمي والأدبي, وتهيئة الأسباب المباشرة لانتشاردورالعلم, ومراكزه المتعددة في جميع أرجاء الأندلس, وإقامة المكتبات والاهتمام بشراء المؤلفات من جميع بقاع الدنيا في كافة الفنون والعلوم, ومن خلال تبادل الرحلات بين المشرق والمغرب.

من أبرزالنتائج التي توصلت إليها في دراستي لفن المعارضات النثرية, ما يلي:

- التغيرالفكري الإنساني يفتح آفاقًا لقراءة العلاقة مع التراث من جهة, وإنارة جوانب متعددة من هذا التراث من جهة أخرى, وكل أدب له خصوصية حسب التغير الذي طرأ عليه، ويكون بدلالات متعددة اتسعت لأنواع مختلفة مما انتجته تلك الحقبة، وتعدّ المعارضة الأدبية عملًا بعث وإحياء للتراث عن طريق إحياءه بروح العصرالجديدة .
- المعارضات النثرية تثري النقد الأدبي عن طريق تلك المقارنات اللطيفة بين المعارِض والمعارَض بإظهار المتفوق والإشارة إلى المخفق, وكل ذلك يجعل لدى الناقد مادة جمة , وحصيلة واسعة كى يصدر أحكامه ويوضح وجهة نظره , والإفصاح عن رأيه في تلك المعارضات.
- قامت فكرة المعارضات أساسًا على محاولة تحطيم النص النموذج , وإمالة الناس إلى نص بديل هدفه إعادة انتاج المعرفة , وتخليص الفكر من نص قامت عليه هالات من التقديس فترة طويلة, ومن هنا نرى أن الباعث الحقيقي لفن المعارضات ليس تثبيت فضل السبق, ولكن تثبيت فضل الزيادة , وفضل الزيادة ليس مفهومًا مرسخًا لمبدأ السبق, لكنه قائم على صرف النظرعن النص السابق لصالح النص اللاحق فنيًا.
- ردًا على من قال إن الأندلسيين ساروا على نهج المشارقة تقليدًا مما اضطرابن بسّام إلى إطلاق صرخة قوية للحد من هذا التقليد , وردًا على من قال بأن للأندلسيين طبيعة خلابة لو نظروا إليها استغنوا عن مناظرات ابن الرومي وتشبيهات ابن

المعتز. ردّاً على ما تقدم , أن الأندلسيين يريدون إثبات الذات الأندلسية , ويريدون أن يظهروا أنهم قادرون على الابتكاروالإجادة والإبداع في الموضوع نفسه رغبة منهم في التحدي والمنافسة.

● وعن ظاهرة التقليد للمشارقة ، أن الأندلسيين لوتركوا الموضوعات المشرقية, ولم يؤلفوا على منوالها . قيل عنهم أنهم لا يستطيعون النسج والسيرعلى طريقة المشارقة، وأنهم وجدوا صعوبة فيها , ولكن الأندلسيين , تعدوها , وبحثوا عن طرق أخرى, وهذا هو التحدي بعينه والتفوق.

●إشتراك البيئتين الأندلسية والمشرقية في الموروث العام , يجعل صورالتشابه - هذه حقيقة يجب أن نعيها تمام الوعي- لا حين نتحدث عن الأدب الأندلسي وحسب, بل حيث نتحدث عن الأدب في كل قطر من الأقطار الإسلامية التي وجدت طريقها إلى الاستقلال السياسي في هذا العصرأو ذاك , والمعروف العام لا يعني الشركة في مواد العمران وحسب بل يمتدَّ فيشمل الشركة في وسيلة التعبير ، وفي الموروث العام .

● وضوح آثار التعاون في خلق الروح الأندلسية الأدبية والفكرية والعلمية في شتى النواحي ومختلف الجوانب , وإن النهضة العامة في القرن الخامس الهجري كانت الثمرة اليانعة للعلوم والآداب والفلسفة , بل ظهرت هذه الثمرة في ميدان الحياة الإنسانية كلها .

● إيراد قدر كبير من المعارضات في الذخيرة , دليل على أن ابن بسّام يهتم اهتمامًا كبيرًا بتبيين مظاهر الابداع لدى الأندلسيين, وكون الذخيرة مصدرًا لها , دليل آخر على أنه كان ذا حس فني, وذوق راقيين يجعلانه يدرك الأعمال الأدبية الراقية التي تستحق التخليد .

● تمتازالمعارضات الوصفية بأنها معارضات أدبية ذات بداية ووسط ونهاية , كما أنها ذات رابط شعوري وحركة , ولعل هذا راجع إلى أن أوصاف الأندلس و أخصب مجالاتها كان في حضن الطبيعة , وليس هذا أن المشرق لم يصف الطبيعة بل أن كُتَّاب القرن الخامس الهجري وجهوا عناية خاصة لهذه الأوصاف, ولكن في

معارضات الأندلس الوصفية نحس أن الاحساس بالطبيعة ؛ هو المرتكز الأساسي الذي تدور حوله الأوصاف.

● نجحت النصوص النثرية الأندلسية المعارضة في خلق إبداع متجدّد نابع مما هو أصيل؛ بالغة بذلك تحقيق هدفين في الوقت عينه: أولهما ـ تأصيل الهوية الأدبية الأندلسية بالارتداد إلى المشرق. ثانيًهما ـ تأسيس انطلاقة أدبية أندلسية خالصة, اعتمادًا على ما هو كائن (الموروث المشرقي), وصولاً إلى ابتكارالجيّد الجديد, ابتكارالبضاعة الأدبية الأندلسية, التي لا يتعالى أو ويعزف عليها, أو فضول منهم كما فعل الصاحب بن عباد في المشرق.

● أضيف مفهومًا للمعارضة , فهي ربط الحاضر بالماضي, واتصال لحلقات التطوّر الأدبي للأمة , وأسلوب نقد ومحاورة التراث وإيصاله للأجيال المتعاقبة , بنقله بالفائدة والمعنى لا بالنص .

● تعتبرالمعارضة وجهًا للصراع الحضاري بين القدماء والمحدثين, وكذلك بين المتعاصرين, إذا كانت المعارضة مرتبطة بزمن واحد, وهي تمثل إظهار القدرة على التأليف, أوالتحدي،وحازت جميعها مكانة أدبية مرموقة في النثرالأدبي, على مستويات اللغة والأسلوب والمضمون.

●اعتمدت المعارضات الزهرية على الشعر تجسيدًا لإحساس أو انتصارًا لفكرة, فضمّن كل من ابن برد الأصغر والحميريِّ وابن الباجيَّ نسيج معارضاتهم أبياتًا من الشعر, أما ابن حسداي، فقد أكثرمن الاستعانة به,ولكنه مال إلى حلَّ المعقود. تمتازهذه المعارضات بأن فيها تقصيًا واستيعابًا لمحاسن كل زهر, وعيوبه.

● الخطاب الديني هو أساس المعارضات المطرية, إلا أن الاستشهاد النّصّي المباشر بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة كان قليلاً. فقام النص الأدبي من خلال المعاني والأفكار والأساليب ,التي بين ثنايا منثورهذه النصوص .

● اتبع كُتَّاب المعارضات المطرية الأسلوب الوصفي فمن خلال ألفاظه يوحي بشيء من الحركة أو اللون للمنظر الموصوف , وفي بعض الأحيان يميل إلى الرسم ,

معتمدً ا في ذلك على التأمل والحركة . الأسلوب الوصفي يقسم الموضوع , فيجعل له بداية ووسط وخاتمة, وتتيح للكاتب استعراض ثقافته الأدبية بضروب متعددة.

● صورت لنا المعارضات الزرزورية بعض جوانب الحياة الاجتماعية الأندلسية , وبروز طبقة الفقراء والكدّيين , وطريقة توسلهم للأغنياء وتقربهم منهم بالمدح والثناء عليهم لغرض التكسب والحصول على الرزق، كما نجحت في نقل صورة البيئة الأندلسية المحلية, والظروف الطبيعية التي تمر بها بعض الأحيان , مما يؤثر سلبًا على السكان والحياة الاقتصادية الأندلسية.

● احتفى كُتّابُ الزرزوريّات بالسجع من البدايات إلى النهايات , والتنوع في الحروف الأواخر, التي تخلق النغمة الموسيقية العذبة , وكذا الطباق والجناس, وتوظيف الموروث أدبيًا وتاريخيًا احتفاء يُجسَّدُ رغبتهم في إظهار سعة معارفهم, وقدرتهم على توظيفها, وهم في احتفائهم هذا لا يُجارون أبا الحسين بن سراج , الذي جاءت زرزوريته خالية من الاستعانة بالموروث , اللهم إلا في موطن واحد ببيت من الشعر لأبي تمام ختم به نصه, وسلك بها مسلك الإيجاز والاختصار, والرقع القِصَار المجمَلة , فيعد من أمهر الكُتَّاب .

● اتكأت الزروريات على الشعر محلولا ًومعقودًا, الشعرالذي تخلل النثرجاء مناسبًا لموضعه غير قلق ولا مضطرب, وهو إلى ذلك جيد الحَوْكِ حسن المعنى, وتخللت المعارضة آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة, والأعلام والأمكنة ذات الصبغة التاريخية . كان ابن الجدّ وأبو بكر البطليوسي أكثر كُتّاب المعارضات الزرزورية احتفاء بالموروث.

●تقترب معارضة مجهول أول من معارضة ابن عبد البرّ في جزالة الألفاظ , وقوة المعاني, وتوظيف للموروث بدقة , أما المعارضة الثانية فقد جاءت دونهما طولاً وتوسُّعًا في الاتكاء على التراث , وحذا حذو ابن عبد البرّ في بناء معارضته.

● تفسيرالردّعلى معارضة ابن عبد البرّ له وجهان, أولهما عفويّ: يرمي إلى التفاعل الأدبي, والغوص في وجدان معارضة ابن عبد البرّ . ثانيهما ـ قصْديٌّ : وهو تعمد منافسة ابن عبد البرّ والصّوْغ على قالبها بالمعالجة اللغوية, إذا سلمنا أن

عنصرالمعارضة ضيق وحرجٌ جدًا. فالحدث واقعة تاريخية, ومسرحها معلوم زمانًا (450هـ), ومعروف مكانًا:(إمارة إشبيلية), والشخصيات:(عباد المعتضد بالله وإسماعيل بن عباد).

● تبين أن هناك أوجه اتفاق, وجوانب اختلاف في هاتين المعارضتين المعتضديتين, المجهول الأول والمجهول الثاني, مع معارضة ابن عبد البرّ, فالمعارضة الثانية حدت حذو معارضة ابن عبد البرّ, فجاءت المعارضة الأولى تقريرية أما معارضة المجهول الأول اختزل سرد الأحداث؛ لأن الإطالة تفضي إلى الملالة, وأخذ يطيل القول واعظًا ومعتبرًا, مسلطًا الضوءعلى الخيانة مضمونها وتداعياتها, والعقاب الصارم من الأب, مستندًا في حديثه على الموروث الحضاري.

● نجح أصحاب المعتضديات الثلاثة في نقل أخبارالحادثة بلغة واضحة ومتينة, استخدموا فيها التراكيب النحوية, والصيغ الصرفية , والتشبيهات المقربة للصورة, التي أدت لتقوية المعنى, والاستعارات, ثم الكنايات المادحة للمعتضد, والذامة لابنه الغادر,وكذا التنويع التركيبي في التقديم والتأخير, وقلب للمعنى تقديمًا ، والإشارات كلها مفرغة في قوالب مسجوعة محكمة, وقد حوت العديد من الدلائل, وهذا يدل على التمرس الأدبي والقدرة الإبداعية للكُتّاب.

●اقترح ضرورة إعادة نتاج المعارضة المعتضدية , فنصوص المعارضات تعدّ بحقّ تحف من المعمار اللغوي للأدب العربي؛ فهى تحفة نفيسة نادرة , فنجد عناصرها تكاملت من زمان ومكان وشخصيات وأحداث , وبهذه العناصر جعلت مهمة المنافس صعبة ودقيقة, فمعارضة ابن عبد البرّهي العصماء – فهى يتيمة - ابن عبد البرّ.

● تشتد الحاجة إلى تحقيق المخطوطات التي تنشرآثارالأدب الأندلسي، ولا أحد ينكر أن ما نشرعن الأندلس لا يزال قليلاً.

وغاية ما أرجوه مخلصة أن أكون قد وِّفقتُ حقًا في إضافة شيء للأدب الأندلسي.

والله أسأل أن يرزقني السداد في القول , والإخلاص في الفكر والعمل , وهو حسبي ونعم الوكيل.

ثانيًا: المصادر والمراجع.

1. أبحاث في الأدب الأندلسي، مقداد رحيم , دار ومكتبة الشعب , مصراتة، ليبيا، ط1، 1994م.
2. ابن شهيد وجهوده في النقد الأدبي،عبد الله سالم المعطاني, منشأة المعارف بالإسكندرية ,جلال حزي وشركاه ،مصر، ط1971م.
3. أحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، للكلاعي، أبوالقاسم محمد بن عبد الغفور, تح:محمد رضوان الداية, عالم الكتب, بيروت، ط2، 1985م.
4. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، أحمد هيكل، دارالمعارف، القاهرة ، ط9، 1985م.
5. الأدب الأندلسي(موضوعاته وفنونه)،مصطفى الشكعة,دارالعلم للملايين, بيروت، ط8، 1972م.
6. أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فايزعبد الغني القيسي, دار البشير للنشر والتوزيع – عمان – الأردن، ط1، 1989م.
7. الأدب العربي في الأندلس،عبد العزيزعتيق , دار النهضة العربية – للطباعة والنشر– بيروت، ط2، 1976م.
8. أدب الفكاهة الأندلسية، رياض قزيحة,المكتبة العصرية، بيروت،ط1، 1998م.
9. أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية، محمد رضا الشبيبي, دار اقرأ – بيروت – لبنان, ط 1984م.
10. الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال, دارالعودة ـ بيروت ـ لبنان، ط3، 1987م.
11. أسرارالبلاغة,للجرجاني,علق عليه:محمودشاكر,دارالمدني,بجدة,ط1, 1991م
12. إشبيلية في القرن الخامس الهجري، صلاح خالص ،دارالثقافة ـ بيروت، د.ط، 1965م.
13. الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،خيرالدين الزركلي, دار العلم للملايين– بيروت– لبنان، ط5، 1980م.
14. الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني، دار الثقافة – بيروت، ط1957م .
15. أقرب الموارد في فصيح العربية والشارد، سعيد الخوري الشرتوني,مكتبة لبنان , د.ط.

16. آمالى القالي: أبوعلي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي(ت436هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم دار االكتاب العربي - بيروت ، ط2, 1967م.
17. الانتماء في الأدب الأندلسي،عبد الله بن علي بن ثقفان , مكتبة التوبة- الرياض- السعودية ، ط1، 1996م.
18. الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني-البيان – البديع)، الخطيب القزويني, وضح حواشيه:إبراهيم شمس الدين,دارالكتب العلمية–بيروت– لبنان، ط1، 2003ف.
19. البخلاء ، للجاحظ : طبعه وشرحه , أحمد العوامري بك وآخرين , دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، ط 1983م.
20. البداية والنهاية ,أبو الفراء,الحافظ بن كثيرالدمشقي(ت774هـ)، مكتبة المعارف، ضبط وتصحيح :هيئة بإشراف الناشر, ط3, 1993م.
21. البديع في وصف الربيع ، أبو الوليد , أبوعبد الله بن عبد المنعم الحميري ، تصحيح، هنري بيريس، مكتبة الثقافة الدينية ,بور سعيد- مصر، ط1، 2002م.
22. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الضبي,أحمد بن يحي أحمد بن عميرة(ت599هـ)،تح: إبراهيم الأبياري, دارالكتاب المصرية- القاهرة، ط1، 1989
23. البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري: أبوعبد الله أحمد بن محمد المراكشي(ت695هـ),تح :إحسان عباس, دار الثقافة – بيروت، ط5، 1998م.
24. البيان والتبين:أبوعثمان عمرو بَحرْالجاحظ, تح:عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي, القاهرة , ط3, 1968م.
25. البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر في عصر ملوك الطوائف، سعد إسماعيل شلبي, مصر، ط1, 1978م.
26. تاج العروس ،السيد مرتضى الزبيدي, دارليبيا للنشروالتوزيع– بنغازي، ط 1990م.
27. تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ،لسان الدين ابن الخطيب: أبوعبد الله بن محمد عبد الله بن سعيد (ت 776هـ)، تح:ليفي بروفنسال, بيروت، ط2، 1956م.
28. تاريخ الأدب الأندلسي "عصر سيادة قرطبة"، إحسان عباس, دار الثقافة – بيروت – لبنان، ط2، 1969م.
29. تاريخ الأدب الأندلسي"عصر الطوائف والمرابطين" ، إحسان عباس , دار الثقافة, بيروت , ط8, 1996.
30. تاريخ الأدب الأندلسي، محمد زكريا عناني, دار المعرفة الجامعية – مصر، ط

1999م.
31. تاريخ الأدب العربي "الأدب في المغرب والأندلس إلى آخر عصر الطوائف"، عمر فروخ , دار الملايين – بيروت – لبنان، ط2، 1984م.
32. تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان , نقله للعربية السيد يعقوب بكر وزميله, دارالمعارف، القاهرة ، ط2،1977م.
33. التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة، عبد الرحمن علي الحجي, دار الاعتصام , القاهرة، ط1, 1983م.
34. تاريخ الرسل والملوك: أبو جعفر محمد بن جزير الطبري, تح : محمد أبو الفضل إبراهيم , دار المعارف بمصر, ط2, 1967م.
35. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، إبراهيم السامرائي وآخرين, دار الكتب الإسلامي – بنغازي – ليبيا، ط1،1999م.
36. تاريخ الفكرالأندلسي,أنجل جنثالث بالنثيا, تح: حسين مؤنس, مكتبة الثقافة المصرية، ط 1955م.
37. تاريخ المعارضات في الشعر العربي، محمد محمود نوفل , مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983م.
38. تاريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشايب , القاهرة ، ط2 , 1954م.
39. تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس , بيروت ، ط1، 1971 م .
40. تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، محمد رضوان الدّاية, مؤسسة الرسالة,بيروت، ط2، 1981م.
41. التجديد في الأدب الأندلسي: باقر سماكة , مطبعة الإيمان, بغداد, ط1971م.
42. تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي, ت: محمد سليم النعيمي, منشورات وزارة الثقافة والأعلام, العراق، ط 1981م.
43. التكملة لكتاب الصلة، للمراكشي، تح: إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت،ط1، 1973م.
44. تهذيب اللغة، آبو منصورمحمد بن أحمد الأزهري(ت 370هـ), تح:عبد السلام هارون, دارالقومية العربية للطباعة, مصر، ط 1964م .
45. تيارات النقد الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، مصطفى عليان عبد الرحيم, مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984م.
46. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، الحميدي: أبوعبد الله محمد بن فتوح(ت 488هـ) ، دار الكتاب المصري ، ط3، 1989م.
47. جمهرة اللغة ،ابن دريد,أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي البصري (ت321هـ) في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية الكائنة, بحيدرآباد, ط1, 1351هـ.

48. جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: أحمد زكي صفوت, دار المطبوعات العربية , للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1971م.
49. جواهرالبلاغة، في المعاني- والبيان- والبديع ، أحمد الهاشمي، تدقيق وفهرسة: حسن نجار محمد، مكتبة الآداب،القاهرة ،ميدان الأوبرا، مصر،ط 2،2005ف
50. الحلة السيراء، ابن الأبّار: أبوعبد الله محمد بن عبد الله القضاعي(ت658هـ)، تح: حسين مؤنس, دار الكتاب العربي,القاهرة، ط1، 1963م.
51. الحوار الأدبي بين المشرق والأندلسيين – المتنبي والمعري – نموذجين: أيمن محمد ميدان, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر, الإسكندرية، ط1، 2004 ف.
52. حول الأدب الأندلسي، قيصر مصطفى, مطبعة الأشرف– بيروت– لبنان، ط 1987م .
53. خريدة القصر وجريدة العصر، للأصفهاني, قسم شعراء المغرب والأندلس، تح: آذار تاش, نقحه وزاد عليه, محمد المرزوقي,الدارالتونسية للنشر،1955م.
54. دراسات أندلسية، عبد الواحد دنون طه, المكتبة الوطنية- بغداد – العراق، ط1، 1968م .
55. دراسات في الأدب الأندلسي، أيمن محمد ميدان, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية – مصر، ط1، 2004ف.
56. دراسات في الأدب الأندلسي، محمد سعيد محمد,منشورات جامعة سبها – ليبيا، ط1، 2001ف.
57. دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، آمين توفيق الطيبي, الدارالعربية للكتاب، ليبيا – تونس ,ط 1984م .
58. دولة الإسلام في الأندلس – العصر الثاني – دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، محمد عبد الله عنان, مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1, 1960م.
59. ديوان ابن الرومي,تح :عبد الأميرُ علي مَهنّا،دار ومكتبة الهلال، ط1998،2م.
60. ديوان ابن المعتز, تح : ميشيل نعمان, المطبعة التعاونية اللبنانية للكتاب , ط1969م.
61. ديوان ابن زيدون ورسائله،تح:علي عبد العظيم,دارالنهضة-القاهرة,ط1957م.
62. ديوان أبي الحسن التهامي, تح: علي نجيب عطوى ,دارومكتبة الهلال-بيروت، ط1986م .
63. ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي, تح :محمد عبده، دارالمعارف، مصر،ط3، 1976م .
64. ديوان أبي نواس, تح: أحمد عبد المجيد الغزالي, دارالكتاب العربي, بيروت، د.ط، د.ت.

65. ديوان الخنساء ,تح: درويش الجويدي, المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط 2009ف.
66. ديوان المتنبي: بشرح أبي البقاء العكبري, ضبط: إبراهيم الأبياري وآخرين, دار المعرفة , بيروت , ب.ط .
67. ديوان امرؤ القيس, محمد أبو الفضل إبراهيم, دار الفكر المعارف, ط5, 2009م.
68. ديوان حاتم الطائي, تح:أبو صالح يحيى بن مدرك الطائي, دارالكتاب العربي, بيروت.
69. ديوان زهير بن أبى سلمى, تح: عمر فاروق الطبَّاع, دار العلم، د.ط، د.ت.
70. ديوان طرفة بن العبد: بشرح الأعلم الشنتمري, تح: لطفي الصقال, المؤسسة العربية، 1975م.
71. ديوان علقمة, تح: لطفي الصقال ودرية الخطيب, دارالكتاب العربي , حلب، ط1، 1969م.
72. ديوان قيس بن الملوح, تح :مجيد طراد, عالم الكتب- بيروت– لبنان،ط1، 1996م.
73. ديوان لبيد بن ربيعة, تح : يحيى الجبوري , مكتبة الأندلس, بغداد, ط1, 1970م.
74. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،ابن بسام الشنتريني, أبوالحسن على(ت 542هـ)، تح: إحسان عباس, الدارالعربية للكتاب – ليبيا – تونس, جميع الحقوق محفوظة، ط 1981م.
75. الرحلات العلمية بين المغرب الإسلامي والمشرق: عبد الواحد دنون طه، دار المدار الإسلامي، ط1، 2005ف.
76. الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي، فوزي سعد عيسى , دارالمعرفة الجامعية - مصر، ط 1998م.
77. رسالة التوابع والزوابع,لابن شُهيد، تح :بطرس البستاني, دار صادر، بيروت، ط 1996م.
78. رسائل ابن أبي الخصال ،أبوعبد الله بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي،تح: محمد رضوان الداية، دارالفكر، دمشق، ط1، 1988م.
79. الروض المعطار في خبرالأقطار، محمد عبد المنعم الحميري, تح: إحسان عباس, مكتبة لبنان ، بيروت ، ط4، 1974م.
80. الزرزوريات- نشأتها وتطورها في النثرالأندلسي- فوزي عيسى,دارالمعرفة الجامعية ، د.ط ، 1990م

81. سير النبلاء، الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي, تح: شعيب الأرناؤوط وآخرين , مؤسسة الرسالة , ط9 ,1413هـ.
82. شرح ديوان صريع الغواني,مسلم بن الوليد الأنصاري(ت208هـ)، تح: سامي الدَّهان, دار المعارف -القاهرة - مصر,ط3،1970م.
83. شرح شافية ابن الحاجب الاستراباذي, تح: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين, دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان، ط1،د.ت.
84. الشعر الأندلسي في عصر الطوائف "ملامحه العامة" وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية, تح: الطاهر أحمد مكي, دارالمعارف, القاهرة ،ط1،1988م.
85. الشعروالبيئة في الأندلس، ميشال عاصي, منشورات المكتب التجاري,للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، ط 1، 1970م.
86. الصلة،ابن بشكوال :أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت578هـ)، تح: إبراهيم, الأبياري دار الكتاب المصري، ط1، 1965م.
87. الصناعتين : الكتابة والشعر، أبوهلال العسكري، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ،ط 1986م.
88. العصرالعباسي الثاني، شوقي ضيف: دار المعارف, القاهرة، ط5، 1973م.
89. العقد الفريد ،ابن عبد ربه الأندلسي(ت 328هـ), تح:مفيد محمد قميحة, دار الكتب العلمية , بيروت، ط1، 1987م.
90. العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده ،ابن رشيق:أبوعلي الحسن القيرواني(ت463هـ), تقديم وشرح:صلاح الدين الهواري وآخرين,مكتبة الهلال – بيروت ،ط1996م.
91. عيون الأنباء في طبقات الأطباء, ابن أبي أصبيعة, موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي– الخزرجي– تح: نزار رضا – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت , ط1965م.
92. الفن ومذاهبه في النثر العربي،شوقي ضيف،دارالمعارف بمصر،ط5،1960م.
93. الفنون الأدبيّة" فن الشعر" ،إحسان عباس , دارالثقافة, بيروت ، ط1955م.
94. فنون النثرالأدبي بالأندلس- في ظل المرابطين: مصطفى الزباخ،الدارالعالمية للكتاب, بيروت ، ط1 ،1987 م
95. فنون بلاغية ,البيان– البديع ,أحمد مطلوب ,دار البحوث العلمية, ط1, 1975م
96. فهرست ابن خير الأشبيلي – بيروت – ط2, 1963م.
97. فواتُ الوفيات والذيل عَليها، محمد بن شاكر الكتبي(ت764هـ)،تح إحسان عباس، دار صادر – بيروت ، ط1973م.
98. في الأدب الأندلسي، جودت الركابي , دار المعارف، القاهرة ، ط2، 2008ف.

99. القاموس المحيط ،الفيروزآبادي, مجد الدين محمد بن يعقوب، مكتبة القاهرة، ط2، 1952م.
100. قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، محمد عبد الوهاب خلاف, تونس ، ط1, 1984م .
101. قصة الأدب في الأندلس ،عبد المنعم خفاجة , مكتبة المعارف– بيروت، ط 1962م.
102. القطوف اليانعة من ثمارجنة الأندلس الإسلامي الدانية، عبد الله أنيس الطباع, دار ابن زيدون، بيروت، ط1، 1986م.
103. قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، ابن خاقان,أبو نصرالفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الإشبيلي(ت529هـ)، تح: حسين يوسف خريوش, مكتبة الميار– الزرقاء الأردن، ط1، 1989م.
104. الكامل ، للمبرد: أبوالعباس محمد بن يزيد, تح:محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله، دار نهضة مصر- القاهرة، د.ط ، د.ت.
105. لسان العرب، ابن منظور,أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ), دار صادر، بيروت، ط1، 1990م.
106. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر,ابن الأثير،أبو الفتح نصر الله الجزري(ت637هـ)، تح :محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1990م:
107. مجمع الأمثال:للميداني,أبوالفضل محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري(ت518هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية، بيروت، 2011ف
108. محيط المحيط – قاموس مُطول للغة العربية ، بُطرس البستاني, مكتبة لبنان – ساحة رياض العلم – بيروت , لبنان، ط 1987م.
109. المحيط في اللغة ،الصاحب بن عباد,(ت 385هـ)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين , عالم الكتب ، بيروت، ط1، 1994م.
110. المستقصي في أمثال العرب, للأديب أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ), دار الكتب العلمية، بيروت, ط2, 1977م .
111. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،الفيومي(ت 770هـ)، تصحيح: مصطفى السقاء, مطبعة مصطفي الحلبي وأولاده ، ط 1050م.
112. المطرب من أشعارأهل المغرب ،لابن دحية، تح : إبراهيم الأبياري وآخرين,المطبعة الأميرية- القاهرة – 1954م .
113. المعارضات الشعرية(أنماط وتجارب)،عبد الله التَّطاوي, دار قباء للطباعة,

القاهرة، ط 1998م.
114. المعارضات في الشعرالأندلسي، إيمان الجمل, دارالوفاء لدنيا الطباعة والنشر, الإسكندرية، ط1، 2007ف.
115. معالم تاريخ المغرب والأندلس، حسين مؤنس ,دارالمستقبل,القاهرة,ط1980م.
116. المعجب في تلخيص أخبارالمغرب،المراكشي:عبد الواحد بن على التميمي(ت647هـ) تح: محمد سعيد العريان, ط القاهرة، ط1963م.
117. المعجم الأدبي، جبَّورعبد النّور, بيروت، ط1 , 1979م.
118. معجم البلاغة العربية, بدوي طبانة, منشورات جامعة طرابلس, ط1, 1977م.
119. معجم البلدان، ياقوت الحموي, أبوعبد الله بن عبد الله الرومي(ت626هـ)، دارصادر – بيروت ، ط1، 1977م .
120. معجم الشعراء :الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزوباني,(ت384هـ) , صححه وعلق عليه , ف.كرنكر, دارالجيل - بيروت, ط1, 1991م.
121. معجم العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي , تح:مهدي المخزومي وزميله ، دار دارومكتبة الهلال – بيروت–لبنان ،ط1986،2م .
122. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان ، د.ط ، 1979م.
123. المعجم المفصَّل في اللغة والأدب: ميشال عاصي وآخرين, دارالعلم للملايين, بيروت، د. ط ،د.ت .
124. المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى وآخرين ,القاهرة- مجمع اللغة العربية.
125. معجم متن اللغة – موسوعة لغوية حديثة: الشيخ أحمد رضا, دار مكتبة الحياة- بيروت – لبنان,ط 1985م.
126. معجم مقاييس اللغة ،ابن فارس، أبوالحسين أحمد بن زكريا(ت395هـ)، محمدعوض مرعب وآخرين, دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ط1، 2001ف.
127. المُغرب في حلي المَغرب ، ابن سعيد المغربي , علي بن موسى محمد بن عبد الملك (ت 685هـ)، تح: شوقي ضيف, دارالمعارف، القاهرة ،ط3, 1964م.
128. مقدمة العلامة ابن خلدون, تح:حُجر عاصيي، منشورات دار مكتبة الهلال – بيروت، ط 1991م.
129. ملامح التجديد في الأدب الأندلسي : مصطفى محمد السيوفي, عالم الكتاب - بيروت، لبنان , ط1, 1985م.
130. مواد البيان,علي بن خلف الكاتب, تح :حسين عبد اللطيف, منشورات جامعة- طرابلس- ليبيا, ط1982م ,

131. النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري "مضامينه وأشكاله"،علي بن محمد ، دار الغرب الإسلامي, بيروت، ط 1، 1980م.
132. النثر الفني في القرن الرابع الهجري , زكي مبارك ,دارالجيل- بيروت- لبنان، ط 1975م.
133. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،المقّري: أحمد بن محمد المقّري التلمساني(ت1041هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1988م.
134. النقد الأدبي: أحمد أمين,الناشردارالكتاب العربي – بيروت – لبنان د.ط , .
135. نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت, د.ط، د.ت.
136. الواضح في علم الصرف، نوري علي شرينة وآخرين, منشورات الدعوة الإسلامية, ليبيا، ط1، 2003ف.
137. وفيات الأعيان وأنباء أبناء ، ابن خلكان : أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ)،تح: إحسان عباس،دار صادر- بيروت-لبنان، د.ط ، د.ت.

الدوريات:

1- مجلة أفق الثقافية , العدد2،2003م .
2- مجلة كلية دار العلوم - مجلة علمية محكمة تصدرها دار العلوم- إصدار خاص , جامعة القاهرة - الجيزة – مصر, 2007 م.

فهرس المحتويات

الموضوع	ر.م
الإهداء...	أ
شكر وتقدير...	ب
المقدمة...	د
التمهيد.	1
أولاً : الاطار السياسي ...	1
ثانيًا : الاطار الاجتماعي...	10
ثالثًا : الاطار الثقافي...	14
الفصل الأول : المعارضات النثرية الأندلسية في القرن الخامس الهجري...	25
المبحث الأول : مفهومها وتسميتها - تاريخها و أشهر كُتَّابها.	26
أولاً : مفهومها وتسميتها.	26
● المعارضة في اللغة ...	26
● المعارضة في الاصطلاح...	39
ثانيًا : تاريخها وأشهر كُتَّابها...	31
المبحث الثاني : العوامل التي ساعدت على نشأة فن المعارضات النثرية في القرن الخامس الهجري..	42
أولاً : أثر البيئة الأندلسية ...	43
أ ـ البيئة الطبيعية...	43
ب – البيئة السياسية...	46
جـ ـــ البيئة الثقافية...	57
د – البيئة الاجتماعية...	50
ثانيًا : تيار الإعجاب بالآثار المشرقية...	54
ثالثًا : الحركة الفكرية وتيار التعبير عن الذات الأندلسية...	61
أولاً : الرحلة الداخلية...	62

ثانيًا: الرحلة الخارجية...	63
ثالثا: العوامل التي ساعدت على انتشار فن المعارضات في الأندلس.	69
رابعًا: بواعث المعارضات ...	72
المبحث الثالث : المعارضات والفنون الأخرى.	79
1ـ المناظرات...	80
2ـ المراجعات ...	81
أ ـ المسلسلات ...	81
ب ـ المترادفات...	81
3ـ المناقضات...	82
الفصل الثاني : المعارضات الأدبية في النثر الأندلسي	85
معناها - مضمونها – روادها	86
المبحث الأول : معارضات الزهريات...	86
أولاً : معناها في اللغة...	86
ثانيًا : مضمونها...	86
ثالثًا : روادها...	92
أ ـ ابن برد الأصغر.	92
• نشأته وحياته ...	92
• من شعره...	92
• من نثره...	92
• وفاته...	93
1 ـ الرسالة الأولى : زهرية ابن برد الأصغر...	93
ب ـ أبو إسماعيل بن محمد بن عامر .	99
• نشأته وحياته ...	99
• مؤلفاته...	99
• من شعره...	99
• من نثره...	99
• وفاته...	99

المعارضة الثانية : زهرية إسماعيل بن محمد حبيب...	100
جـ ــ أبوعمر الباجي .	102
● نشأته وحياته...	102
● من شعره...	102
● من نثره...	102
● وفاته ...	102
المعارضة الثالثة : زهرية أبي عمر بن الباجي ...	102
د ــ أبو الفضل بن حسداي.	105
● نشأته وحياته...	105
● من شعره...	105
● من نثره...	105
المعارضة الرابعة : زهرية أبي الفضل بن حسداي...	106
المبحث الثاني : معارضات المطريات.	110
أولاً : معناها في اللغة ...	110
ثانيًا : مضمونها...	110
ثالثًا : روادها...	112
أ ــ أبو القاسم محمد بن الجد...	112
● نشأته وحياته ...	112
● من شعره...	112
● من نثره...	112
● وفاته ...	112

الرسالة الأولى – مطرية أبي القاسم بن الجد .	112
المعارضة الثانية – مطرية أبي عمر الباجي...	115
ب ـ محمد بن عبد الغفور.	118
● نشأته وحياته ...	118
● من شعره...	118
● من نثره...	118
● وفاته...	118
المعارضة الثالثة – مطرية ابن عبد الغفور.	118
المبحث الثالث : المعارضات الزرزورية.	122
أولاً : معناها في اللغة...	122
ثانيًا : مضمونها...	122
أ – أبو الحسين بن سراج.	123
● نشأته وحياته...	123
● من شعره....	123
● من نثره...	123
● وفاته...	123
المعارضة الأولى – زرزورية أبي الحسين بن سراج...	123
ب – أبو القاسم بن الجد.	125
المعارضة الثانية – زرزورية أبي القاسم بن الجد ...	125
جـ ـــ محمد بن عبد الغفور.	127
المعارضة الثالثة – زرزورية محمد بن عبد الغفور...	127

د ــ أبو بكربن عبد العزيز البطليوسي.	132
● نشأته وحياته...	132
● من شعره...	132
● من نثره...	132
● وفاته...	132
المعارضة الرابعة – زرزورية أبي بكر البطليوسي...	132
المبحث الرابع : معارضات المعتضديات.	138
أولاً : معناها في اللغة...	138
ثانيًا : مضمونها...	138
ثالثًا : روادها...	139
أ – عبد الله بن عبد البرّ النمري...	139
● نشأته وحياته...	139
● من شعره...	139
● من نثره...	139
● وفاته...	139
الرسالة الأولى – معتضدية ابن عبد البرّ النمري...	140
المعارضة الثانية – معتضدية مجهول أول...	147
المعارضة الثالثة – معتضدية مجهول ثاني...	155
الفصل الثالث : بناء المعارضات الأدبية وخصائصها.	159
المبحث الأول : ا لبناء الخارجي للمعارضات...	160
أ – المعارضات الزهرية...	160

ب ــ المعارضات المطرية...	161
جـ ــ المعارضات الزرزورية...	162
د ــ المعارضات المعتضدية...	164
المبحث الثاني : اللغة والأسلوب.	166
أ ــ الألفاظ والتعابير...	166
1 ــ المعارضات الزهرية...	167
2 ــ المعارضات المطرية...	169
3 ــ المعارضات الزرزورية...	171
4 ــ المعارضات المعتضدية...	173
ب ــ الجمل الدعائية والمعترضة...	174
جـ ــ الاقتباس والتضمين .	175
1 ــ الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم...	175
2 ــ الاقتباس والتضمين من الحديث الشريف...	178
3 ــ تضمين الخطب...	179
4 ــ تضمين الشعر...	180
5 ــ الأمثال العربية...	182
د ــ الرمز والتلويح بالإشارات ...	184
1 ــ الرمـز...	184
2 ــ التلويح بالإشارات...	187
هـ ــ توظيف الأماكن والحوادث التاريخية في النص الأدبي...	188
المبحث الثالث : التصوير البلاغي...	190

أولاً : التصوير التشبيهي...	190
ثانياً : التصوير الإستعاري ...	194
ثالثًا : التصوير الكنائي...	196
رابعًا : التصوير البديعي.	198
أولاً : المحسنات اللفظية...	198
أ ـ السجع...	198
ب ـ الجناس...	202
ثانيًا : المحسنات المعنوية.	205
أ ـ المطابقة ...	205
ب ـ المقابلة ...	207
الخاتمة...	208
فهرس الآيات القرآنية ...	218
فهرس الأحاديث الشريفة...	222
فهرس الخطب ...	222
فهرس الأمثال العربية...	223
فهرس الأبيات الشعرية ...	224
فهرس الأعلام الجغرافية...	226
فهرس المصادر والمراجع...	228
فهرس المحتويات ...	237